من فقه الانتخاب

إعداد وتأليف

القاضي والمُحَكّم الدولي

مصطفى أحمد أبو الروس

الجزء الأول

قرأه وراجعه الأستاذ الدكتور

محمد عبد الصمد مهنا

أستاذ القانون الدولى بجامعة الأزهر

من فقه الانتخاب

إعداد وتأليف القاضي / مصطفى أبو الروس

١٠

الطبعة الأولى

المحرم ١٤٣٣هـ - ديسمبر ٢٠١١م



الطبعــة الأولــى

المحرم ١٤٣٣هـ - ديسمبر ٢٠١١م

سعر النسخة : ١٠ جنيهات

من فقـــه

الانتخـــــاب

إعداد وتأليـف

القاضي والمُـحَـكّـم الدولي

مصطفى أحمـد أبو الروس

قرأه وراجعه

الأستاذ الدكتور

محمد عبد الصمد مهنا

أستاذ القانون الدولى بجامعة الأزهر

الجــزء الأول

الطبعــة الأولـــى

بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان الكتاب : من فقه الانتخاب .

مؤلف الكتاب : القاضي والمحكم الدولي / مصطفى أحمد أبو الروس .

عدد الصفحات : ٣٠٠ صفحة .

قياس الصفحة : ١٧ × ٢٤ سم –٧٠ جم .

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية المصرية :

٢٠٥٧٦ / ٢٠١١

طبع في مصر

الطبعة الأولى

المحرم ١٤٣٣ هـ – ديسمبر ٢٠١١ م

يسرنا استقبال ملاحظاتكم واقتراحاتكم على :

Mostafa.aboelros@yahoo.com

قال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ (سورة الحشر ، الآية : ٧)

وقال سبحانه : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (سورة النساء ، الآية: ٦٥)

والعبودية هي : (أن ترضى بالله حَكَمَا .. ، وبحُكمهِ حُكما .. ، ومَن أحسن مِن الله حُكماً لِقومٍ يوقنون)(١) .

قال أمير الشعراء أحمد شوقي :

البرلمان غداً يمدُّ رواقه ... ظلاً على الوادي السعيد ظليلا

قل للشباب اليوم يورق غرسكم ... دنت القطوف وذللت تذليلا

---

(١) رأيت ما بين القوسين مناماً فجر أحد الأيام .

إهداء

* **إلى مَن خلق الروح والجسد وشق السمع والبصر وأحيا القلب وأنطق اللسان ، فالخير منه وإليه .**
* **إلى خير الخلق سيدنا مُحَمَّدٍ ــ عليه وعلى آله وصحبه في الأزل والأبد والآن صلوات الله وسلامه ــ .**
* **إلى كل أولياء الله تعالى الصالحين .**
* **إلى روح الذي علَّمني أن محبة رسول الله ﷺ والصلاة والسلام عليه أرجى وأعظم مِن كل عمل (١) ، وأن ذرة من أعمال القلوب خيرٌ من أمثال الجبال من عمل الجوارح (٢) .**

والذي قرأت في بيته كتاب " الولاية " للشيخ مُحَمَّد محمود عبد العليم ؛ هذا الكتاب الذي كان نقطة التحول الرئيسة في حياتي .

* **إلى شيخي الذي علَّمني .**
* **إلى أرض العدل التي تنفس صُبحها . . وإلى ربيع الشعوب الذي أنضج زهرها .**
* **إلى حماتي مصر : القوات المسلحة خير أجناد الأرض ، وقضاتها الأخيار الأطهار .**
* **إلى كُل مُنصف ، وإلى كـــــل مُصلح .**

أهدي هذا الكتاب

---

(١) ولا ريب أن محبته ﷺ ليست مجرد إدعاء باللسان وإنما يستتبعها حتماً خدمة شرعه بفعل ما يُحبّ وترك ما يكره

(٢) هو العارف بالله الشهيد السيد المستشار / مُحَمَّد أبو شوشه ، نائب رئيس مجلس الدولة – رحمه الله – ؛ والذي توفي بعد أن صدمته سيارة مجهولة وهو في طريقه لعمله ، ويكاد يُتيقن أنه كان مقصوداً قتله لمحاربته وقتئذ لفساد كثير لأصحاب سطوة عليا .

فهرس الموضوعات

مقدمـــة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا مُـــحمَّد خير خلق الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

وبعـــــد ،،،

فيقول سُبحانه ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

والمتأمل لأحوال البشر يجد اختلافاً كثيراً ، وقد لمست هذا الاخـــتلاف بنفســـي كأشد ما يكون في جانب منها وهو اختيار المُرشحين لعضـــوية المجـــالس النيابيـــة وغيرها (١) ، فرأيت مِـــن حقي – بل من واجبي – كأمر بمعـــروف ونهـــي عـــن منكر (٢) أن أكشف الغطاء وأبين بحول الله وقوته الحق بجلاء ليكون ظاهراً لِمـــن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد ، فمَـــن اتبعه فهو الناجي إن شاء الله تعـــالى وإلاَّ ﴿ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

وخير الكلام ما صدقه قائله وانتفع به سامعه (٣) .

---

(١) وكانت باكورة الكتاب أقل مِـــن صفحة ، دفعتها لإمام مسجد ليستفيد منها في خطبة درءاً لفتنة ، ثم كان الكتاب .

(٢) بمُـــقتضى طلب الشارع ، ولعلَّ قلمي أن يَـــسُـــدّ هذا الطلب أو بعضه ، وإن أغاظ بعضهم ذلك ؛ فقد قيل :
آمن مكان للسفينة عند الشاطىء .. ولكنها لم تُـــصنع لذلك .

(٣) الولاية للشيخ محمد محمود عبد العليم ص ٨٥ .

وقد يتــفاجئ الطاعنون في السنة النبوية ، وكذلك الجاحدون لشمول الدين بمدى الثراء الموجود في السنة النبوية الصحيحة [1] والفقه الإسلامي في خصوص هــذا الباب . وأقول لهم [2] : ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴾ .

([1]) وقد نقلت بعضها من كتبي الحديث المعتمدة وبعضها من تخريجات بعض الكتب الموثوق فيها ، وبعضها خرَّجهُ لي بعض الفضلاء .

وهناك أحاديث نقلتها عن كتاب جوامع الكَــلِــم ونقلت الترميز لمراجعها اختصاراً ، وها هو ذا كل رمز ومعناه :

خ : الإمام البخاري ، **م**: الإمام مُــسلم ، **ق** : متفق عليه بين الإمامين البخاري ومُــسلم ، **د** : الإمام أبو داود ، **ت** : الإمام الترمذي ، **ن** : الإمام النسائي ، **٦** : رواه الستة ، **هـ** : الإمام ابن ماجه ، **ط** : الإمام مالك في الموطأ ، **حم** : الإمام أحمد في مسنده ، **خد** : الإمام البخاري في الأدب ، **تخ** : الإمام البخاري في تاريخه ، **ك** : الإمام الحاكم فــي المستدرك ، **مي** : الإمام الدارمي ، **حب** : الإمام ابن حِــبَّــان ، **ضخ** : الإمام الضياء في المختارة ، **طب** : الإمــام الطبرانيّ في الكبير ، **طس** : الإمام الطبرانيّ في الأوسط ، **ش** : الإمام ابن أبي شيبة ، **ع** : الإمام أبي يعلــى فــي مُــسنده ، **فر** : الإمام الديلمي في الفردوس ، **حل** : الإمام أبي نعيم في الحِــلية ، **هب** : الإمام البيهقيّ في شُــــعب الإيمان ، **هق** : الإمام البيهقيّ في السُــنن ، **عد** : ابن عدي في الكامل ، **خط** : الخطيب البغدادي في تاريخه ، **بز** : الإمام البزار ، **سع**: ابن سعد في طبقاته ، **خز** : الإمام ابن خزيمة في صحيحه ، **كر** : ابن عساكر في تاريخه ، **بغ** : الإمام البغوي ، **دنيا** : ابن أبي الدنيا ، **قضا** : الإمام القضاعي ، **أبو** : أبي الشيخ .

([2]) وإن كان منهم مَــن تم تضليلهم ، ولو عرفوا الحق لرجعوا إليه ، أما غيرهم فتأمل فيهم هــذه الآيــات ؛ قــال سبحانه : **{ هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ } {وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً إَنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ عَلَيمٌ بِمَــا يَفْعَلُــونَ } { إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى } { وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً } .**

{ وإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاء عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ } {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّــرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْــراً وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً } { وإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَسْمَعُواْ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ } { وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ } { وَمِنهُم مَّــن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يُبْصِرُونَ } {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً } {أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } { وَلَــوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أعْجَمِيّاً لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ } {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء

وقد قال العُلماء : المُنصف يكفيهِ القليل ، والمُعاند لا ينفعُهُ الكثير .

قال الشاعر :

ومن اتبع الهوي عبد الهوي ومن استجاب لمنطق الحق اهتدي

وقال آخر :

فقد أسمعتُ لو ناديتُ حيّاً ولكن لا حياة لِمن تنادي (١)
ولو ناراً نفخت بها أضاءت ولكن أنت تنفخ في الرماد

وقال ثالث :

إذا قسا القلب لم تنفعه موعظة كالأرض إن سبخت لم ينفع المطر

قال تعـالى : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

وقد قيل : موقع الحكمة من قلوب الجهال كموقع الذهب من ظهر الحمار(٢)

وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً } ووصف الله أقواماً فقال : {فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ } {إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً } .

(١)غيث المواهب العلية صـ ١٠٣ .

(٢) هذا القول محكي عن بطليموس .

ويقول الإمام مالك بن دينار ﷺ : يا هؤلاء : الكلب إذا طرح عليــه الــذهب والفضة لم يعرفها ، وإذا طرح إليه العظم أكبَّ عليه ، كذلك ســفهاؤكم لا يعرفــون الحق [1] .

وقيل : لو ألقي إلى الغنم الدُرّ والذرة لترك الدرّ وأكل الذرة .

وقد قيل : **مَــن جهل شيئاً عاداه** ، وقيل : **الإنسان عدوّ ما يجهــل** [2] ؛ قــال تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ ﴾ .

وأعظم من الجهل عدم الشعور بالجهل .

قال الشاعر :

ومن أعجب الأشياء أنك لا تدري	**وأنك لا تدري بأنك لا تدري** [3]

وما أجمل ما قيل في أدبنا :

قال حمار الحكيم يوما	**لو أنصف الدهر كنت أركب**
فـإنــي جاهــل بسيـــط	**وصاحبي جاهل مُرَكَّب** [4]

---

(1) أعلام الصوفية صـــ٥٥ .

(2) وقد رُوي عنه ﷺ شعراً :

وقدر كل امرىء ما كان يحسنهُ	**وللرجال على الأفعال أسماءُ**
وضدُّ كل امرىء ما كان يجهلهُ	**والجاهلون لأهل العلم أعداءُ**

انظر ديوان الإمام عليّ ، مرجع سابق ص ٧٤ .

(3) نثر الدر وبسطه ص ٩١ .

(4) وقد رُوي صدر البيت الثاني بلفظ : **لأن جهلي جهلٌ بسيط** ، **وبلفظ** : **أنا جاهلٌ جهلى بسيــط** .

كما يقع كثيراً إنكار الفهم السقيم للقول الصحيح المستقيم [١] :-

قال المتنبي :

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً   وآفته من الفهم السقيمِ [٢]

ولله در الإمام البوصيرى حيث قال :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد   وينكر الفم طعم الماء من سقم

وأكد هذا قول بعضهم :

ومن يك ذا فم مريض   يجد مُرّاً به الماءَ الزُلالا

ويقول الشاعر :

إذا لم تكن للمرء عين صحيحة   فلا غرو أن يرتاب والصبح مُسفِرُ[٣]

([١]) قال الشيخ الدكتور مُـحَـمَّـد خليل الخطيب في شأن الحديث النبويّ :

مَن ذا يُحاكي للحبيب حديثهُ   وكأنما هـو لـؤلـــؤ منثورُ

وقال أيضاً في قصيدته الرائعة (**الدعوة الجامعة**) :

وأيـــدني لكـــي أروَى   بمـــا يُـــروَى عـــن العيـــن
حديـــث المصطـفى الهادي   كريـــم اللفـــظ والمعـني
أبـان بـــه لخلـق اللـــه   مـــا قـــرآنهُ يَعنـــي
وفيـــه عنـــد ذي التـــو   فيـــق ما عـــن غيرهِ يُغني
وقـــد جمَّـــت معانيـــهِ   مـــع الإيجـــاز والحُـــسنِ
وبعـــد الذكـــر منزلةٍ   لـــدى الفصحـــاءِ واللُّســـنِ
وكـــم تُجـــدي قراءتُـهُ   وكـــم من ربِّـــهِ يُدنـــي

ولكنك ترى الجاحد ، لحمقه وقلة علمه ينكر البَيِّـن الواضح ويطلب عليه دليلاً من غيره

قال المتنبي :

وليس يصح في الأذهان شيء   إذا احتاج النهارُ إلى دليلِ

وقيل : مَـن وسع علمه قلَّ إنكاره .

وقال الإمام أبو حامد الغزالى : لو سكت مَـن لايعلم لسقط الخلاف .

وما أصدق قول الشاعر :

لكل داءٍ دواءٌ يستطب به   إلا الحماقة أعيت مَن يداويها

([٢]) قوانين حكم الإشراق صـ٨٧ .

([٣]) نثر الدر وبسطه ص ٥٥ .

وقال آخر :

مثل النـهار يزيد أبصار الورى نوراً ويعمي أعين الخفاش

ويقول الشيخ مُحَمَّد خليل الخطيب :

لولا صفا الجوِّ لم تظهر ذكاء (١) به لولا صفا الماء فيه البدر لم يُشم
إن المرايــا علــى قدر الصقال بهــا ترى المحاذِيَ فيها جِدٌّ مرتسمِ(٢)

ولكن إنكار ذا الفهم السقيم للقول الصحيح المستقيم لا ينال من صحته أبدا ، كما قال الشاعر :

ما ضر شمس الضحى في الأفق طالعة ألا يري ضوءها مَن ليس ذا بصر(٣)

وقال آخر :

وإن أنكر الأعمى على الشمس ضوءها فما ضرها شيئاً ولكن أتى نكرا(٤)

---

(١) **ذُكاء** : الشمس
(٢) إتحاف الأخيار بأصح العقائد والأذكار ص ١٦٥ .
(٣) نثر الدر وبسطه ، ص : ٥٦ .
(٤) مقدمة كتاب " مُحَمَّد–صلى الله عليه وآله وسلَّـم–الإنسان الكامل ص٨ . للدكتور محمد علوي المالكي الحَسَني .

وقد بدأت فكرة الكتابة في هذا الموضوع – وهو لجمــوع النــاخبين وكــذلك المُرشَّحين والأحزاب على حد سواء – حين وجدت الصراع شديداً بــين النــاس ، ولمست التنافس غير الشريف بين بعض المُرشحين ، ورأيت كم خُــدع مِن أنــاس في تقييم أو تصنيف المُرشحين الأمر الذي نتج عنه اختيار أعضاء غير مُســتحقين ولا مؤهلين ، فرأيت أن أكتب في ذلك شيئاً حتى أني رأيتــه أفضــل الأعمــال – وأسأله سبحانه ألا أكون قد أخطأت حق الوقت ، لأن ذلك قد شغلني عن كثير سيما مع قلة أوقات الفراغ – حتى إني كنت أخشى أحياناً أن أموت قبل طباعة الكتــاب ، وكان لو قيل لي وقت احتضاري : ليس لك إلا وصية واحدة توصي بها قبل موتــك لقلت : اطبعوا هذا الكتاب .

وكيف لا وقد رُوي: " **نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فبلغها كما سمعها**"(1)

وكذلك قال ﷺ : " **إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية . أو علم ينتفع به . أو ولد صالح يدعو له** " (2)

ومنذ ذلك الحين ومادة الموضوع تأتيني دِراكا (3) ، وما تركت فــي مكتبتــي كتاباً هو مظنة تناول مثل هذا إلاَّ طالعته ، وما غادرت كتاباً هو مظنة ذلــك تيســر لي الحصول عليه أو مطالعته إلاَّ وأخذت منه ، حتى زادت المراجع الرئيسة لهــذا الكتاب على مائة وأربعين كتاباً ، وبلغت جملة المراجع نحو مائتين وثلاثين ، وقــد لمست في هذا المعونة .

---

(1) الراوي: أبو سعيد الخدري : أبو نعيم في حلية الأولياء: ١٢٢/٥ والحديث : غريب من حديث عمرو تفرد بــه إسحاق عن داود

(2) الراوي : أبو هريرة : مسلم : ١٦٣١

(3) **دراك** : أي متلاحق متواصل يتبع بعضه بعضاً . انظر المعجم الوجيز ص ٢٢٦ .

ولم أعتمد في ما كتبت إلا على آية مُـحكمة ، أو حديث صحيح أو حَـسَـــن غاية ما أمكنني ، أو دليل شرعي معتبر ، أو منطق عقلي سليم ، مسترشدًا بـأقوال من يُعْتَد بهم من العلماء ، ليشدوا أزري ، حتى لا أقف وحدي ، لا على أن أقوالهم في ذاتها حُـجَّـة ، فلا حُـجَّـة في قول البشر إلا قول سـيدنا محمـد ﷺ الـذي أرسله الله رحمة ، ومنحه العصمة ، وهدى به الأمَّـة (١) .

ولأن " **الحكمة ضالة المؤمن** " (٢) فقد نقلت بأمانة عن كثير ممـن أختلـف – على ضآلة قدري – معهم في اتجاهاتهم الفكرية في غير ما نقلت ، وما دعاني إلـى إثبات رجوعي إليهم وذكر كتبهم إلا الأمانة العلمية .

ولا يعني رجوعي إلى أحد الكتب في شيء واستشهادي به ونقلي عنه تسـليمي الكامل بكل ما جاء به من أفكار .

كما أنني على استعدادٍ تام للرجوع عن أي قول يتبين لي بعدُ مجانبته للصواب ، ولكني لن أجبن أمام أي إرهابٍ فكريّ يحاول إثنائي عن إبداء ما أراه صواباً مِـن ما يُثير حفيظته – وإلا لما تيسر لي كقاضٍ أن أحكم إذا علمـت أن نصـف مَـن يحضر عندي من الخصوم قد لا يحقق حكمي مُـرادهم –

وكتابي هذا ليس لأهل مصر فقط – رغم أن به استشـهاد بـبعض التشـريعات المصرية – ، وإنما هو لكل منصف ، سيما أهل العروبة والإسلام .

---

(١) من كلام د / يوسف القرضاوي في مقدمة كتابه الدين والسياسة ، بتصرف يسير .

(٢) بلفظ : " **الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها** " **انظر** : سنن الترمذي : ك العلم ، باب فضل الفقـه على العبادة ٥ / ٥١ رقم ٢٦٨٧ : إسناده ضعيف .وبلفظ " **الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها** " رواه الترمذي في العلم (٢٦٨٧) عن أبي هريرة، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وابن ماجه في الزهد (٤١٦٩)، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٥٠٦).

وقد سميته : (من فقه الانتخاب) ، قاصداً الفقه بالمعنى الواسع وليس بمعناه الاصطلاحيّ .

وتناولت فيه أموراً ربما يظن الناظر لأول وهلة أنها قد لا تتعلق بفقه الانتخابات إلا أن المتأمل المُـدقق يجدها خير خادمة له ، **وأفصِّـل هذا فأقول :**

كتبت فى الجزء الأول عن : أنَّ كُـل أحد يؤخذ مِـن كلامـهِ ويُـردّ ، وأننـا مأمورون عِند التنازع في شيء أن نردَّ هذا الاختلاف إلى اللهِ ورسوله .

كذلك كتبت في ركائز فقه الاختلاف المؤدي إلى الائتلاف .

فتكلمت عن معرفة الرجال بالحق لا الحق بالرجال ، لما رأيته من اتباع البعض لآراء غيرهم الانتخابية ، حتى وإن كانوا مُخطئينَ فيها .

وتحدثت عن أنه لا أحد أكبر من أن يُـنصح ولا أحد أصغر من أن يَـنصح ، وأن صغر السن لا يمنع من نفوذ القول ؛ وذلك لما رأيته من احتقار آراء الصـغار الانتخابية وعدم التعويل عليها ، مع أنهم قد يفطنون لما لا يفطن له الكبار .

وعن أنه ليس لمخلوق أن يفرض رأيه الانتخابي على أحد ، وأن كل شـخص مسئول عن نفسه ، لما وجدته من إدلاء بعضهم برأيه الانتخابي تبعاً لغيـره لأنـه والده أو زوجه أو قريبه ، وأنه يجب العدل مع الموافق ونقـده بـالحق ، ووجـوب إنصاف المُـخالف ، وأن نقد الآراء لا يعني الطعن في أصـحابها ، وأن الأخـوة باقية رغم الاختلاف ، وذلك لما رأيته مِن غلوّ في هذا الشأن وفقـدان ذلـك فـي العلاقة بين أتباع كل مُـرشح ، بل حدث أن حِزباً قام بفصل أحد أعضاءه لمجـرد أنه أبدى رأيه حول تعديل إحدى مواد الدستور على الرغم من كونه مُمثله الوحيـد في البرلمان .

وتحدثت كذلك عن تأكيد الإسلام على الجماعة ونهيه عن الفرقة والخلاف ، لما لمسته من شديد الخلاف بين مؤيدي كل مُرشح ومؤيدي الآخرين ، **وبيَّـــنت خطورة الخلاف .**

كما أكدت على أنه من الواجب التحاكم لِلحق والتسليم له فـــي تقيـــيم واختيـــار المُرشَّحين ، **وتحدثت عن** وجوب اتهام رأي النفس ، **وعن** التحذير من الجدل .

وتحدثت عن أولوية الولاء للجماعة والأمَّـــة على الولاء للفرد ، لأني وجـــدت أساس الاختيار عند أهل الهوى هو الأقرب فالأقرب.

وتحدثت عن أن معيار الخلة والعداوة هو مدى الولاء للحق لا غيـــره ، لأنـــي رأيت الخلة قائمة على غير ذلك .

وأن الواجب هو اختيار أصلح المُرشَّحين وإن كان بعيد القرابة دون الفاسد وإن كان قريباً .

وتحدثت عن أن الواجب التسليم للحق من أي شخص كان ، وعن البُعـــد عـــن الهوى ، **وبيَّنت** عقوبات الهوى وأن الهوى حائل بين الإنسان والحق ؛ لما وجدتـــه مِن كثرة أهل الهوى .

وتحدثت عن مُجانبة العصبية لما رأيته من تعصب كل حِزب لرايته ؛ فحـــذرت منها ومن الدعوة لها .

وتحدثت عن أنه لا تزر وازرة وزر أخرى ، لما رأيته من مُـــحاسبة النـــاخبين والمُرشحين على السواء على أخطاء غيرهم في توجهاتهم الانتخابية .

وتحدثت عن الفخر بالأحساب والأنساب لما لمسته من شـــديد التعصـــب لهـــا ، وأوردت نماذج واقعية على ما سبق ، **وتحدثت كذلك عن** العُجب بالكثرة وهل لهـــا دوماً قيمة واعتبار ، لِما رأيتهُ مِن اغترار بعض المُرشَّـــحين وحاشـــيتهم بكثـــرة مُؤيديهم .

وتحدثت عن مُــشكلة الامتناع عن التصــويت والســلبية السياســية وأســبابها وطريقة علاجها .

وتحدثت عن كيفية اختيار المُرشحين ، **وعن** وجوب الاختيار الصحيح ، **وعــن** بعض الأخطاء في اختيار المرشحين ، **وعن** وجوب منح الصوت للأكفــأ والأكثــر إخلاصاً .

وعن أنه ينبغي أن لا يكون الاختيار بالمظاهر الجوفاء أو الدعاية الكاذبة ، **بــل يجب أن** يكون الميزان هو التقوى والخلق والعلم والكفاءة ، وليس الحسب أو النسب أو المنصب أو النفوذ أو المال أو الجمال أو الأسمال .

كما بيَّــنت أنه يجب أن لا يُــكتفى في معرفة الناس والحُــكم عليهم بالمظــاهر العابرة بل بالتجربة الذكية ، **وبــيَّــنت** كيفية معرفــة حقيقــة المرشــح ، وكشــف أساليب الخداع .

كما تحدثت عن وجوب أن يكون الاختيار بالقسط ، **وعــن** بواعــث وخطــورة الحسد بين الناخبين والمرشحين أو بين المرشحين بعضهم البعض ، **وعن** خطــورة تولية غير الكفء .

وتكلمت عن مسئولية الأئمة والمُــعلمين ووسائل الإعلام ، **وتحدثت كذلك** عــن ثمرة الاختيار الصحيح .

وتحدثت كذلك عن أهمية واختصاصات المجالس النيابيـــة والمجـــالس الشـــعبية المحلية ، **وعن** بعض أساليب بعض المرشحين في تضليل الناخبين ، ومنهـــا : أ) الادعاء بأن المُرشح هو الَّـــذي جلب الخدمات إلى الـــدائرة . **ب**) التضـــليل عـــن طريق استغلال السلطة . **ج)** تضليل الناخبين عن طريق عنصر المال ، وفيه أكدت على خطورة تزاوج السلطة والمال ، وضمَّـــنته التحذير مـــن ظـــاهرة الرشـــاوى الانتخابية أخذاً وإعطاءً ، وبيَّـــنت كيفية علاج هذه الظاهرة . **د**) تضليل النـــاخبين عن طريق استثمار الأمية السياسية . **هــ**) تضليل المرشحين .

كما تحدثت عن انضمام المستقلين للحزب الحاكم ، **وعن** ترشيح الوزراء أنفسهم في البرلمان ، **وعن** حق إقالة النائب وحق حلّ المجلس النيابي ، وعن ظاهرة القيد الجماعي والبلطجة ، وحذرت من البلطجة ووضحت كيفية علاجها ، **وتحدثت عـــن** الواجب المطلوب من رجال الأمن ، **وعـــن** **الغلط** والإكراه في الفقه القـــانوني ، **وعن** الإشراف القضائي على العملية الانتخابية ، **وأوردت** بعض النصائح الثمينة للمُرشحين ، لِتقر الأعين وتهدأ الأنفس ، وتخمد الفتن ؛ وهي : أن لا يحزن مِن نقد أهل الباطل والحُسَّاد ، وكيفية مواجهته النقد الآثم ، وكيف يكسب النـــاس ، وأن المطلوب منه أن يُـــحسن إلى الناس ، وأن لا ينتظر شُكراً مِن أحد ، وأن لا يحزن مِن فعل الخَـــلق معه ، وأن لا يُبالِ بإقبال الخلق وإدبـــارهم ، وأن لا يقلـــق مِـــن النصح البنَّاء الهادف ، بل يرحِّب به ولا يغتر بالمدح .

وتحدثت فى الجزء الثاني عن تعريف الناخب وما يشترط فيه وعن تعريف المرشح وما يُطلَب فيه تفصيلاً ليعرف الناخب مَـــن يستحق أن يمنحه صوته ومَن باختياره له ينجو مِن العهدة ومِـــن المساءلة الشديدة أمام الله تعالى ، وعن عوامـــل دوام الولاية ، وبسطت القول في شرطي الصدق والتواضع .

وتكلمت عن المسئولية وخطرها والخوف منها ، لأن الولاية العامــة مســئولية خطيرة فيكون المتقدم للترشيح على بصيرة ويعرف كيف كــان الســلف الصـــالح يفرون من الإمارة ولو كانت خلافة على المُسلمين .

وتحدثت أيضاً عن طلب الولاية لبيان حكم الشرع فيها ، وعــن تحمــل المســئولية وعدم الهروب منها وعدم فهم النصوص على غير مُرادها ، وعن نصَب المنصب ، وعن أن من المُهلكات محبة المال والجاه والمنصب والرياسة ، والطمــع ، وعــن العلاقة بين الدين والسياسة .

ولقد كتبت معظم الجزء الأول من الكتاب قاصداً به الناخبين ، وكتبــت معظــم الجزء الثاني من الكتاب للمرشحين .

وحررت كتابي هذا على نهج كتاب صيد الخاطر للإمام ابــن الجــوزي ؛ فلــم أقسمه تقسيماً أكاديمياً معيناً ؛ لأنه يخاطب جميع الناس (ناخبين ومرشحين) علـــى اختلاف مستوياتهم الثقافية ، وحتى لا يكون تبويبه صعباً على القارئ .

ولقد كنت قد عزمت على تناول موضوع تعدد الأحزاب ثم بدا لي التوقف ولعل الله يأذن بإخراجه ضمن موضوعات الجزء الثالث ، ذلك الجزء الذي تجمــع لــديَّ بعض مادته ، **ويتناول بعونه تعالى :**

* الانتخاب بالنظام الفردي وبنظام القائمة (بأنواعها) .
* تعدد الأحزاب .
* الديمقراطية والشورى .
* العلاقة بين الدين والسياسة على وجه التفصيل .
* الموازنة بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي إن كان ينافيها ، ودحض الشبه عنها .

* واجبات أصحاب الولاية **ويتناول فيما يتناول :**
* وجوب تغليب المصلحة العامة على المصلحة الخاصة .
* فضل قضاء حوائج الناس وصنائع المعروف وضوابط القيام بها .
* حكم الاحتجاب عن الناس وحوائجهم .
* حكم الرشا والغلول والانتفاع من الولاية .
* وجوب العدل في ما يلتحق بأعمال ولايتهم (كالتعيينات مثلاً) ومجانبة الظلم وموقع الأقارب من ذلك .
* أهمية الصحبة الصالحة .
* طبيعة العلاقة بينهم وبين المسئولين وموقعهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشروط وضوابط ذلك .
* كيفية مباشرة التشريع والرقابة ومسئوليتهم عنها ، وكيفية تدبير موارد الخزانة العامة وكيفية الإنفاق منها .
* برنامج العمل .
* أولوية الكيف على الكم .
* وجوب تحري الحق .
* هل يكون الإصلاح جملة واحدة أم ينبغي التدرج فيه .

وغيرها من الموضوعات الهامة والخطيرة

ولا أعلم أحداً – والفضل والحمد لله – سبقني إلى مثل هذا .

ولقد أخذ مني هذا الكتاب جهداً لا يعلمه إلا الله ؛ فبخلاف جمع مادته وتبويبها ، تعلم أخي القارئ أن :

التحقيق عمل صعب بطبيعته ؛ إذ يتطلب من الجهد أكثر مما يتطلبهُ التــأليف ، وقد جهر بذلك الجاحظ – قديماً – بقوله " ولربما أراد مؤلــف الكتــاب أن يصـــلح تصحيفاً أو كلمة ساقطة ، فيكون إنشاء عشر ورقات مِن حُــــرّ اللفــظ وشــريف المعنى أيسر مِن إتمام ذلك النقص حتى يردهُ إلى موضعهِ مِن اتصال الكلام " . (١)

---

(١) الديوانة صــ ٢٣ .

كذلك فإن : إثبات المسألة بدليلها تحقيق وإثباتها بدليل آخر تدقيق والتعبير عنهـــا بغاية العبارة ترقيق ومراعاة علم المعاني والبيان في تركيبها تنميق والســـلامة مـــن اعتراض الشرع فيها توفيق [1].

وهذا كله تجده في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

ولقد نظرت في هذا الكتاب نظرة ناقدة ، وأحسب أني قد رضيت عنه الآن بعض الرضا .

وليس هذا – فيما أزعم – عُـــجباً ، وإنما أقول ما قاله الإمام الشافعيّ عند موته (**وددت أن الخلق يعلمون علمي ولم يُـــنسب إليَّ منه شيءٌ أبداً**) [2] .

قال الإمام ذو النون المصري :

وما من كاتـــب إلاَّ سيبلـــى ... ويُبقي الدهر مـــا كتبت يداهُ
فلا تكتب بخطك غير شيء ... يسُـــرك في القيامة أن تــــراه

فإن كنت قد أدركت الصواب فيما أتيت فالحمد لله ، والفضل مِـــنهُ وإليـــه ، وإلا فإني سائلهُ العفو عن كل خطأ وسهو، ونقصان ونسيان ، مَـــردُّه النفس والشيطان ، فقد اجتهدت في طلب الخير طوق جهدي ، والكمال لله ، والعصمة لمصطفاهُ .

ونستغفر الله ونعتذر إلى الناس ، ونجعل في أعناقهم أمانة إتمام ما فاتنا مِـــــن نقص وتصحيح ما سقط منا مِـــن خطأ والله المُـــستعان [3] .

ولعل سبب بعض ذلك إرادة سرعة إخراج الكتاب قبل إجراء الانتخابات والتـــي لم يتبقى عليها إلا القليل .

---

[1] لوامع الأنوار ص ٣٤ .

[2] جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ١٢٣/١ ط دار المعرفة ، بيروت ، **وروي بلفظ : " وددت لو أن الخلق يعلمون علمي هذا ولم يُـــنسب إليَّ منه شيءٌ أبداً** " انظر ديوان الإمام الشافعي ص ٥ .

[3] من كتاب (المحمديات) لفضيلة الأستاذ الإمام الرائد / مُـــحَـــمَّـــد زكي إبراهيم ص ٨ بتصرف يسير .

فــإن تجـد عيباً فسـد الخـللا — فجلَّ مـن لا عيـب له وســمـــا
فلا بُـدَّ مِــن عيبٍ فـــإن تجده — فسامح وكن بالستر أعظم مفضل
فمَن ذا الذي ما ساء قط ومَن له — المحاسن قد تمت سوى خير مُرسل

سُئل الإمام الشافعيّ : ما بال الكُتب يقع فيها الخطأ ، والغلــط ، والاخــتلاف ، والشيء يُناقض بعضه بعضاً ؟! فقال : ألم تقرأ قــول الله تعـــالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ ، فلمَّا كان من عند غير الله وجب أن يقع فيه الخلاف .

وكما قال الربيع بن سليمان الخادمي صاحب الإمام الشافعى : (قــرأت كتـــاب الرسالة المصرية على الشافعي نيفا وثلاثين مرة فما من مرة إلا كان يصـــححه ثـــم قال الشافعي في آخره: أبى الله أن يكون كتاب صحيح غير كتابه) . قال الشافعى : يدل على ذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾

فما أنا بجانب الإمام الشافعى P ...

ورحم الله الإمام الأصفهانيّ القائل : " إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابـــاً فـــي يومه إلاَّ قال في غده : لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد هذا لكان يُستحسن ولو قدّم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا مِــن أبلغ العِــبَــر وهــو دليـــلٌ على استيلاء النقص على جُملة البشر [1] .

---

(1) وذكره بعضهم على أنه من قول ابن العماد .

ولهذا فقد قلت في خواطري : لو نظر معظم الكُـتاب نظرة مجردة في كتبهم قبل طباعتها .. ربما ما خرج كتابٌ إلى النور .

وقد أنشدني أحد الفضلاء سماعاً :

بالله يا قارئــاً بحثــــي وسامعــه	**أسدل عليه رداء الحِلم والكرمِ**
واستر بلطفك ما تلقـــاه مِن خطأ	**أو أصلحنه تثب مِن واهب النعمِ**
فكـــم جواد كبـــا والسبق عادته	**بل كم حسام نبا أو عاد ذو سَلَمِ**
وكلنــا يا أخـــي خطــاء ذو زلـل	**والعذر يقبله ذو الفضل والشيمِ**[1]

ولهذا فإني لا أُحِـلّ لأحد أخَـذَ نسخة الطبعة الأولى أن يُـبقيها عندما تصـدر الطبعة الثانية ويتيسر له الحصول عليها مجاناً أو بثمن قليل جداً ، لما سيكون فيهـا بتوفيق الله من تصحيح لما قد يكون شاب الطبعة الأولى من خطـأ أو إكمـال لمـا نقص أو تقعيد وتأصيل جديد أو استدلالات تضاف أو غير ذلك .

واللـهَ أسألُ أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وحجة لنا يوم القيامة لا حجـة علينا ، وأن يُجنبنا الزلل ويرضى عنا ، وأن لا يجعل حظنا من ديننـا قولنـا وأن يحفـظ علينا ديننا وأمانتنا ، وأن يرزقنا الإخلاص في الأقوال والأفعـال والأحـوال ، وأن يتفضل علينا بالفهم عنه ، والقرب منه .

اللهم إني أستغفرك مِن كل عمل أردت به وجهك فخالطني فيه ما ليس لك .

اللهم اقبل هذه الثمره .. ، واجعلها لك خالصه .. ، ولنا شاهده .. [2]

---

(1) رُوي البيتين الأوليين عن عماد الدين الدنيسري بلفظ :

بالله يـا قارئاً شِعـري وسامعهُ	**أسبل عليه رداء الحكم والكرمِ**
واستر بفضلك ما تلقاهُ من زللي	**فـإن علمي قد أثرى من العدمِ**

(2) **هذه الصيغة رأيتني أدعو بها مناماً بعد الصلاة .** (هكذا رأيتها بالهاء وقفاً) .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِى خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلاَّ أنت أستغفرك وأتوب إليك (١) .

سبحان ربك رب العزة عمَّا يصفون

وسلامٌ على المُرسلين والحمد لله رب العالمين .

(١) عن رسول الله ﷺ : " **مَـن جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه سـبحانك اللهـم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك** " رواه الترمذيّ ، وعـن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال : " **كلمات لا يتكلم بهن أحد في مجلس حق أو مجلس باطل عند قيامه ثلاث مرات إلا كفّر بهن عنه ولا يقولهن في مجلس خير ومجلس ذكر إلا ختم الله له بهن كمـا يختـم بالخاتم على الصحيفة : سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليـك** " رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه . وقال ابن عمر : " **إن كنا لنعدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة : ربِّ اغفر لي وتب علـيَّ إنك أنت التواب الرحيم** " رواه أبو داود الترمذيّ .

حقائــق بين يديّ الموضـــوع

الأولـــى : أنه لا حُجَّة في قول أحد دون رسول الله ﷺ فهو وحده المُصدَّق الذي لا ينطق عن الهوى ولا يُقرّه الله على خطأ ، وكُلّ أحدٍ يؤخذ من كلامه ويُردّ (١) ، وتوزن آراؤه الانتخابية ، وهذه حقيقة لا خلاف عليها .

الثانية : أن كل مؤمن اجتهد في طلب الحق واستفرغ وُسعه في معرفتــه فهــو مأجورٌ على اجتهاده ونيَّته ، وإن أخطأ في النتيجة فخطؤه مغفورله كائناً ما كـــان – سواء في الانتخابـــات أو غيرهـــا ، قـــال تعـــالى ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ ﴾.

الثالثة : أن الخطر ليس على من اجتهد في اختيار مَن يُمَــثلهُ فأخطـــأ وزلَّ ، ولكن على من اتبعه في خطئه وزلَّـــته بعد تبيُّنها ، ولهذا أُمرنا أن نتقي زلَّة العـــالِم **قال عُمَر بن الخطاب** رضي الله عنه : (ثلاثٌ يهدمن الدين : زلَّة العـــالِم ، وجـــدال المنـــافق بالقرآن ، وأئمة (أي حُكام) مُضلُّون) .

وقال سيدنا معاذ رضي الله عنه لأصحابه يوماً في وصيةٍ له : (إياكم وما ابتُدع فإن مـــا ابتُدع ضلالة ، وأحذركم زيغة الحكيم ، فإن الشيطان قد يقول كلمة الـــضلالة علـــى لسان الحكيم وقد يقول المنافق كلمة الحق) .

الرابعـــة : أننـــا مـــأمورون عنـــد التنـــازع أن نـــرُدّ مـــا اختلفنـــا فيـــه في الانتخابات أو في غيرها – إلى الله ورسوله ، كما قال تعـــالى ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ (٢) .

---

(١) " **كل أحد يؤخذ من كلامه ويُـــردّ إلا رسول الله** ﷺ " مِـــن قولٍ لإمام دار الهجرة : مالك بن أنس رحمه الله .

(٢) فتاوى معاصرة . د / يوسُف القرضاوي . ج ١ صـــ ٢٦١ ، ٢٦٢ . بتصرف يسير يتفق مع البحث .

من الركائــز المهمــة

رُبَّما كان الحق عند من هو غير مقطور به ، وربما كان المقطور بــه يخفــى عليه الحق ، ألا ترى أن **عُمَر بن الخطاب** ﷺ لمَّــا اســتأذن عليــه أبــو موســى الأشعريّ ﷺ ثلاثاً ولم يؤذن له رجع ، فلمَّا فرغ عُمَر مما هو فيه ، **قال** : أين أبــو موسى ؟ **فقيل له** : رجع ، فأمر من يبتغيه ، فلما وصل **قال** : لماذا رجعت ؟ **قــال:** كان هكذا يفعل الصحابة على عهد النبيّ ﷺ **فقال له عُمَر**: لئن لــم تــأتني بــشاهدٍ لأوجعنك ، أو كما قال ، فقصد أبو موسى الأنصار فأخبرهم ، فقالوا : **إن الصبيان منا يعلمونه** ، فأرسلوا معه أصغرهم ، فشهد بذلك ، **والحال أن** عُمَر كان أكثــرهم استئذاناً على رسول الله ﷺ وخفي عليه مثل هذا .

وكذلك لمَّا خطب عُمَر ﷺ يوماً ، فنهى عن المغالاة في المهور، فقالت امرأة : تنهى عن المغالاة في المهور وقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿ **وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا** ﴾ أيعطينا الله وتحرمنا ، فقال : حتى النساء أعلم منك يا عُمَر(١) .

---

(١) وروي بلفظ : " عن عُــمر بن الخطاب رضي الله عنه : أنه نهى وهو على المنبر أن يُــزاد فــي الــصداق علــى أربعمائة درهم . ثم نزل ، فاعترضته امرأة من قريش ، فقالت : أما سمعت الله يقول : " **وآتيتم إحداهن قنطاراً** " ، فقال: اللهم عفوا .. **كل الناس أفقه من عُــمَــر** ، ثم رجع فصعد المنبر ، فقال : " إني كنت قد نهيتكم أن تزيدوا في صدقاتكن عن أربعمائة درهم، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحبّ " . رواه سعيد بن منصور وأبي يعلى بسند جيِّد .
وعن عبد الله بن مصعب أن عُــمَــر قال : " لا تزيدوا في مهور النساء على أربعمائة أوقية من فضة ، فمن زاد أوقيــة جعلت الزيادة في بيت المال ، فقالت امرأة : ما ذاك لك . قال : ولِمَ ؟ فقالت : لأن الله يقول : " **وآتيــتم إحــداهن قنطاراً**" . فقال عُــمَــر: "**امرأة أصابت ورجُــل أخطأ** " . فقه السُــنة للشيخ / السيد سابق . الجزء الثاني ص ١١٦.
ورويت القصة مع اختلاف في تعليق سيدنا عُــمَــر على قول المرأة ، رواها عبد الرزاق في المصنف كتاب النكاح (٦/١٨٠) وفيها: فقال عمر: إن امرأة خاصمت عمر فخصمته ، وسعيد بن منصور في السنن (١/١٦٦) ، والبيهقي في الكبرى كتاب الصداق (٧/٢٣٣) وفيهما: فقال عمر: كل أحد أفقه من عمر. مرتين أو ثلاثا.

فالملاحظ هنا أن سيدنا عُمَر – وهو الفاروق الملهم – قد قَــبِـل الحــق مــن غيره ورجع إليه ولم يرى في ذلك حرجاً ، مع أنه ﷺ قد قال فــي حقــه : " إن الله جعل الحق على لسان عُمَر وقلبه " (١) .

وقال أيضاً : " لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عُمَر " وفي رواية: "لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يُــكلمون من غيــر أن يكونوا أنبياء فإن يكن من أمتي منهم أحد فعُمَر " (٢) .

بل قال ﷺ : **(لو كان بعدي نبيّ لكان عُــمَــر)** (٣) .

فكن مع الحق يعرفك بأهله ،.. ولا تقل لو ثبت هذا لَــعَــلِم ذلك فلان ، فربَّما أُخذ الحق من غير أهله كما قال سبحانه وتعالى حكاية عن إبليس ﴿ **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ**

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر ، وأحمد من حديث أبي هريرة ، والطبراني من حديث بلال ، وأخرجه في " الأوسط " من حديث معاوية وفي حديث أبي ذر عند أحمد وأبي داود " يقول به " بدل قوله " وقلبه " وصححه الحاكم ، وكذا أخرجه الطبراني في " الأوسط " من حديث عمر نفسه.

(٢) رواه البخاري ح ٣٤٨٦ ، قال الإمام أحمد ابن حجر العسقلاني : وقوله : **(مُحدَّثون)** بفتح الدال جمع محدث ، واختلف في تأويله فقيل : ملهم . قاله الأكثر ، قالوا : المحدث بالفتح هو الرجل الصادق الظن ، وهو من ألقي في روعه شيء من قبل الملأ الأعلى فيكون كالذي حدثه غيره به ، وبهذا جزم أبو أحمد العسكري . وقيل : من يجري الصواب على لسانه من غير قصد ، وقيل : مكلم أي تكلمه الملائكة بغير نبوة ، وهذا ورد مــن حديث أبي سعيد الخدري مرفوعا ولفظه قيل : يا رسول الله ، وكيف يحدث ؟ قال : " **تتكلم الملائكـــة علـــى لسانه** " رويناه في " فوائد الجوهري " وحكاه القابسي وآخرون ، ويؤيده ما ثبت في الرواية المعلقة . ويحتمل رده إلى المعنى الأول أي تكلمه في نفسه وإن لم ير مكلما في الحقيقة فيرجع إلى الإلهام ، وفسره ابن التــين بالتفرس ، ووقع في مسند " الحميدي "عقب حديث عائشة " المحدث : " الملهم بالصواب الذي يلقى على فيه " وعند مسلم من رواية ابن وهب " ملهمون ، وهي الإصابة بغير نبوة " وفي رواية الترمذي عن بعض أصحاب ابن عيينة " محدثون يعني مفهمون " وفي رواية الإسماعيلي "قال إبراهيم – يعني ابن سعد راويه – قولــه : محدث أي يلقى في روعه " انتهى .

(٣) فــ " لو " فيه بمنزلة إن في الآخر على سبيل الفرض والتقدير ، انتهى . والحديث المشار إليه أخرجه أحمــد والترمذي وحسنه ، وابن حبان والحاكم من حديث عقبة بن عامر ، وأخرجه الطبراني في " الأوســط " مــن حديث أبي سعيد .

لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ قـــال تعـــالى ﴿ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴾ أي : فالحق تقول والحق أقول .

ثم ثبت في الحديث أن أبا هريرة ﷺ لمَّا كان على الـصدقة ، جـاءه شـيطان فأمسكه فقال : لئن تركتني لأعلِّمنك شيئاً إذا قلته لم يدخل بيتك شيطان فتركه ، **قال:** تلك آية الكرسيّ ، فقال له النبيّ ﷺ لمَّا أخبره **(صدقك وهو كذوب)** [١] ، فـالحق معروف لا غبار عليه [٢] ، والحق يقبل من أي أحد ، ألا ترى الله قد أثنى – كمـا في قول بعض العلماء – على قول بلقيس وهي كافرة ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ﴾ بقوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾

---

(١) أخرجه البخارى في صحيحه ، جــ٨ ، ص ١٠٢ بلفظ : " عن أبي هريرة ﷺ قال : وكلني رسول الله ﷺ بحفـظ زكاة رمضان ، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته ، فقلت : والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قـال : إنـي محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة ، قال : فخليت عنه ، فأصبحت فقال النبي ﷺ : **يا أبا هريرة ما فعل أسـيرك البارحة** ، قال : قلت يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله ، قال : **أما إنه قد كذبك وسيعود** ، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود ، فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت : لأرفعنـك إلـى رسول الله ﷺ ، قال : دعني فإني محتاج وعلي عيال لا أعود ، فرحمته فخليت سبيله ، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ : **يا أبا هريرة ما فعل أسيرك** ، قلت : يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله ، قال : **أما إنه كذبك وسيعود** ، فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله وهذا آخر ثلاث مرات تزعم لا فاذا ثم فاذا ، قال : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها ، قلت : ما هو ؟ قال : إذا أويت إلى فراشـك فاقرأ آية الكرسي الله لا إله إلا هو الحي القيوم حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح ، فخليت سبيله ، فأصبحت ، فقال لي رسول الله ﷺ: **ما فعل أسيرك البارحة** ، قلت : يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله ، قال : **ما هي** ، قلت : قال لي إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، وقال لي لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شـيطان حتـى تصبح وكانوا أحرص شيء على الخير ، فقال النبي ﷺ : **أما إنه قد صدقك وهو كذوب ، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة** ، قال : لا ، قال : **ذاك شيطان** " .رواه البخاري وابن خزيمة وغيرهما ، ورواه الترمذي وغيـره من حديث أبي أيوب بنحوه ، انظر الترغيب والترهيب حديث رقم ٨٩٩ ج١ ص ٢٣٦

(٢) العِقد النفيس في نظم جواهر التدريس. للإمام أحمد بن إدريس صـــ ٣٤ ، ٣٥ بتصرف يسير .

وقد قدَّمنا قول سيدنا مُعاذ ﷺ لأصحابه (أحذركم زيغة الحكيم ، فإن الـــشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم وقد يقول المنافق كلمة الحق) .

ورحم الله الإمام عليّ بن أبي طالب – كرم الله وجهه – القائل : (لا تنظر إلى مَـــن قال وانظر إلى ما قال" !! إذ﴿ ٱلْفَضْـلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ أ.هـ[1].

وفي المَـــثل : كلامُ حكيمٍ من جوفٍ خَرِب . ورُبَّ جوهرة في مزبلة .

كذلك فالتواضع في اصطلاح العارفين : هو الخضوع للحق والانقياد له ، فقـد سئل الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن التواضع فقال : "**يخضع للحـــق وينقـــاد لـــه ويقبله ممن قاله** " ، ورُوِي عنه : " **ولو سمعته من صبيّ قبلته ولو ســمعته مـــن أجهل الناس قبلته**" ، فسواء في ذلك الغني والفقير ، والكبير والصغير ، والـــشريف والوضيع ، **إذ** المؤمن يدور مع الحق حيث دار ، وكيف لا وقد ورد **(المؤمن لِـــذي الحق أسير)**[2] ثم كيف لا أيضاً ونحن مأمورون بأخذ الحكمة من أيّ وعاء خرجت **إذ " الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها "** [3] .

قال الإمام أحمد الرفاعيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ :(الأولياء رضي الله عنهم يأخذون الحكمة ، لا يبالون من أي لسان ظهرت ، وعلـــى أي حجـــر كتبـــت ، وبواســـطة أي كـــافر وصلت)[4] .

وقد قالﷺ **(لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حِـــلفاً ، لو دعيت بـــه فـــي الإسلام لأجبت** " تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها ، وأن لا يعد ظالم مظلوما[5]

---

(١) الدليل إلى الطريقة المُحَمَّدية . للإمام الشيخ مُـــحَـــمَّـــد زكيّ الدين إبراهيم صـــ ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٢) أبو نعيم في حيلة الأولياء جـــ ١ ص ٢٦ بلفظ " **لدى** " .

(٣) سنن الترمذي : ك العلم ، باب فضل الفقه على العبادة ٥ / ٥١ رقم ٢٦٨٧ : إسناده ضعيف .

(٤) البرهان المؤيد للإمام الشيخ أحمد الرفاعيّ ص ٥٥ .

(٥) الراوي: محمد وعبدالرحمن بن أبي بكر : البدر المنير لابن الملقن: ٣٢٥/٧ والحديث صحيح .

ومن الركائز أيضا أنه : **ليس لمخلوق أن يفرض على جماعة رأيه الانتخـابي** ، وأن يصدر في أحكامه واتجاهاته عن فكرته الخاصة غير آبه بمن وراءه من أولي الفهم وذوي البصيرة والحزم ومهما أوتي الرَّجُــل من زيادةٍ في مواهبــه ، وســعةٍ فــي تجاربه ، وسدادٍ في نظره فلا يجوز أن يتجهم لــلآراء المقابلــة ولا أن يلجــأ لغيــر المناقشة الحرة والإقناع المجرد في ترجيح رأي على رأي يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ ﴾.

ومن الركائز كذلك : **أن كُلّ أحد مـسئول عمـا يفعلـه مـسئولية كاملـة** فالزوجــة مسئولة لأنها مُكلَّفة لم تفقد الأهلية[1] ، وهي ليست آلة طيِّعة تدور فتُدار ، وتُحــرَّك فتتحرك ، أو دابة تُقاد فتنقاد ، كلاَّ ...

وإنما هي إنسانةٌ لها عقل ولها إرادة .. تــستطيع أن تقــول لا ، إذ (**لا طاعــة لمخلوق في معصية الخالق**) [2] ، فهاهنا تذوب كل الــسُلطات ، فلــيس لــرئيس أن يُجبر مرؤوسه على المعصية ، وليس لوالد أن يحمل ولده على المعصية ، ولــيس لزوج أن يُرغم زوجته على المعصية ، وليس لسيِّد أن يُجبر خادمه على المعصية ، وليس لقائد أن يدفع جنوده إلى المعصية ، كلاَّ.. ففي الحديث (**السمع والطاعة حــق على المرء المسلم فيما أحبَّ وكَرِه ما لم يُؤمر بمعصية ، فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**) [3] ، وقال ﷺ كذلك : (**إنما الطاعة في المعروف**) [4] .

---

(1) ولكن قد ينصح لها زوجها بما له من خبرة .

(2) مصنف ابن أبي شيبة ٥٤٥/٦ ، ح رقم ٣٣٧١٧ ، والطبراني في المعجم الكبير ١٨ / ١٧٠ ، ح رقم ٣٨١ ، وانظر : مسند الشهاب ٢ / ٥٥ ، ح رقم ٨٧٣ . ورواه (حم ك) عن عمران والحكم بن عمرو الغفاري ، وصححه صاحب جوامع الكَــلِــم .

(3) متفق عليه عن ابن عُمَر ﷺ ،. البخاري في صحيحه ، جــ٦ ص ٢٦١٢ حديث رقم ٦٧٢٥ ، ومسلم في صحيحه ، جــ ٩ ، ص ٣٧ حديث رقم ٣٤٢٣ .

(4) متفق عليه عن عليّ بن أبي طالب – كرَّم الله وجهه- .البخارى ٥٣/٢٢، حديث٦٦١٢ ، ومسلم ٣٧١/٩ رقم ٣٤٢٤ ، (حم ق) (د ن) عن عليّ ، وصححه صاحب جوامع الكَــلِــم .

وروي أنه ﷺ قال : **(لا طاعة في المعصية ، إنما الطاعة في المعروف)**[1].

وفي الحديث أيضاً : سيكون عليكم أمراء يؤخرون الصلاة عن مواقيتها ويحدثون البدع فقلت : يا رسول الله إن أدركتهم كيف أفعل ؟ قال : **(تسألني يا ابن أم عبد كيف تفعل ، لا طاعة لمن عصى الله)** [2] ، **وقال** ﷺ **(لا طاعة لِمَن لم يطع الله)** [3]، وقال ﷺ أيضاً : **(مَن أمركم مِن الولاة بمعصية فلا تطيعوه)**[4]

ولذلك نقول إنه لا سبيل لنفي مسئولية من أخطأ في الإدلاء بــصوتهِ الانتخــابي بأيِّ ذريعة .

ومن الركائز أيضا : **أن تعلم أنه في اختيار المُرشَّح لا أحد أصغر مِن أن يَنـصح ولا أحد أكبر مِن أن يُنـصح** ؛ ذلك أنه إذا صاحب السداد أحداً فهي الكرامة ؛ قال تعالى : ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ﴾ .

فإن سُليمان عليه السلام مع ما أوتيه من نبوةٍ ومُلكٍ عظيم قال له الهدهــد ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ ﴾ وقد أشار الله – تعالى – إلى مثــل ذلــك بقولــه ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴾ ثم أتبعها بقوله سبحانه ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ ﴾، وقال سبحانه في شأن يحيى﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ **قيل** : النبوة ،

---

(١) الراوي: علي بن أبي طالب: صحيح البخاري: ٧٢٥٧ ، وقصة الرواية أنه ﷺ بعث جيشا ، وأمر عليهم رجلا فأوقد ناراً ، وقال : ادخلوها ، فأرادوا أن يدخلوها، وقال آخرون : إنما فررنا منها ، فذكروا للنبيﷺ ، فقــال للذين أرادوا أن يدخلوها : **(لو دخلوها لم يزالوا فيها إلى يوم القيامة)** . وقال للآخــرين : **(لا طاعــة فــي المعصية ، إنما الطاعة في المعروف).**

(٢) الراوي: عبدالله بن مسعود: السلسلة الصحيحة للألباني : ١٣٨/٢وإسناده جيد على شرط مسلم

(٣) (حم) عن أنس، وحسنه صاحب جوامع الكَلِم. ورواه السيوطي في الجامع الصغير عن أنس رضي الله عنه٩٩٠١ والحديث حسن .

(٤) الراوي: أبو سعيد الخدري : السيوطي في الجامع الصغير: ٨٥٣٠ والحديث : صحيح

وقيل : التكلم بالصواب والحق بين الناس ، **وقيل** : إحكام الفعل على وجه الأمــر ، ذكره القشيريّ .

ولقد بيَّــن الحق سبحانه هدايته لبعض صغار السن دون غيرهم ؛

﴿ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ .

عَن مُحَمَّد بن معن الغفاري قال: أتت امرأة إلى عُــمر بن الخطابﷺ فقالت : يا أمير المؤمنين .. إن زوجي يصوم النهار ، ويقوم الليل ، وأنا أكــره أن أشــكوه وهو يعمل بطاعة الله عزّ وجلّ ، فقال لها : نِعم الزوج زوجك . فجعلت تكرر هــذ القول ويكرر عليها الجواب .. فقال له كعب الأسديّ : يا أميــر المــؤمنين .. هــذه المرأة تشكو زوجها في مباعدته إياها عن فراشه ، فقال سيدنا عُــمر : كما فهمــت كلامها فاقض بينهما .

فقال كعب : عليَّ بزوجها ، فأُتي به ، فقال له : إن امرأتك هذه تشكوك . قال : أفي طعام ، أو شراب ؟ قال : لا ، **فقالت المرأة :**

يا أيها القاضي الحكيم رشده ألهــى خليلي عن فراشي مسجده

زهــده في مضجعــي تعبــده فاقض القضا ، كعب ، ولا تردده

نهــاره وليلـــه مـا يرقــده

فقال زوجها :

زهدنــي في النســاء وفي الحجـل أني امــرؤ أذهلنـــي ما نزل

في سورة النحل وفي السبع الطول وفي كتاب الله تخويف جَلل

فقال كعب :

إن لها عليك حقاً يا رجُل نصيبها في أربع لمن عقل

فأعطها ذاك ودع عنك العلل

ثم قال : إن الله عزَّ وجلَّ قد أحلَّ لك من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فلك ثلاثة أيام ولياليهن تعبد فيهن ربّك ، فقال سيدنا عُــمَــر : والله ما أدري من أي أمــرك أعجب ؟ أمِن فهمك أمرها ، أم مــن حُــكمك بينهما ، **اذهب فقــد ولَّيتــك قــضاء البصرة** (١) .

---

(١) فقه السُــنة للشيخ / السيد سابق . الجزء الثاني ص ١٣٨ . ونقلت القصة بمعناها في فتاوى الشعراوي . ص ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، **قلت** : الملاحظ أن الشكوى هنا كانت لولي الأمر ، لتركه لها بالكلية زمناً طويلاً ، فلم يكن يأتيها بــالمرة ، ومن ثم فقد فوَّت مقصود الإعفاف .

وانظر إلى أدبها في مبدأ شكواها ، فلم تصرح للحياء المصاحب للأنثى والذي لا يأتي إلا بخير ، ولم يحملها على ذلك إلا طول المدة ، وإلا فقد كان سيدنا مُــحَــمَّــد ﷺ يختلي نحو الشهر ، وواعد سيدنا موسى – عليه السلام – ربَّـــه ثلاثين ليلة وأُتِــمَّــت بعشر ، كما أن المُــلاحظ أن الشكوى هنا لم تكن لآحاد الناس ، وإلا فمنهي عنها أشد النهي ومُــنَفَّــرٌ منها غاية التنفير ، كما أن شغل زوجها عنها لم يكن لضعفٍ جسديّ فيه بل لزهده مع كمال قوته ولهذا رُدَّ إلى الحق والتوسط ، وإلا فالناس يختلفون قوة وضعفاً ، بل إن هناك مَــن يدهش عن التعدد فضلاً عن الإتيان الكثير ناهيك عن نفس الزواج ، وليست الكثرة بمفردها بشيء ، وإنما الشأن بالإعفاف .

والحياة لا تخلو من منغصات ؛ كــهمّ أو مرض أو خلاف يؤثر على الإتيان والإعفاف ، فليس الأمر ميكانيكيــاً ، كما أنه ليس هناك أحدٌ عنده نزق دائم ، وإلا للحقه الحرج وقت حيض امرأته .

وقد أكدت البحوث والدراسات العلمية التى أجراها كينزى و"بل" و"هنت" و"ليفين" و"تروسل" أن المعدل فى الولايات المتحدة الأمريكية هو مرتان أو ثلاث مرات فى الأسبوع فى عمر العشرينات والثلاثينات ، وبعد تلك السن يقل تدريجياً، أما بعد الخمسين فيكون بمعدل مرة كل أسبوع أو أسبوعين بشرط توفر الظروف النفسية المناسبة من حيث طبيعة الحياة والعلاقة مع الزوجة وحالتها الجسدية. وبالطبع وُجد في كل هذه الدراسات أن الاختلافات الفردية لها مكانة كبيرة ولا بد أن تؤخذ بعين الاعتبار ؛ لأن كثيراً من شباب المتزوجين يقل بكثير عن ذلك المعدل ، ومنهم مَــن يزيد ، لكــن بشكل عام يتناسب عدد المرات تناسباً عكسياً مع طول مدة الزواج . كما تختلف معدلات الممارسة الزوجيــة مــن شخص لآخر وكذلك بالنسبة للشخص نفسه من مرحلة سنية لأخرى. وكذلك تبعاً لحالته النفسية ، **ولعل ذلك هو مــا سَــبَّــبَ اختلاف الأئمة الفقهاء** :

فقد قال الغزاليّ من الشافعية : وينبغي أن يأتيها في كل أربع ليالٍ مرة ، فهو أعدل ، لأن عدد النساء أربعــة ، فجــاز التأخير إلى هذا الحد ، نعم ينبغي أن يزيد أو ينقص حسب حاجتها في التحصين ، فإن تحصينها واجبٌ عليــه ، وإن كان لا تثبت المطالبة بالوطء ، فذلك لعُــسر المطالبة والوفاء بها .

وقال ابن حزم : وفرض على الرجل أن يجامع امرأته ، التي هي زوجته ، وأدنى ذلك مرة في كل طُــهر ، إن قدر على ذلك.إلا فهو عاص لله تعالى ... برهان ذلك قول الله عز وجل : **{ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ }** .

وذهب جمهور العلماء إلى ما ذهب إليه ابن حزم من الوجوب على الرجُــل إذا لم يكن له عذر .

وقال الإمام الشافعيّ : لا يجب عليه ؛ لأنه حق له ، فلا يجب عليه كسائر الحقوق .

فصغر السن لا يمنع نفوذ القول شريطة أن يكون الصغير على الحق وإلا عِيبَ عليه ، مثلما أنكرت السيدة عائشة – رضي اللهُ عنها– على أبي سلمة بن عبد الرحمن منازعته الصحاب ، وقالت : **(أراك كالفروج إذا اجتمع مع الديكة صايحها)**[1] رواه مالك في الموطأ .

وعندما جعل القاضي أبو يوسف لنفسه درساً ورأى شيخه الإمام أبو حنيفة أن ذلك سيشغله عن العلم أرسل إليه عشرة مسائل ، فجاءه أبو يوسف ، فقال له الإمام أبو حنيفة : ما جاء بك إلا مسألة القصَّار (الخياط) ، ثم قال له : " **تزببت ولم تـُحصرم** " ، فلزم درسه حتى مات رَحِمَهُ اللهُ [2] .

ونص الإمام أحمد على أنه مُـقدر بأربعة أشهر ، لأن الله قدره في حق المولى بهذه المدة ، فكذلك في حق غيره .

وقد سأل سيدنا عُـمَـر بن الخطاب ابنته السيدة حفصة – رضي الله عنهما – قائلاً لها : يا بُـنية .. كم تصبر المرأة على زوجها ؟ فقالت : سبحان الله .. مثلك يسأل مثلي عن هذا ؟ فقال : لولا أني أريد النظر للمسلمين ما سألتك . قالت : خمسة أشهر .. ستة أشهر . فَـوَقَّـتَ للناس في مغازيهم ستة أشهر .. يسيرون شهراً ، ويقيمون أربعة أشهر ويسيرون راجعين شهراً . من كتاب فقه السُـنة للشيخ السيد سابق ج ٢ ص ١٣٧ .

(1) مالك عن عائشة موقوف بلفظ : " **هل تدرى ما مثلك يا أبا سلمة . مثل الفروج يسمع الديكة تصرخ فيصرخ معها** " الموطأ ٦٣/٢ حديث ١٤٤ . وانظر الحاوي للماوردي . صـ ١١٤ .

(2) **يُـقال** : تزبب قبل أن يتحصرم وبالغ قبل أن يبلغ ، ورويت القصة عن الفضل بن غانم ، قال : مرض أبو يوسف فعاد أبو حنيفة مراراً ، وفي بعض هذه المرات رآه ثقيلا فاسترجع وقال : لقد كنتُ أؤملك بعدُ للمسلمين ، ولئن أصيب الناس بك ليموتن معك علم كثير ، وفى رواية : لئن مات هذا الغلام لا يخلفه أحد على وجه الأرض ، فبلغ ذلك أبا يوسف ، ثم رُزق العافية فأُعجب بنفسه وعقد لنفسه مجلساً في الفقه – فانصرف وجوه الناس إليه ، وقصر عن مجلس أبي حنيفة ، فسأل عنه فأُخبر أنه عقد لنفسه مجلساً ، وأنه بلغهُ كلامك فيه ، فدعا رجُـلاً كان له عنده قدر وقال له : سر إلى مجلس يعقوب فقل له : ما تقول في رجُـل دفع إلى قصار ثوبا ليقصره بدرهمين ، فسار إليه بعد أيام فطلب الثوب ، فقال له القصار : مالك عندي شيء ، و أنكره ؟ ثم إن صاحب الثوب – عاد إليه – وطلب ثوبه ، فدفع له الثوب مقصوراً . هل له أجرة ؟ فإن قال : له أجرة ، فقل : أخطأت ، وإن قال : لا أجرة له ، فقل أخطأت ، فسار إليه فسأله . فقال أبو يوسف : له الأجرة ، فقال : أخطأت ، فنظر أبو يوسف ساعة ثم قال : لا أجرة له ، فقال : أخطأت – ثم قام أبو يوسف مِـن ساعته فأتى أبا حنيفة ، فلما دخل عليه قال له أبو حنيفة : ما جاء بك إلا مسألة القصار . قال : أجل . فقال : سبحان الله مَـن قعد يفتي الناس وعقد لنفسه مجلساً يتكلم في دين الله تعالى : وهذا قدره – لا يحسن أن يجيب عن مسألة من الإجارات !!.

كما عاب الإمام الذهبيّ على بعض المنتسبين إلى علم الحديث بقولـــه : " **يريـــد أحدهم أن يطير ولَمَّـــا يُـــرَيِّش بعد** " .

وقد قيل : مَن يَكبُركَ بيوم يَـــفضُلُكَ بمعرفة عام .

لكن إذا كان الحق مع حديث سِـــن فإن صغر سنه لا يمنع نفوذ قولـــه ، فقـــد خالف ابن عباس رضي الله عنه في صِغر سِنه أكابر الصحابة ، **وقد قـــال الإمـــام علـــيّ** : " اعرف الحق تعرف أهله "(1) .

مما سبق يتبين أنــه لا حق لأحد في مُصادرة آراء الشباب الانتخابية ، إذ ربمـــا كانوا أصدق وأخبر مِن كثير ممَّن يُعدّون كباراً **وقد قال أبو بكر** رضي الله عنه (لا يحقـــرن أحدٌ أحداً من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير) (2) .

وإن كثيرين ممَّن نوَّه بهم صلى الله عليه وسلم وأبرز ما لهم من مواهب ومَلَكَات كانوا شـــباباً ، مثل أسامة بن زيد الذي ولاَّه قيادة جيش فيه بعض كبار الصحابة وأصرَّ سيدنا أبـــو بكر على إنفاذه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، فخرج ورجع منتصراً بفضله سبحانه .

وعتَاب بن أُسَيِّد ، الذي استخلفه على مكة وهو ابن العشرين ، ومُعاذ بن جبـــل الذي أرسله إلى اليمن وهو شابٌ صغير السن ، وبعضهم قدَّمه على السابقين فـــي الإسلام ، لمزية عنده ، كما فعل مع خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص – رضـــي الله عنهم أجمعين .

فقال : يا أبا حنيفة علِّـــمني – فقال : إن كان قصره بعد ما غصبه فلا أجرة له لأنه إنما قصره لنفسه ، وان كان قـــصره قبل أن يغصبه فله الأجرة لأنه قصره لصاحبه . انظر التراجم المهمة للأربعة الأئمة للشيخ محمد خليل الخطيب ص ٣٣ ، ٣٤ .

(1) فيض القدير للمناوي عن عليّ ٣٣٨/٣ ط دار المعرفة بيروت .

(2) الغزالي فى الإحياء ٣٣٨/٣ ط دار المعرفة بيروت ، وانظر صحيح وصايا الرسول . لـــ سعد يوسُـــف أبو عزيز ج ٣ صـــ ٢٨٨ .

وقد قال علي بن أبي طالب ﷺ عندما بُعث إلي اليمن قاضياً : (يا رسول الله : إنك تبعثني إلي قوم ذوي أسنان وأنا حديث الـــسن ، فقـــال رســـول الله ﷺ: (**إن الله سيهدي قلبك ويُـــثبت لسانك**)[١] .

وعن عبد الله بن عُمر – رضي الله عنهما – قال : قال رســـول الله ﷺ : (**إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم فحدثوني ما هـــي ؟** ، فوقـــع الناس في شجر البوادي ، أو فقال القوم : هي شجرة كذا هي شجرة كـــذا ، ووقـــع في نفسي أنها النخلة ، قال عبد الله : فاستحييت ، وفي رواية : فأردت أن أقول هي النخلة ، وأنا غلام شابٌ فاستحييت ، فقالوا : يا رسول الله . أخبرنـــا بهـــا ، فقـــال رسول الله ﷺ : **هي النخلة** ، قال عبد الله : فحدَّثتُ أبي بما وقع في نفسي ، فقال : لأن تكون قلتها أحبّ إليَّ من أن يكون لي كذا وكذا)[٢] .

وقد رأينا عُمَر الفاروق ﷺ يطلب رأي ابن عباس في بعض الأمور وهـــو شـــابٌ صغير السن ، ويقول له أمام كبار الصحابة : (**تكلم يا ابن عباس ولا يمنعك حداثة سِنك**)[٣] .

وكيف لا وهو حبر الأمة وترجمان القرآن الذي عُـــلِّم تأويله ، والذي فطن فـــي تفسير سورة النصر لما لم يفطن له بعض كبار الصحابة بمَحضِرٍ من سيدنا عُـــمر ابن الخطاب ﷺ [٤] .

وحين قدِم سيدنا عليّ بن أبي طالب ﷺ ، البصرة دخل جامعها فوجد القصاص يقصون ، فأقامهم ، حتى جاء إلى الحسن البصرى ، ﷺ ، فقال : يـــا فتـــى إنـــي

---

(١) أبو داود (٣٥٨٢) ، وأحمد (١ / ١١١) ، وقال الشيخ أحمد شاكر في المُـــسند : صحيح رقم (٦٦٦) ، والحاكم (٤ / ٨٨) وقال : صحيح على شرطهما ولم يخرجاه ووافقه الذهبيّ ، مشار إليه فى موسوعة نضرة النعـــيم فـــي مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ ، المجلد السابع ، ص ٢٨٠٥ ، ٢٨٠٦ . وفي مسند أحمد بلفظ : " **فإن الله تعـــالى سيثبت لسانك ويهدي قلبك** " ١ / ٨٨ رقم ٦٦٦ .

(٢) رواه البخاري ومسلم وهو في البخاري بلفظ : " **فوقع الناس في شجر البادية** " ١ / ٦١.

(٣) النية والإخلاص د / يوسف القرضاوي صـــ٧٦ .

(٤) البخاري (١١ / ٤٥٦) ح / ٣٣٥٥ .

سائلك عن أمر فإن أجبتني عنه أبقيتك ، وإلا أقمتك كما أقمت أصـــحابك – وكـــان رأى عليه سمتاً (السكينة والوقار وحُسن الهيئة) وهدياً ، فقال الحسن : سَل عمـــا شئت قال : ما ملاك (ملاك الشيء : قوامه وأصله) الدين ؟ قال : الورع ، قـــال : فما فساد الدين ؟ قال : الطمع ، قال : اجلس فمثلك مَـــن يتكلم على الناس(١) .

ويتحدث " **صالح بن كيسان** " فقيه المدينة العظيم عن طفولة ابن عبـــد العزيـــز فيقول : " **ما خبرت أحداً ، الله أعظم في صدره من هذا الغلام** " .

وفي طفولة – ابن عبد العزيز – نرى احتراماً للنفس – نادر المثـــال، فهـــو لا يتجنب اللهو المُباح لأمثاله وأنداده فحسب ، بل يأخذ نفسه أخذاً وطيداً بما لا يقـــدر عليه سوى أولي العزم من الرجال ..!!

وهو لا يتجنب من الأخطاء ما يُحاسب عليه الكبار ، ويُغتفـــر للـــصغار .... ، بل يتجنب منها كل خطأ كبير كان أم صغير .

فرذيلة كالكذب – مثلاً – كان يواجهها بمقتٍ شديدٍ، ورفضٍ أكيدٍ

فيقول : " ما كذبت مُذ شددت عليَّ إزاري وعلمتُ أن الكذب يضرّ أهله **!!** " .

وقد كان عُمَر بن عبد العزيز يلتمس الحكمة والصواب وراء ألسنة الـــصادقين حتى حين يكون أحدهم طفلاً (٢) .

قدم عليه وفد من المدينة يوماً، وتقدم من بينهم غلامٌ صغير ليتحـــدث باســـمهم ويعرض قضيتهم ، فتملاَّه أمير المؤمنين، وقال له : "**يا بُنيّ ... دع القول لمن هـــو أسَن منك** "

ويبدو أن الغلام العربي الأصيل كان يحمل نبوغاً مبكراً ، فقد أجاب الخليفة من فوره : " **يا أمير المؤمنين ...** " **المرء بأصغريه : قلبه ولسانه** " ، **ولو كان الأمـــر**

---

(١) غيث المواهب العلية ، صـــ ١٣٤ .

(٢)على أن يكون ذلك مصحوباً بالأدب وتوقير الكبير .

بالسِن ، لكان في المسلمين من هو أحق بهذا الأمر منك " ، وفجأة تنثـال دمـوع الغِبطة والفرح من عيني عُمَر بن عبد العزيز ويتهلل وجهه ، ويهتـف بـالغلام : " **صدقت .. صدقت ، عِظني يا بُنيّ ..**" [1] .

وروى بعضهم : أنه لما أفضت الخلافة إلى عُمر بن عبد العزيز أتتـه الوفـود فإذا فيهم وفد الحجاز ، فنظر إلى صبي صغير السن ، وقد أراد أن يـتكلم فقـال : ليتكلَّم مَن هو أسن منك فإنه أحق بالكلام منك . فقال الصبي : يا أمير المؤمنين ولو كان القول كما تقول لكان في مجلسك هذا مَن هو أحق به منك ، قال : صدقت فتكلم فقال يا أمير المؤمنين : إنا قدمنا عليك مِن بلد نحمد الله الذي مَنَّ علينا بـك ، مـا قدمنا عليك رغبة منا ولا رهبة منك ، أما عدم الرغبة فقد أمنا بك فـي منازلنـا ، وأما عدم الرهبة فقد أمنا جورك بعدلك والسلام ، فقال له عمر رضي الله عنه : عظنـي يـا غلام . فقـال : يا أمير المؤمنين إن إناساً غرهم حِلم الله وثناء الناس علـيهم فـلا تكن ممـن يغره حلم الله وثناء الناس عليه فتزلَّ قدمك وتكون من الـذين قـال الله فيهم، ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال : ٢١] فنظر سيدنا عُـمَـر في سن الغلام فإذا هى اثنتا عشرة سنة فأنشدهم عمر رضي الله عنه :

تعلَّم فليس المرء يولد عـالماً ... وليس أخو علم كمن هو جاهل
فإن كبير القوم لا علم عنده ... صغير إذا التفت عليه الجحافل [2]
وإن صغيـر القوم إن كان عالمـاً ... كبيـر إذا ردت إليـه المحـافـل[3]

---

(١) خلفاء الرسول . خالد مُحَمَّد خالد صـ ٥٦٤ .
ورُويت بلفظ أن قوماً قدموا على عُـمَـر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، فقام شاب يتكلم ، فقال عُـمَـر : الكُـبَـر الكُـبر ، فقال : يا أمير المؤمنين . لو كان الأمر بالسن لكان في المسلمين مَـن هو أسن منك ، فقال : تكلم ، فقال : لسنا وفد الرغبة ، ولا وفد الرهبة : أما الرغبة فقد أوصلها إلينا فضلك ، وأما الرهبة فقد أمننا منها عدلك ، وإنمـا نحن وفد الشكر ، جئناك نشكرك باللسان . انظر : معيد النعم ومبيد النقم للشيخ الإمام تاج الدين السُـبكي ص ١١ .
(٢) اللطائف في الحكم والمعلومات والطرائف ، أحمد عبد الرحيم ، ص ٨٩ .
(٣) ديوان الإمام الشافعي ، ص ٢٨. قلت : **ولعل البيتين الأوليين** مما استشهد به الإمام الشافعيّ وليسا له .

وممَّا يُذكر في هذا المقام أن سيدنا معاذ بن جبل مع بالغ إسهاماته – حتى اهتز لموته عرش الرحمن – أسلم وعُـمره ثلاثون عاماً فقط وتوفي وعمره لا يتجـاوز ستة وثلاثون عاماً ، كما كان عُـمر بعض الصحابة مع بداية إسهاماتهم البالغة في خدمة الدين صغيراً ، فكان عُـمر سيدنا عليّ بن أبي طالب ١٨ سـنة ، وعُـمر سيدنا عامر بن فهيرة ٢٠ سنة ، والسيدة أسماء بنت أبي بكر ١٥ سنة ، وسيدنا عبد الله بن أبي بكر ١٢ سنة ، وسيدنا عبد الله بن عبَّـاس ١٣ سنة ، وباقي العبادلـة الأربعة كانوا شباباً .

وتولَّى سيدنا عُـمَر بن عبد العزيز الخلافة وعمره خمسة وثلاثين عامـاً فقـط ومكث فيها تسعة عشر شهراً غيَّر خلالها الدنيا وعلَّم النـاس صـغيرهم وكبيـرهم وتوفي بعدها .

وحين قدم عبد الملك بن مروان المدينة ورأى شيوخاً يجلسون أمـام القاضـي الإمام إياس بن معاوية وكان عمره سبعة عشر سنة ، فسأله : يا فتى . كم سـنك ؟ فقال : أطال الله عمرك أيها الأمير ، سني كسن أسامة بن زيد حين ولاَّه رسول الله ﷺ جيشاً فيه أبي بكر وعُـمر .

كما رُوي أن الخليفة المأمون قلَّـد يحيى بن أكثم قضاء البـصرة وكـان ابـن ثماني عشرة سنة فطعن بعض الناس في ولايته لحداثة سنه فكتب إليه المأمون : كم سن القاضي ؟ فأجاب يحيى بقوله : أنا في سن عتاب بن أسيد حـين ولاه الرسـول ﷺ على مكة (١) .

كما عاش الإمام النوويّ خمساً وأربعين عاماً فقط (٦٣١- ٦٧٦ هـ) ملأ فيها الدنيا علِماً .

---

(١) النظام القضائي ص ٦ .

وكان الإمام النووي راجحاً في معارفهِ على غيرهِ مِمَّن هم أسن مِنــه . مهتــدياً إلى مواقع الصواب ، هارباً مِن لهو الصبيان إلى رضا الرحمن .

يقول شيخه فى الطريقة الشيخ ياسين بن يوسف الزركشيّ : رأيت الشيخ مُحيي الدِّين وهو ابن عشر سنين بنوى والصبيان يُكرِهونه على اللعب معهم ، وهو يهرب منهم ويبكي لإكراههم ، ويقرأ القرآن في تلك الحال فوقع في قلبي حُبَّه [١] .

كما ينقل المزني عنُ الإمام الشافعيّ قوله : " ثلاثة من عجائب الزمان : عربي لا يعرب كلمة : وهو أبو ثور ، وأعجمي لا يخطئ فــي كلمــة : وهــو الحَــسَن الزعفراني ، وصغيرٌ كلما قال شيئاً صدّقه الكبار : وهو أحمد بن حنبل "

والسلطان قطــز (محمود بن ممدود) كان عُمرهُ نيِّــف وثلاثين عاماً ، تــولَّى الحُــكم قبل موقعة عين جالوت بنحو عشرة أشهر ، ونصر الله به المسلمين فيهــا ، ومات بعدها بنحو شهر ونصف ، ولكن بعد أن غيَّــر الله به مجرى التاريخ .

وفتح القائد محمد (الفاتح) القسطنطينية وعمره ستة وعشرون عامــاً . وكــان الرسول ﷺ قد بشر بفتح القسطنطينية وأثنى علــى فاتحيهــا بقولــه : " **لتفــتحن القسطنطينية فنعم الأمير أميرها ونعم الجيش ذلك الجيش** " [٢] .

وعاش سيبويه ثلاثة وثلاثون عاماً وكُلنا يعلم مَــن سيبويه ، وعــاش الإمــام الشيخ إبراهيم الدسوقي أربعين عاماً فقط . وكلهم علَّموا الكثيرين ممَّن في عصرهم والملايين ممَّن جاء بعدهم .

---

(١) مقدمة صحيح مُسلم صـــ١٢ .

(٢) الراوي: بشر الخثعمي: إتحاف الخيرة المهرة للبوصيري : ١٠٦/٨ ورواته ثقات .

مما سبق يّبين أن السّن أهون من أن يكون له وزن في معرفة مقالة الحق ومقالة الباطل ، وأن الصغير قد يسبق الكبار ، وربَّما فطن في تقييم المُرشَّـحين لمـا لـم يفطن له مئات الرجال الَّذين يبلغ سِن الواحد منهم ضعفي أو ثلاثة أضعاف عُمـره أو يزيد .

ومما يُذكر في هذا المقام قول **الإمام أبو حنيفة** " إذا بلغ الرجل خمسة وعشرين سنة أستحي أن أحجر عليه لأنه يُحتمل أن يكون جدا " [1] .. فتأمـل يـا صـاحب الثلاثين والأربعين وأكثر منها ، أيليق بك أن تكون إمَّعة لغيرك في رأيه الانتخـابيّ وإن كان خاطئاً .

يقول الأبشيهى في المستطرف : " اعلم أن العقل ينقسم إلى قـسمين: قـسم لا يقبل الزيادة والنقصان ، وقسم يقبلهما ، فأمَّا الأول : فهو العقل الغريزيّ المُـشترك بين العقلاء ، وأمَّا الثاني : فهو العقل التجريبي، وهو مكتسب ، وتحـصل زيادتـه بكثرة التجارب والوقائع ، وباعتبار هذه الحالة يقال إن الشيخ أكمَـلُ عقـلاً وأتـمّ دراية، وأن صاحب التجارب أكثر فهماً وأرجح معرفة ، **ولهذا قيل:** مـن بَيّـضت الحوادث سواد لمّته وأخلقت التجارب لِباس جدته ، وأراد الله تعالى لكثرة ممارسـته تصاريف أقداره وأقضيته ، كان جديراً برزانة العقل ورجاحة الدراية ، وقد يخـص الله تعالى بألطافه الخفية من يشاء من عباده ، فيفيض عليه مـن خـزائن مواهبـه رزانة عقل وزيادة معرفة تخرجه عن حدّ الاكتساب ويصير بها راجحاً علـى ذوى التجارب والآداب ، ويدل على ذلك قصة يحيى بن زكريا – عليهما السلام – فيمـا أخبر الله تعالى في مُحكم كتابه العزيز ، حيث يقول ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ ، فمن سبقت له سابقة من الله تعالى في قسم السعادة وأدركته عناية أزلية ، أشـرقت

(١) أدلة الإثبات في الفقه الإسلامي . د/أحمد فراج حسين صـ٣٦١. عن بدائع الصنائع للكاسـاني ج ٧ صـ ٢٢٨ ، وقيل: كان بين سيدنا عمرو بن العاص وولده سيدنا عبد الله – رضي الله عنهما – ثلاثة عشر عاماً فقط .

على باطنه أنوار ملكوتية ، وهداية ربانية ، فاتصف بالذكاء والفطنة قلبه وأسفر عن وجه الإصابة ظنه ، وإن كان حديث السن ، قليل التجربة، كما نُــقِلَ فـــي قــصة **سُــليمان بن داود** – عليهما السلام – حيث ردَّ حُكم أبيه داود عليه السلام في أمر الغــنم والحرث ، وهذه المعرفة والدراية لم تحصل لِسُــليمان بكثرة التجربة وطول المدة ، بل حصلتا بعناية ربانية وألطاف إلهية ، وإذا قذف الله تعالى شيئاً من أنوار مواهبــه في قلب من يشاء من خلقه اهتدى إلى مواقع الصواب ، ورجح على ذوي التجارب والاكتساب في كثيرِ من الأسباب " [١] .

وما أصدق قول الإمام ابن عطاء الله السكندري " **رُبَّ عُمر اتسعت آماده وقلَّت أمداده ، ورُبَّ عُمر قليلة آماده كثيرة أمداده** " [٢] .

وقال في الحِكم العطائية أيضاً:"**مَــن بورك له في عمره أدرك في اليسير مِــن الزمن مِن منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة ولا تلحقه الإشارة** " [٣] .

(١) المُستطرف في كل فنٍ مُــستظرف للأبشيهي صـــ١٦.

(٢) كشف الغطاء شرح ترتيب حِكَم سيدي أحمد بن عطاء الله الإسكندري . للإمام الشيخ / مُحَمَّد خليل الخطيب . صــــ ١٠٣ .

(٣) المرجع السابق ص ١٨٤ .

العــدل مع المُوافق ونقده بالحـق

إن مِن ركائز فقه الاختلاف المؤدي إلى الائتلاف : أن يعدل المــرء مــع مَــن يوافقه في المذهب والمشرب والحِزب والرأي والتوجه ، ولا يكون مُتحيزاً له بالحق وبالباطل ، بحيث لا يرى إلاَّ محاسنه ، ويغضي عن كُــلّ عيوبه ومآخــذه ، كمــا يفعل أهل الأهواء مع أصحاب نِحلتهم ، فهُم عِندهم مُبرءون مِن كُــــل نقيــصة ، موصوفون بكُــل فضيلة .

كما قال الإمام الشافعيّ فيما يُروى عنه :

فلســت بــراءٍ عيب ذي الود كله ولا بعـض ما فيه إن كنت رائيا
فعين الرضا عن كُل عيبٍ كليلة ولكن عين السخط تُبدي المساويا [١]

وقد صحب رجُــلٌ (أبا إسحاق إبراهيم بن أدهم) فلما أراد أن يفارقه قال له : (لو نبهتني على ما فيَّ من العيب ، فقال له : (يا أخي لم أر لــك عيبــاً ؛ لأنــي لحظتك بعين الوداد فاستحسنت منك ما رأيت ، فاسأل غيري عن عيبك [٢].

وقيل في الأمثال: " أقبح مِن القبيحة في عين ضرتها وأجمل مِن الحــسناء فــي عين أمها " [٣].

قال ابن تيمية : " ثم الناس في الحُبّ والبُغض والمُوالاة والمُعاداة هُــم أيــضاً مُجتهدون يُصيبون تارة ويُخطئون تارة ، وكثيرٌ مِن الناس إذا علِم مِن الرَّجُــل مــا يُحبّــه أحبَّ الرَّجُل مُطلقاً ، وأعرض عن سيئاته ، وإذا علِم مِنه ما يُبغضه أبغــضه مُطلقاً وأعرض عن حسناته "[٤] .

---

(١) ديوان الإمام الشافعي ، مرجع سابق ص ١٩ .
(٢) رسالة الأنوار في صحبة الأخيار وبعض من آدابهم للإمام عبد الوهاب الشعراني ص ٧٧ ، ٧٨ .
(٣) ص٢١٢ سمير الصالحين وأنيس المتقين. الجزء الثاني . أحمد الشهاوي سعد شرف الدين . ط المكتبة التوفيقية .
(٤) كيف نتعامل مع التراث والتمذهب والاختلاف. د/ يوسُف القرضاوي . صــ ٥٢

وقد ورد " حُبُّـك الشيء يُعمي ويـُصِمّ " (١)

والواجب على المُسلم أن يشهد في الانتخابات بالقسط ، ولـو علـى نفسه أو الـوالِدَين والأقـربين ، ومعنى هـذا أن يكون فوق عواطف الحُـب أو الأبـوة أو الأخوة أو القرابة، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾

وكما قال تعـالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ .

قال القرطبيّ : لا خلاف بين أهل العِلم أنَّ شهادة الولد على الوالِدَين ماضـية ، ولا يمنع ذلك مِن برِّهما ، بل مِن برِّهما أن يشهد عليهما ويُخلِّصهما مِن الباطـل ، وهو معنى قولهِ تعالى ﴿ قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ .

فالحق أحقُ أن يُتبع ، والعدل أولى أن يُلتزم ، بغض النظر عن عواطف الحُـب ومشاعِر البُغض ، وهذا ما تفتقر إليه مُجتمعاتنا .

وقد رأينا القرآن يعاتب الرسول ﷺ ، لأنهُ فعل الصواب ظاناً أنَّهُ الأصـوب ، وهو المُبلّغ عن الله ما أوحي إليه من ربِّه ، ولم يمنعه ذلك أن يتلو على الناس هـذه الآيات ، مثل قوله تعالى فـي الإذن للمنـافقين : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ .

---

(١) ذكره العجلونى في كشف الخفاء ٣٤٣/١ حديث ١٠٩٥ ، وقال : اسناده ضعيف . ورواه (حم تخ د) عن أبي الدرداء (كر) عن عبد الله بن أنيس ، وحسنه صاحب جوامع الكَـلِـم .

وقوله تعالى في قصة أسـرى بـدر ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

وقوله سُبحانه في قصة السيدة زينب وزوجها زيد بن حارثة – رضي الله عنهما – ﴿ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ ﴾.

وقوله جلَّ شـأنه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

ونحو ذلك من الآيات، التي قالت فيها السيدة عائشة – رضي اللهُ عنها – : (لو كان مُحَمَّد كاتماً شيئاً ممَّا أُنزل عليه لكتم هؤلاء الآيات) [1] .

لذلك فإن على كُـل أحد أن ينصح لأخيه في إبداء رأيهِ الانتخابي ، ويُبَصِّرهُ ويعاتبهُ إن بدا لهُ منهُ في ذلك غير الحق .

---

[1] مسلم عن عائشة بلفظ **(لو كان مُحَمَّد كاتماً شيئاً مما أنزل عليه لكتم هذه الآية : " وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه ..** " ، ٤٨/٢ رقم ٤٥٨ ، وانظر كتاب : كيف نتعامل مع التراث والتمذهب والاختلاف لـ د / يوسف القرضاوي صـ ١٦٣ ، ١٦٤ .

إنصـــاف المُخالـــف

إن من الركائز المُهمة أيضاً : إنصاف الخصوم ، وإعطـاءهم حقهـم مـن الناحية الأدبية ، كما يعطون حقهم من الناحية المادية .

فلا يجوز أن اُهضم حقك ، وأغفل عمداً ذكر حسناتك ، والتنويــه بفـضائلك ، لمجرد خلافي معك في قضيةٍ انتخابيةٍ أو أكثر ، كما يفعل كثيرون ، يجورون على خصومهم ، فلا يكادون يعترفون لهم بحسنة ، وإن عرفـوا لهـم سـيئة أذاعوهـا ونشروها ، بل ربما ضخّموها ، وجعلوا من الحبَّة قبة ،ومن الفأر جملاً ، فهم كمـا قال الشاعر قديما :

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحاً — مني وما سمعوا من صالحٍ دفنوا

صُمٌ إذا سمعوا خيراً ذُكرتُ به — وإن ذُكـرتُ بسـوءٍ عندهـم أذنـوا

جهلاً علينا وجُبناً عن عدوِّهمو — لبئست الخُلّتان : الجَهل والجُبن

والمُسلم الحق هو الّذي يقضي بالعدل ، ويعمل بالإنصاف مع النـاس جميعـاً : برّهم وفاجرهم ، مُسلمهم وكافرهم ، قريبهم وبعيدهم صديقهم وعدوِّهم ، فالعـدل لا يعرف عواطف الحُبّ والبُغض ، بل هو عدل الله لكلّ عباد الله .

قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

ولقد علّمنا القرآن الكريم الإنصاف في التعامل مع الخصوم ، والعدل في الحُكم عليهم أو لهم، كما قال تعالى عـن اليهـود ﴿ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ .

وقد أنزل الله تعالى في سورة النساء تسع آياتٍ من كتابه الخالد ، تـــدافع عـــن يهودي اتهم ظلماً بالسرقة ، ولم يسرق ، وإنما سرق مسلم أراد قومه أن يُبرئـــوه ، ويُـــلصقوا التهمة باليهودي ، وكاد الرسول ﷺ يُصدقهم ويجادل عنهم ، فـــأنزل الله آياته تُحق الحق ، وتُبطل الباطل ، وتؤكد عدل الله لجميع عباد الله ، مسلمين كـــانوا أو يهوداً .

يقول تعالى لرســوله ﷺ : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَـٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ... ﴾ **إلى آخر الآيات .**

ولما بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يخرص على أهل خيبر ثمارهم وزرعهم ، أرادوا أن يرشوه ليرفق بهم ، فقال: " والله لقد جئتكم مِـــن عنـــد أحـــبّ الخلق إليّ ولأنتم أبغض إليّ ، وما يحملني حُبِّي إياه وبغضي لكم علـــى ألا أعـــدل فيكم " ، فقالوا جميعاً : بهذا قامت السماوات والأرض[(١)] .

ولا عجب أن تعلَّم الصحابة رضي الله عنهم وكذلك العلماء أن يقفوا مع الحق ، ولو كـــان مع يهوديّ أو نصرانيّ أو مجوسيّ أو مع مَـــن يبغضونه ، وأن يقاوموا الباطـــل ، ولو كان مع مسلم ، بل ولو كان مع أقرب الناس إليهم .

---

(١) روضة الخطباء ص ٢٦٤ .

وقد رأى سيدنا عُـمر قاتل أخيه زيد بن الخطاب ، فقال له الفاروق : اغـرب عن وجهي فإني لا أحب أن أراك ، فقال له : هل يحملك هذا علـى أن تظلمنـي ، قال: لا ، فقال له : إنما يبكي على الحُـبّ النساء .

كما كتب سيدنا عُـمَـر إلى عامله في العراق أن ينصب لهم قاضياً خاصـاً ، فنصب لهم قاضياً اسمه جميح بن حاضر الباجي ، فسمع شكواهم وحالهم مع القائـد قتيبة وحكم بخروج المسلمين من سمرقند وأن يعود أهل سـمرقند إلـى حـصونهم وينابذهم قتيبة على سواء (أي يخبرهم بأنه سيغزوهم علناً قبل غـزوه لهـم ، ثـم يحاربهم إن أبوا) وخضع القائد العظيم وجيشه لحكـم القاضـي(جمـيح) وهـمَّ المسلمون بالانسحاب من المدينة ، فلما رأى أهل سمرقند أن الأمر جد وأنهـم لـم يشهدوا عدلاً مثل هذا العدل قالوا : (مرحبا بكم سمعنا وأطعنا) (١) .

وهذا القاضي شريح وقد كفل ولده رجُـلاً فقبل كفالته ، فما كان مِـن الرجُـل إلا أن فرَّ هارباً .. ، فسجن شريح ولده بالرجُـل الفارّ ؟ ! ، وكان ينقل له الطعـام في السجن أياماً (٢) .

كما حكم القاضي شُريح أيضاً في قضية لصالح نصراني ضد خصمه ، وكـان خصمه هو الخليفة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ وهو ما جعـل الرجـل يُعلن إسلامه، لأن هذه الأحكام العادلة لا تكون إلاَّ من أنبياء أو أصحاب أنبياء (٣)

---

(١) النظام القضائي ص ٢٠ .

(٢) فقه الحركة في المجتمع ص ١٦ .

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٥٧/١ ، وانظر كيف نتعامل مع التراث والتمذهب والاختلاف . مرجع سابق صـ ١٦٦ ، ١٦٧ .

وقد جاء في وصية الإمام الأوزاعيّ للخليفة العباسيّ أبي جعفر المنصور ، أنـــه رُوِيَ سيدنا عُـــمَـــر بن الخطاب ﷺ قوله : اللهم إن كنت تعلم إني أبالي إذا قعـــد الخصمان بين يديَّ على مَـــن كان الحق مِـــن قريب أو بعيد فلا تمهلنـــي طرفـــة عين(١) .

وفي كتاب الخراج للقاضي أبي يوسف إلى الخليفة العباســـي الـــشهير هـــارون الرشيد : " ... واجعل الناس عندك في أمر الله سواء القريب والبعيد .... "(٢)

وفي العصر الحديث أمر الشيخ عبد القادر الجزائري جنوده بحراســـة الـــذميين مِـــن أهل الشام مِـــن بعض مَـــن أراد النيل منهم انتقاماً لما ألحقه بهم أهل ملـــتهم مِـــن الغرب ، وقال لجنوده : " اعلموا أن ما تقومون به الآن لا يقل أجراً عنـــد الله عن ما كنتم تقومون به في الجزائر ضد المستعمر " .

ورُوي أن الأشعث بن قيس دخل على القاضي شريح في مجلس الحكومة فقـــال شريح : مرحباً وأهلاً وسهلاً بشيخنا وسيدنا ، وأجلسه معه ، فبينما هو جالس معـــه إذ دخل رجُـــل يتظلم من الأشعث ، فقال له شريح : قم فـــاجلس مجلـــس الخـــصم وكلِّـــم صاحبك ، فقال : بل أكلمه في مجلسي ، فقال له : لتقومن أو لآمرن مَـــــن يُـــقيمك ، فقام امتثالاً لأمر القضاء .

ويروي القاضي أبو يوسف عن نفسه : أنه جاءه رجُـــل يَـــدَّعي أن له بـــستاناً في يد الخليفة ، فأحضر الخليفة إلى مجلس القضاء وطلب من المدعي البينة فقال : غصبه المهدي مني ولا بينة لديّ وليحلف الخليفة ، فقال أمير المـــؤمنين : البـــستان

(١) الدستور المصري ورقابة دستورية القوانين ، د / مصطفى أبو زيد فهمي ، ص : ١٦ ، ١٧ .

(٢) الدستور المصري ورقابة دستورية القوانين ، د / مصطفى أبو زيد فهمي ، ص : ١٧ .

لي اشتراه لي المهدي ولم أجد به عقداً ، فوجَّـه القاضي أبو يوسف إلـى الخليفـة اليمين ثلاث مرات فلم يحلف الخليفة فقضى بالبستان للرجُـل [1] .

فمن القيم الرفيعة المأمور بها في ديننا ، والمتوازنة عندنا أن نكون عدولاً حتى مع خصومنا ولو كان كفاراً معادين لنا كما قـال تعـالى ﴿ **وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ** ﴾ .

ولهذا فقد تعامل الصحابة والأئمة الأعلام مع مخالفيهم بالعدل والاعتدال ، بـل بالحُبِّ والإخاء ، ولم تدفعهم المُخالفة في الرأي إلى الخصومة أو الطعن والتجـريح ووسع بعضهم بعضاً ، وصلَّى بعضهم وراء بعض ، حتـى الخلفـاء الراشـدون – والسلطة بأيديهم – كانوا يحترمون آراء الآخرين ولا يُجبرون الناس علـى اتبـاع آرائهم وإن كانوا يرونها صواباً .

عن سيدنا عُمَر رضي الله عنه أنه لقي رجلاً فقال له : ما صنعت **(**في قضيةٍ له**)** ؟ **فقـال الرجل:** قضى **(عليّ)** و**(زيد)** بكذا ، **قال** : لو كنت أنا لقضيت بكذا ، **قـال** : فمـا يمنعك والأمر إليك ؟ **فقال** : " لو كنت أردّك إلى كتاب الله أو إلـي سُـنة نبيِّـه ﷺ لفعلت ، ولكني أردّك إلى الرأي وهو مشترك " [2] .

وقال الأثرم : سمعت أبا عبد الله (يعني أحمد بن حنبل) يُسأل عن رجل يقـدم وعليه جلود الثعالب أو غيرها من جلود الميتة المدبوغة ، **فقال:** إن كان لبسه وهـو يتأول (**أيُّما إهابٌ دُبغ فقد طهر)** فلا بأس أن تصلِّى خلفه ، **قيل له** : فتـراه أنـت

---

(1) النظام القضائي ص ١١ .

(2) مناهج الاجتهاد . د / أحمد الشافعي صـ ٣٢ . عن جامع بيان العِلم وفضله . (٢ / ٥٦) .

جائزاً ؟ **قال** : لا ، نحن لا نراه جائزاً لقول النبيّ ﷺ (**لا تنتفعوا من الميتة بإهابٍ ولا عصب**) ولكن إذا كان يتأول فلا بأس أن يصلَّى خلفه .

وكيف لا وقد حُــكي عنهُ وعن كُــل إمامٍ قوله : " **رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب** " [(١)] .

كذلك كان الأئمة المجتهدون يعرفون قدر بعــضهم الــبعض رغــم خلافهــم . **ونجتزىء من ذلك بعض ما لا بُــدَّ منه :**

فمثلاً : يقول الإمام **مالك بن أنس** رَحِمَهُ اللَّهُ في الإمام أبي حنيفة النعمان : (**لو قايسكم صاحبكم على أن هذه السواري من ذهبٍ لفعل**)، وذلك احترامــاً لمنزلتــه وإبرازاً لمقدرته وقوة حجته .

ويرى الإمام الليث بن سعد رَحِمَهُ اللَّهُ **مالكاً** رضي الله عنه معروقاً – يعنــي يــسيل منــه العَرَق– ، فيسأله عن ذلك ، فيخبره بقوله : كنت مع أبي حنيفة ... إنــه لفقيــه يُــا مصري .

ويذهب الليث إلى أبي حنيفة ليُبلِّغه ما قال مالك في شأنه ويقول ما أحسن قــول هذا الرجل فيك ؟ فيجيب أبو حنيفة بقوله : " ما رأيت أحداً أســرع مِنــهُ بجــوابٍ صادق ونقدٍ تام " .

وحُكي أن الإمام مالك كتب على سارية المسجد :

من أراد العلم النفيس   فعليه بمحمد بن إدريس

فكتب الشافعي تحتها :

كيف يكون ذلك   والشافعيُّ تلميذ مالك

وقال الإمام الشافعي عن الإمام مالك : " مالك حُجَّة الله على خلقه" .

---

(١) كيف نتعامل مع التراث . مرجع سابق صـــ ٥٦ .

وقال عن الإمام أحمد بن حنبل : " خرجت من بغداد وما خلفت فيها أفقـه ولا أورع ولا أزهد ولا أعلم من ابن حنبل " .

كما ينقل المزني عنهُ قوله: "ثلاثة من عجائب الزمان : عربي لا يعرب كلمة : وهو أبو ثور ، وأعجمي لا يخطئ في كلمة : وهو الحَسَن الزعفراني ، وصغيرٌ كلما قال شيئاً صدّقه الكبار : وهو أحمد بن حنبل " .

وقد كان الإمام (الشافعيّ) يزور تلميذه الإمام (أحمد ابن حنبل) كثيراً ويزوره الآخر كثيراً ، فقيل للشافعيّ في ذلك فأنشد رضي الله عنه :

قالوا يزورك أحمد وتزوره قلت الفضائل ما تعدت منزله

فإن زارني فبفضله أو زرته فلفضله، فالفضل في الحالين له (1)

فأجابه الإمام (أحمد رضى الله تعالى عنه)

إن زرتنا فبفضل فيك تمنحنا أو نحن زرنا فللفضل الذي فيك

فلا عدمنا كلا الحالين منك ولا نال الذى يتمنى فيك شانيك

كما يقول الإمام أحمد بن حنبل لإسحاق بن راهوية : تعال أريك رجلاً لم تر عيناك مثله ، ويذهب به إلى الشافعي .

بل إنه ليقول : إذا عرض الأمر ، لا أجد فيه خبراً عن رسول الله ﷺ آخذ فيه برأي الشافعيّ، فإنه : إمامٌ ، عالمٌ ، من قريش ، **ويقول** : ويُروى عن النبي ﷺ : **(إن الله عزَّ وجلَّ يبعث لهذه الأمَّة على رأس كل مائة سنة رجلاً يُقيم لها أمر**

---

(1) جواهر التصوف . الإمام يحيى بن مُعاذ الرازي صـ ١٢، وروي البيتين هكذا :

قالوا يزورك أحمد فتزوره قلت الفضائل لا تفارق منزله

إن زارنى فبفضله أو زرته فلفضله والفضل في الحالين له.

دينها) [1] فكان عُمَر ابن عبد العزيز على رأس المائة ، وأرجو أن يكون الشافعي على رأس المائة الأخرى [2] .

وعندما قال ابنه له يوماً : يا أبت . أراك تقول دائماً : الشافعي .. الــشافعي ، فقال له:" يا بُـــني . لقد كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس " .

وممَّا سبق نقول : إنهُ ينبغي – بل يجب – أن لا يكــون الخـــلاف فـــي الآراء الانتخابية سبباً في الجور على المُخالفين وتجريحهم ، وسلبهم مكانتهم وفــضائلهم ، وتضخيم أخطاءهم . بل يجب إنصافهم وإعطاءهم حقهم ومعرفة قدرهم ، واحتـــرام آرائهم الإنتخابية ، وحملها على أنهم متأولون فيها ويظنون صوابها ما أمكن ذلك .

---

(1) أبو داود ، ٤/١٧٨ حديث رقم ٤٢٩٣ .

(2) كيف نتعامل مع التراث والتمذهب والاختلاف . مرجع سابق صــ ٥٤ ، ٥٥.

نقـــد الآراء لا يعنى الطعن فى أصحابهـــا

وقد عبر شوقي عن هذا بقوله : " **اختلاف الــرأي لا يُفــسد للــوُدّ قــضية** " ، فينبغي– بل يجب– أن لا يكون الخلاف في الآراء الانتخابية سبباً للتفرق في الدِّين، ولا يؤدي إلى خصومة أو بغضاء ، إذ لكل مجتهد أجره ، ولا مانع من التمحــيص والتدقيق النزيه في مسائل الخلاف في ظل الحُبّ في الله ، والتعاون على الوصــول إلى الحقيقة من غير أن يَجُرّ ذلك إلى المراء المذموم والتعصب[1] ، وقــد اختلــف الصحابة ومن تبعهم بإحسان في فروع الدين فما ضرَّهم ذلك ووسع بعضهم بعــضاً وصلَّي بعضهم وراء بعضٍ دون نكير[2] .

فنقد الآراء لا يعني الطعن فى أصحابها لأسباب :

أولاً : أن القرآن الكريم ذكر لنا قضية حكم فيها نبيان مــن أنبيــاء الله تعــالى ورسله الكرام ، ففهمها أحدهما ولم يفهمها الآخر ، ومع هذا أثنى القرآن على كــل منهما ، كما ق ال تعالى ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ ﴾ فأشار إلى فهم أحدهما للصواب، وإن كان كلاهما من أهل الحُكم والعلم .

ثانيــاً : أن الثواب والعقاب في الإسلام مبنيان أساساً على النية والقصد ، فمــا قُصد به وجه الله تعالى ، فهو خيرٌ وبِرّ ، وهو قربة وعبادة ، وما قُصد بــه حُــبّ الدنيا أو حُبّ الذات واتباع الهوى، فهــو مــن عمــل الــشيطان، **(إنمــا الأعمــال**

(١) المرجع السابق صـــ ١٢٨.

(٢) فتاوى معاصرة . د/ يوسُف القرضاوي ج ٢ صـــ ٣١٣ .

بالنيات)(١) والواجب على كُــل أحد أن يحمل رأي أخيهِ الانتخابي – وإن كان يراهُ خاطئاً – على حُسن النية والتأول ما أمكن .

ثالثا : اتساع وجوه النظر ، فقد قدَّمنا ما رُوي أن عُمَر ﷺ لقي رجلاً ، **فقال:** ما صنعت (يعني في مسألةٍ كانت معروضة عليه للفصل فيها) ، **فقال الرجل:** قضى **(عليّ)** و**(زيد)** بكذا ، **قال** : لو كنت أنا لقضيت بكذا ، **قال** : فما يمنعــك والأمــر إليك ؟ **فقال:** " لو كنت أردّك إلى كتاب الله أو إلي سُنة نبيِّه ﷺ لفعلــت ، ولكنــي أردّك إلى الرأي وهو مشترك " (٢) .

كذلك فقد خالف ابن عُمَر رأي أبيه عُمَر بن الخطاب- رضي اللهُ عنهما- فــي المراد من لفظ القرء ، ولم يعِب أحدهما على الآخر .

رابعاً : أن النظر الصحيح يقول إن من حق كل رأي انتخابي أن يُعبِّر عن نفسه مادام له اعتبار وجيه يسنده ، وله أنصار يؤيدونه .

أما التقليد الغبي والعصبية العمياء ، والطعن في الآخرين ، وإضــفاء القداســة على بعض الزعامات كأنهم أنبياء فهذا هو منبع الوبال والخبال(٣) .

خامساً : أن المنقود بشرٌ غير معصوم ، والناقد أيضاً بشرٌ غير معصوم ، ومن يدري ، فلعل الصواب مع المنقود ، ولعل الخطأ مع الناقد ، فليخفــف الناقــد مــن غلوائه وليتواضع قليلا ً، وليعلم أن أحداً لم يؤت الحقيقة كلها ولا الحكمة كلها ، وقد قال الله عزَّ وجلَّ ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

---

(١) متفق عليه ، البخارى عن عمر ، ٣/١ ، حديث رقم ١ ، مسلم ، ٤٥٧/١٢ حديث رقم ٥٠٣٦ ، وانظر كتاب : كيــف نتعامل مع التراث والتمذهب والاختلاف . مرجع سابق . صــ ٥٣ .

(٢) مناهج الاجتهاد . د / أحمد الشافعي صــ ٣٢ . عن جامع بيان العلم وفضله . (٢ / ٥٦) .

(٣) فتاوى مُــعاصرة . د / القرضاوي ج ٢ صــ ٦٥٧ بتصرف .

وقال الشافعيُّ ﷺ :

كلما أدبني الدهر أراني نقص عقلي وكُلَّما ازددت علماً زادني عِلماً بجهلي

وكم من علماء كانوا متمسكين بآراء ظلوا طوال عمرهم مؤمنين بها ، داعــين إليها ذائدين عنها ، مخاصمين لمُعارضيها ، وفي آخر حياتهم أعرضوا عنها وآمنوا بغيرها أو بضدِّها ، كما رأينا ذلك عند إمام الحرمين الجويني ، وأبي حامد الغزالي وفخر الدِّين الرازي ، وغيرهم من كبار متكلمي الأشاعرة الَّــذين خاضــوا لجــج التأويل ، ثم انتهوا في آخر حياتهم إلى رأي السلف ﷺ في التسليم وترك التأويل(١)

وكذلك رجع الإمام الشافعي عن مذهبه وأقواله التي قررها في بغداد ، عنــدما جاء إلى مصر .

ونرى له وللإمام أحمد بن حنبل عدة أوجه في المسألة الواحدة .

قلت : وذلك لأن هناك رجوع مِــن الحق إلى الأحق ، ومِــن الــصواب إلــى الأصوب .

ولقد رأينا أئمة المذاهب أنفسهم ، وقبلهم فقهاء الصحابة والتــابعين يقــضون بالرأي في واقعةٍ من الوقائع ، ثم يمضي الزمن فيعدلون عنه ، ويفتون بضدِّه فــي نفس الواقعة ، لما تجدد لهم من وجوه النظر التي لم تكن ظاهرة من قبــل ، **فهــذا أمير المؤمنين عُمَر بن الخطاب** يقضي في المسألة الحجرية فــي الميــراث بعــدم التشريك ، ثم ترفع إليه مرة أُخرى فيقضي فيها بالتشريك ، **فقيل له :** إنك لم تشرِّك بينهم عام كذا وكذا ، **فقال عُمَر:** " تلك علي ما قضينا يومئذ ، وهذه على ما نقضي اليوم " (٢) .

---

(١) المرجع السابق صــ ٥٤ .

(٢) البيهقي في السنن الكبرى ، ٦/٢٥٥ ، حديث رقم ٢٢٤٩ .

وبهذا فسَّر ابن القيم قول عُمَر في كتابه إلى أبي موسى الأشعري: " **ولا يمنعـك قضاء قضيت به اليوم فراجعت فيه رأيك ، وهُديت فيه لرشدك ، أن ترجع فيه إلى الحق ، فإن الحق قديم لا يُبطله شئ ، ومُراجعة الحق خيــرٌ مــن التمــادي فــي الباطل**"[1] .

من أجل ذلك كلّه وجدنا الصحابة ﭬ وغيرهم من الصُــلحاء يُـــقرّون علـــى أنفسهم بالخطأ إذا أخطأوا ، ويطلبون من الناس أن يصوِّبوهم إذا وقع منهم الخطأ ، ويقوِّموهم إذا رأوا فيهم عوَجاً ، وذلك لعلمهم بأن الرجوع إلى الحـــق خيـــرٌ مـــن التمادي في الباطل ، وأن الحق أحق أن يُتبع .

يقول أبو بكر الصِدِّيق ﭬ " إن رأيتموني على حقٍ فأعينوني ، وإن رأيتمـــوني على باطلٍ فسَدِّدُوني .

ويقول عُمَر بن الخطاب ﭬ : " من رأى منكم فـــيَّ عِوَجـــاً فليقـــوِّمني" [2] ، **ويقول كذلك** : " رَحِم الله امرءاً أهدى إليَّ عيوب نفسي " ويعترف من فوق المنبـــر أن امرأة أصابت وأنه أخطأ، **وقال عليّ بن أبي طالب**– كرَّم الله وجهه– لرَجُـــــلٍ : أصبتَ وأخطأتُ ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [3] .

وقد كان للقاضي الفقيه النظار عبد الله بن الحسن العنبريّ رأي فـــي قـــضية ، فحاوره في ذلك الإمام عبد الرحمن بن مهدى ، فاقتنع برأيه وأعلن رجوعه بشجاعةٍ

---

(1) البيهقى في السنن الكبرى بلفظ (**لا يمنعك قضاء قضيته بالأمس راجعت الحق فإن الحق قديم لا يبطل الحـــق شـــيء ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل**) ١١٩/١٠ ، حديث ٢٠٨٧١ ، وانظر كتاب : كيف نتعامل مع التراث والتمذهب والاختلاف . مرجع سابق صـــ ١٣٧.

(2) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٣٣٦/١١ ، حديث٣٠٧٠١ بلفظ (**فإن استقمت فأعينوني وإن زغت فقوِّموني**).

(3) انظر مناهل العرفان للزرقاني ٨/١ ، وانظر القرطبى في تفسيره ٢٨٧/١ عن محمد بن كعب القرظيّ .

وصراحةٍ قائلاً : " **إذن أرجع وأنا صاغر ، والله لأن أكون ذَنَبَاً في الحق خيرٌ مــن أن أكون رأساً في الباطل** " (١) .

وقد قيل : خير للإنسان أن يكون كالسلحفاة في الطرق الصحيح من أن يكــون غزالاً في الطريق الخطأ . (٢)

وقيل: أن تكون فرداً في جماعة الأسود.. خير لك من أن تكون قائداً للنعاج(٣)

قال الإمام أبو الحَــسَن الشاذِليّ : وُسمَ بالسعادة رجُــلٌ عرف الحق فتواضــعَ لأهله وإن عَمِلَ ما عَمِل ، وَوُسِمَ بالشقاوة رجُــلٌ جَحَد الحق وتكبَّر على أهلهِ ولــو عَمِلَ ما عَمِل(٤) .

مِما تـقدم نقـول : إذا ما ظهر لك أخي القارئ سوء حقيقة مُرشح كنــتَ تظــن صلاحهُ وتؤيده ، أو صلاح مُرشح كنتَ تظن فيهِ غير ذلك وتؤيد غيره ، فعليك أن تبادر بما يُمليهِ عليك الدين والضمير ، فتقف بجانب الحق وتبرأ مِن الباطل ، وإياك أن تأخذك العزة بالإثم ، أو أن يمنعك الحياء مِن الناس مِــن ذلــك ، فكمــا قلنــا : الرجوع إلى الحق خير مِن التمادي في الباطل ، وقد قيل : لأن تأتي متأخراً خيــر من أن لا تأتي أبداً ، وإلاَّ فإنهُ الهلاك ، وعليك إثم مَن تبعك .

وبعــدُ فإنه يجب التنبيه على حقيقةٍ مُهمَّة وهي " **أن التعدد لا يعنى بالــضرورة التفرق**" ، كما أن بعض الاختلاف ليس ممقوتاً مثل الاختلاف في الــرأي نتيجــة الاختلاف فى الاجتهاد ، **ولقــد** سبق أن بيَّــنا أن الصحابة ﷺ اختلفوا في مــسائل

---

(١) كيف نتعامل مع التراث والتمذهب والاختلاف . مرجع سابق صــ ٩٨.
(٢) اللطائف في الحكم والمعلومات والطرائف ، أحمد عبد الرحيم ، ص ٣٢ .
(٣) اللطائف في الحكم والمعلومات والطرائف ، أحمد عبد الرحيم ، ص ٢٤.
(٤) المفاخر العلية صــ ٧٧ .

فروعية كثيرة ولم يضرهم ذلك شيئاً ، بل اختلفوا في عصر النبي ﷺ فـــي بعــض القضايا ، مثل اختلافهم في صلاة العصر في طريقهم إلى بني قريظة ، وهي قضية مشهورة ، ولم يوجه الرسول الكريم لوماً إلى أيّ من الفريقين المختلفين .

فليس كل الاختلاف شراً ؛ بل الاختلاف قسمان : اختلاف تنــوع ، واخــتلاف تضاد ، والأول محمود ، والآخر مذموم (١) ، **والمطلوب** فـــي القــسم الأول : أن نطبق القاعدة الذهبية التي شيَّدها مُحمد رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ وهي أن " **نتعاون فيما اتفقنا عليه ويَعذر بعضنا البعض فيما اختلفنا فيه** " .

كذلك فالحق أنه : قد يخطئ المجتهد ويخطئ المنكر عليه وكلاهما مغفورٌ له ، وإن الإنصاف ليقتضي من الطرفين المجتهدين المتعارضين في أرائهم الإنتخابية ألاَّ يقعا في الغلوّ المُجحف ، **وذلك** بألاَّ يقطع الأول بــصواب مــا وصـــل اليـــه ، وألاَّ يحصر الحق فيه ، وألا يقطع الطريق على إمكانية صواب الأخر ، **أمَّا الثاني** فبألاَّ يُبالغ في الإنكارعلى الأول وألاَّ يؤثمه ، أو يتهمه ، أو يطعن في قصده ، **وحـــين** لا تراعى هذه القواعد تقع الفتن ويندُر الإنصاف .

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : " وهذا من أسباب فتن تقع بين الأمَّة فــإن أقوامــاً يقولون ويفعلون أموراً هم مجتهدون فيها وقد أخطأوا ، فتبلغ أقواماً يظنـــون أنهـــم تعمدوا فيها الذنب ، أو يظنون أنهم لا يُعذرون بالخطأ ، وهـــم أيــضاً مُجتهـــدون مخطئون ، فيكون هذا مجتهداً مُخطئاً في إنكاره ، والكُلّ مغفور لهم ، وقـــد يكـــون أحدهما مذنباً كما قد يكونان جميعاً مذنبين" . **وقد قال الإمام عليّ** -كرَّم الله وجهه : " ليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه " (٢) .

---

(١) فتاوى معاصرة د / القرضاوي . ج ٢ صـــ ٦٥٨ .

(٢) كيف نتعامل مع التراث والتمذهب والاختلاف. مرجع سابق صــ ٢٤٤. مشار إليه فـــي كتـــاب مجمـــوع الفتـــاوى (٥٤٦/١٠ ، ٥٤٧).

لذا فإن من أكبر واجبات المسلم أن يكون حبيباً لجميع طوائف المسلمين وهيئاتهم وأحزابهم ، نصيحاً حكيماً بينهم ، وحازماً مُسالماً مُقرباً بين فرقهم وطرقهم ومُوفقاً بين وجهات نظرهم ، إذ الخلاف طبيعة إنسانية ضرورية ما منها محيص إلى يوم القيامة ، والأفراد والجماعات المخلصة العاملة لا تتعادى ، إذ أنها فروعٌ متعددةٌ من شجرةٍ واحدةٍ ، إلا أن تكون مدخولة الأغراض والبواطن ، والخلاف فى الوسائل لا ينبغي أن يحول دون الأخوة في سبيل الأصول والغايات .

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ لو كان كل ما اختلف مُسلمان في شيء تهاجرا لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوةٌ [1] .

(١) صحيح وصايا الرسول . لـ سعد يوسُف أبو عزيز . صـ ١١١ ج ٢ .

الأخـــوة باقية رغم الاختلاف

إن الأُخوة يجب أن تبقى رغم أي خلاف ، فلا مناطحة ولا مغالبة .

ذلك أنه ليس من العدل والإنصاف أن نكون متفقين في أكثر المسائل ثم نتناسى ذلك ونفترق ونتعادى لمجرد اختلافنا في مسألة واحدة .

وقد اختلف الإمامين الأوزاعيّ وسفيان الثوري في مسألة عند الكعبة ولـــم يتفقـــا وفي النهاية أخذ سفيان بلجام بغلة الأوزاعي وهو يقول "أوســـعوا لبغلـــة الـــشيخ" ؛ يَسُـــلُّهُ مِـــن الزحام .

ونقل الحافظ الذهبيّ في (سِيَر أعلام النبلاء) في ترجمة الإمـــام الـــشافعي ﷺ عن يونس بن عبد الأعلى الصُدفيّ المصريّ أحد أصحاب الإمام الشافعي **أنه قال** " ما رأيت أعقل من الشافعي ، ناظرته يوماً في مسالةٍ ما ، ثم افترقنا ولقيني ، فأخـــذ بيدي، **ثم قال:** يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة ؟! " .

قال الذهبيّ : " هذا يدل على كمال عقل هذا الإمـــام وفقـــه نفـــسه ، فمـــا زال النظراء يختلفون " .

وقال أحمد بن حفص السعدي شيخ ابن عديّ : ســـمعت أحمـــد بـــن حنبـــل – الإمام– يقول : " لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق ، وإن كان يخالفنـــا فـــي أشياء ، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً"

وروى الحافظ الفقيه المؤرخ الناقد الإمام أبو عمرو بن عبد البرّ فـــي " جـــامع بيان العلم وفضله " عن العباس بن عبد العظيم العنبري **قال:** كنت عند أحمـــد بـــن حنبل وجاءه عليّ بن المدينيّ راكباً على دابـــةٍ فتنـــاظرا فـــي الـــشهادة وارتفعـــت

أصواتهما ، حتى خفتُ أن يقع بينهما جفاء ، وكان أحمد يرى الشهادة وعليّ يــأبى ويدفع ، فلما أراد عليّ الانصراف قام أحمد فأخذ بركابه (١) .

وكيف لا يفعل وهو الَّذي روى – وكذا الإمام أبو داود – عن زيد بن أرقــم أن النبيﷺ كان يقول دُبر كل صلاة : **(اللهم ربَّنا وربَّ كل شئٍ ومليكه أنا شهيدٌ أنــك الله وحدك لا شريك لك..اللهم ربنا وربَّ كلِّ شئٍ ومليكه أنا شهيدٌ أن محمداً عبدك ورسولك..اللهم ربَّنا وربَّ كل شئٍ ومليكه أنا شهيدٌ أن العباد كلهم إخوة)** (٢).

فهذه الأخوة التي تضمنتها الشهادة الثالثة تشمل مظاهرها كل العبــاد : عجمــاً وعرباً ، بيضاً وسوداً أغنياء وفقراء ، ملوكاً وسوقه ، بل مسلمين وغيــر مــسلمين رغم اختلافهم في آرائهم ، وهذا ما عبَّر عنه شاعر مُسلم بقوله :

إذا كان أصلي مِن ترابٍ فكلُّها بلادي وكلُّ العالمين أقاربي

(١) كيف نتعامل مع التراث والتمذهب والاختلاف . مرجع سابق صـــ ١٣١.

(٢) أبو داود فى سننه عن زيد بن أرقم ، ٥٥٧/١ حديث ١٥١ ، سنده ضعيف .

تأكيـــد الإسلام على الجماعــــة

سوف أتكلم عن هذا الموضوع بشيءٍ مِن التفصيل ، **وإنما أفعل لِما رأيته مِـن شديد الخلاف والتشرذم والفرقة بـين مُختلفـي الآراء الانتخابيـة والتوجهـات والأحزاب** ، فأقول :

لقد جعل الله (سبحانه وتعالى) المسلمين أمة واحدة على اخـتلاف لغـاتهم وأجناسهم وشعوبهم ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ .

ولقد دعا الإسلام إلى الجماعة وأكَّد أمرها ، وحـذر مـن الفرقـة والخـلاف والانفراد والشذوذ .

قال تعالى ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ فالآية فيهـا وعيدٌ لمن يتبع غير سبيل المؤمنين، وضمَّهُ إلى مشاقة الرسول التي هي مـن أشـد أنواع الكفر، فيكون اتباع غير سبيل المؤمنين محظوراً ومتى حظر وجـب اتبـاع سبيل المؤمنين .

وقال تعالى ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ وقـال ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ ، وقـال أيـضاً ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴾ . **وقال** ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ ﴾ .

وفي صحيح مُسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبيّ ﷺ قال : **(إن الله يرضى لكم ثلاثاً : يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً**

ولا تــَفرقوا ، وأن تُــناصحوا مَن ولاَّه الله أمركم) (١) .

وقال ﷺ : **(يد الله على الجماعة)** (٢) ، وقال فيما رواه النعمان بــن بــشير رضي الله عنه : **(الجماعة رحمة ، والفــُرقة عذاب)**(٣) .

وفي لفظ آخر : **(الجماعة بركة والفــُرقة عذاب)**(٤) ، **(علــيكم بالجماعــة ، وإياكم والفــُرقة ، فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنـــين أبعــد ، مـــن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة)** (٥) .

وروى الإمام أحمد بسنده عن النبي ﷺ قال **(إن الشيطان ذئب الإنسان كــذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناحية ، فإياكم والشعاب وعليكم بالجماعــة والعامــة والمسجد)** (٦) .

وعنه ﷺ : **(عليكم بالجماعة ، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية)** (٧)

وعنه أيضاً : **(يد الله على الجماعة والشيطان مع من يخالف الجماعة)** (٨) .

---

(١) مسلم ١١ / ٣٨٨ رقم ٤٥٧٨ ، والبخاري في الأدب المفرد ١٥٨/١ ، حديث ٤٤٢ .

(٢) النسائى في السنن الكبرى عن عرفجة بن شريح الأشجعى ، ٢٩٢/٢ رقم ٣٤٨٣ .، ورواه الترمذي عن ابن عبـــاس وابن أبي عاصم والحاكم عن ابن عُمَر ، وابن أبي عاصم عن أسامة بن شريك ، كما في صحيح الجامع الــصغير (٨٠٦٥) . ورواه (طب) عن ابن عباس ، وحسنه صاحب جوامع الكَــلِــم .

(٣) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب عن النعمان بن بشير ، ورواهُ أحمد في المُسند وابن أبي عاصم في السُــنَّـــة عن النعمان بن بشير ، كما في صحيح الجامع الصغير . ورواه (حم طب) عن النعمان بن بشير ، وصححه صـــاحب جوامع الكَــلِــم .

(٤) رواهُ البيهقي في شعب الإيمان عن النعمان بن بشير ، كما في صحيح الجامع (٣٠١٤)

(٥) رواهُ أبو داود وغيره في الجهاد (٢٥٢٨) ، وابن ماجــه (٢٧٨٢) ، والحــاكم وصــحَّحه (٤ / ١٥٢ ، ١٥٣) ووافقهُ الذهبي ، والترمذيّ ٤ / ٤٦٥ حديث رقم ٢١٦٥ – صحيح .

(٦) أحمد فى مسنده عن معاذ بن جبل ٣٥٨/٣٦ حديث ٢٢٠٢٩ (حسن لغيره) .

(٧) وعن أبي الدرداء رواه أحمد وأبو داود والنسائيّ وابن خزيمة وابن حِــبَّــان في صحيحيهما) . انظر أسرار العبــد الصالح وموسى عليهما السلام ، هامش ص ٧٩ .

(٨) أخرجه الطبرانى عن عرفجة انظر جمع الجوامع الجزء الأول صــ٩٩٨ .

وعن أبي شُريك ﷺ قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول **(يد الله علـــى الجماعــة فإذا شذ الشاذ منهم اختطفهُ الشيطان كما يختطف الذئب الشاة من الغنم)** (١) .

كذلك رُوي أنه ﷺ خطب في مرض موتهِ فقال (.... **أيها الناس إيـــاكم وهـــذه الأهواء الضالة المضلَّة البعيدة من الله تعالى، وعليكم بالجماعة والاستقامة، فإنها قريبةٌ من الجنة بعيدةٌ من النار ، ثم قال اللهم قد بلَّغتُ**) (٢) .

ورُوي أنه ﷺ قال (**يد الله على الجماعة ولا يُبالي الله شذوذ مَـــن شذ**)(٣) .

وفي رواية (**لا تجتمع هذه الأمة – أو قال : أمة محمد – على ضلالة ، ويـــد الله على الجماعة ، ومن شذ شذ في النار**) (٤) .

وكان عليه الصلاة والسلام يُحَذر من أن يذر الخلاف قرنه فيقول (**لا تختلفـــوا فتختلف قلوبكم)** (٥) رواه البخاري ، وقال كذلك (**اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليـــه قلوبكم ، فإذا اختلفتم فيه فقوموا**)(٦) متفق عليه ، وذلك حتى تهدأ النفوس والقلوب والخواطر ، وتنفى دواعي الحِدَّة في الجدال المؤدية إلى المنازعة والشقاق .

بل كان ﷺ يقول (**سوّوا صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم**)(٧) .

---

(١) أخرجهُ الطبراني في المعجم الكبير ١/١٨٦ ، حديث ٤٨٩ . ضعيف ، وابن قانع في الإفراد وأبو نعيم في المعرفة عن أسامة بن شريك .

(٢) السمرقندي في تنبيه الغافلين صـــ٢٠٠ مشار إليه فى كتاب خطب رسول الإسلام صـــ٣١٣ .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط ح رقم ٤٨٥٢ .

(٤) الراوي: عبد الله بن عمر : تخريج مشكاة المصابيح للألباني : ١٧١ وإسناده صحيح

(٥) مسلم ٣ / ٢٠٧ حديث رقم ١٠٠ .

(٦) البخاري ١٥ / ٤٨٠٨ حديث رقم ٤٦٧٢ ، ومسلم ١٣ / ١٤٧ رقم ٤٨١٩ .

(٧) (هــ) عن النعمان بن بشير ، وصححه صاحب جوامع الكَــلِــم .

وفي رواية **(لتسوُّن صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم)**[١].
كان يقول أيضاً **(سوّوا صفوفكم لا تختلف قلوبكم)** [٢] .

والمتأمل يجد أن الله ﷻ قد جعل الله من حيثيات ذم مسجد الضرار أنـــه اتُخــذ تفريقاً بين المؤمنين وذلك رغم أنه مسجد .

بل أخرج عبد الرزَّاق عن قتادة أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعُمَر وعثمان – صدراً من خلافته– كانوا يُصلُّون بمنى ركعتين ، ثم إن عثمان صلاَّها أربعاً ، فبلغ ذلك ابن مسعود فاسترجع ، ثم قام فصلَّى أربعاً ، فقيل له : استرجعت ، ثم صـــليت أربعاً، فقال : "**الخلاف شر**" [٣] ، وفي رواية للبيهقيّ : " **إني أكرهُ الخلاف** " [٤] .

كذلك فقد جاء في إحدى خطب الإمام عليّ– كرَّم الله وجهـــه– قولـــه **(إيـــاكم والتلون في دين الله ، فإن جماعة فيما تكرهون من الحق خيرٌ من فـــُرقة فيمـــا تحبون من الباطل ، وإن الله سبحانه لم يُعط أحداً بفـــُرقة خيراً ممـــن مـــضى ولا ممن بقى)** .

قال الإمام مُحمد عبده معلقاً : " من يحافظ على نظام الألفة والاجتماع وإن ثقل عليه أداء بعض حقوق الجماعة وشق عليه ما تُكلفه به من الحـــق فـــذلك الجـــدير بالسعادة دون من يسعى للشقاق وهدم نظام الجماعة وإن نال بذلك حظـــاً بـــاطلاً ، وشهوة وقتية ، فقد يكون في حظِّه الـــوقتيّ شقاؤه الأبديّ ، ومتى كانت الفرقة عـــمَّ

---

(١) (ط ق هــ ٦ ت م د ن) عن النعمان بن بشير ، وصححه صاحب جوامع الكَـــلِـــم
(٢) (مي) عن البراء ، وصححه صاحب جوامع الكَـــلِـــم .
(٣) عبد الرزاق في مصنفه عن قتادة ٢ / ٥١٦ حديث رقم ٤٢٦٩ .
(٤) البيهقيّ في السنن الكبرى ٣ / ١٤٤ بلفظ : (**إني أكره الخلاف**) .

الشقاق وأحاطت العداوات وأصبح كل واحد عُرضة لشرور سواه ، فمُحيت الراحــة وفسدت حال المعيشة " .

وقد قال ابن عبَّاس ﷺ لِسمَّاك الحنفي : يا حنفي الجماعة الجماعــة ، هلكــت الأمم الماضية بتفرقها[1].

ورحم اللهُ ابن المُبارك القائل :

إن الجماعة حبلُ اللهِ فاعتصموا   مِنهُ بعروتهِ الوثقى لِمَن دانا [2]

وكيف لا وقد حذر الإسلام من الخلاف؛ فقال سبحانه : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ .

وقد قال الشيخ الشعراوي ما مضمونه : " إن الشيطان لا يحتاج لأن يوســوس لمن في موطن الخمر ، فقد كفوه " ، **وعلى شاكلة ذلك أقول** : إن من يختلفون بــلا ضابط لا يحتاجون لاختراق خارجي لإشعال الفتنــة بيــنهم ، ولكــن العجــب أن المُــفتت يتفتت ، والمجزأ يتــجزأ .

وكيف يحدث هذا وقد جعل الله الأخوة باقية بين المؤمنين رغــم أي خــلاف ؛ فقال تعالى : { **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَــوَيْكُمْ وَاتَّقُــوا اللَّـــهَ لَعَلَّكُــمْ تُرْحَمُونَ** } ، وقال سبحانه ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ﴾ .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن . لأبي عبد الله القرطبي ج ٤ صــ ١٧٢ .

(٢) المرجع السابق ج ٤ صــ ١٦٨ .

وحذر رسول الله ﷺ مِـن عاقبة الخلاف على المُـتلبس به ، فقال : (**ثلاثـة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرا** (وهذا كناية عن عدم قبولها عند الله) : **رجل أمَّ قوماً وهم له كارهون ، وامرأة باتـت وزوجهـا عليهـا سـاخط ، وأخـوان متصارمان**) [(١)] .

كما عاش رسول الله ﷺ على نبذ الخلاف حتى قبل بعثته ، فعنـدما اختلـف القريشيون حول أي قبيلة تنال شرف وضع الحجر الأسـود وكـادوا أن يقتتلـوا ، وحَـكَّـموه ﷺ ، حكم بينهم ﷺ بأن تمسك كل قبيلة بطرف من ردائـه الـشريف الذي وضع عليه الحجر ، فارتفع الخلاف .

والحق أن الإسلام بقرآنه وسُنة نبيِّه ﷺ : يغرس في نفـس المُـسلم الـشعور بالجماعة في كُل أحكامه ، وفي كل تعاليمه .

ففي الصلاة ؛ جعل الله جهة واحدة يتجه إليها كل المسلمين أينما كانوا ، إشارة إلى ضرورة الموافقة بينهم .

كما شرع الجماعة والجُمُعة وفضَّلها على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجـة ، وشرع العيدين والأذان والمساجد ، ولم يُرَخص الرسول ﷺ لِرجلٍ أعمى يُـصلِّي في بيته مادام يسمع النداء للصلاة ، وهمَّ أن يُحَرِّقَ على قومٍ بيوتهم لأنهم يتخلفـون عن الجماعة.

وفى المسجد يُكره للمُسلم أن يُصلِّي وحده خلف الصفوف ، لِمَا في ذلـك مـن الظهور بصورة الانفراد والشذوذ عن الجماعة ، ولو من جهة المظهر .

---

(١) رواه ابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها (٩٧١) عن ابن عباس، وابن حبان في صحيحه كتاب الـصلاة (٥/٥٣) وقال الأرناؤوط: إسناده حسن، والطبراني في الكبير (١١/٤٤٩).

وقد روى وابصة بن معبد ﷺ : أن رسول الله ﷺ رأى رجُلاً يُـصلِّى خلــف الصف وحده ، **فأمره أن يُعِيد الصلاة** [1].

وعن عليّ بن شيبان ﷺ قال : خرجنا حتى قدمنا علـــى النبـــيّ ﷺ فبايعنـــاه ، وصلَّينا خلفه ، ثم صلَّينا وراءه صلاة أخرى ، فقضى الصلاة ، فرأى رجـــلا فـــردا يُصلِّي خلف الصف ، قال : فوقف النبي ﷺ حين انـــصرف، وقـــال : **(اســـتقبل صلاتك ، ولا صلاة للَّذى صلَّى خلف الصف)** [2] .

وقد أخذ بعض الأئمة بظاهر الحديث : فأبطلوا صلاة المنفـــرد وراء الـــصف ، وقال آخرون بكراهتها .

والمقصود بما ذكرناه هو : إظهار حرص الإسلام علـــى الوحـــدة والجماعـــة مضموناً وشكلاً ، جوهراً ومظهراً .

على أن المسلم إذا صلَّى وحده ، فإنه يتمثل جماعة المـــسلمين فـــي ضـــميره ، ويُناجي ربَّه إذا وقف بين يديه باســـم الجماعـــة فيقـــرأ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ ، فهو لا يسأل الهداية لنفسه ، بـــل يسألها لنفسه وللجماعة معه "**اهـــــدنا** " يقول ذلك سبعة عشر مرة فـــي الفـــرائض وحدها ، **بل في صلاة الخوف** يبين حرص الإسلام على الجماعة حتى فـــي حالـــة الحرب وحالة الخوف ، وقد أباح القرآن التنقل وقـــسمة الـــصلاة بـــين طـــائفتين ، وذهاب هؤلاء ومجيء أولئك ، وأخذ الأسلحة ووضع الأسلحة ، إلى غير ذلك مـــن التفصيلات ، كُـــل هذا لتبقى صلاة الجماعة وراء إمام واحد ، ويبقى هذا الـــشعار الإسلامي " الجماعة " ﴿ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ .

---

[1] رواهُ أبو داود (٦٨٢) ، والترمذي وحسَّـــنه (٢٣٠) ، وابن ماجه (١٠٠٤) .

[2] ابن ماجة ، ٣٢٠/١ رقم (١٠٠٣) ، وذكر في الزوائد أن إسنادهُ صحيح ، ورجاله ثقات .

وفى الصيام لا يصوم المسلم وحده ، بل مع جماعة المسلمين .

وكذلك الوقوف بعرفة يقف يوم يقف جماعة المسلمين .

لحديث أبي هريرة ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال : **(صومكم يوم تــصومون وفِطــركم يوم تــُفطرون ، وأضحاكم يوم تضحون)** (١).

وعن السيدة عائشة – رضي اللهُ عنها– قالت : قال رسول الله ﷺ " **الفِطر يــوم يُفطر الناس والأضحى يوم يضحى الناس** " (٢) .

وعلى هذا العمل عند أئمة المسلمين كلهم : فإن الناس لو وقفوا خطأ بعرفة في العاشر ، أجزأهم الوقوف بالاتفاق وكان ذلك اليوم هو يوم عرفة في حقهم (٣) .

فالعجب اليوم كُــل العجب من اختلاف أهل الحق واتفاق أهل الباطل .

وكيف يختلف أهل الحق ومُــصابهم واحد ، وقد قال أحمد شــوقي : **إن المــصائب يجمعن المصابين .**

هذا مع ما هو معروف بالضرورة مِن أنَّ الخلاف مُهلك :

سُئِل أحد العرب الحُصَفاء بعد هزيمتنا من إسرائيل : كيــف هُــــزمتم أمــام إسرائيل وأنتم عشرون دولة ، فقال بحق : " **هُزمنا لأننا عشرون دولة أمام دولــةٍ واحدة** " .

قال قيس بن عاصم :

إن القداح إذا اجتمعن فرامها بالكسر ذو حَنَّق وبطش أيَّدِ
عَزَّت فلم تكسر وإن هي بُدِّدت فالوهن والتكسيرُ للمتبدِّدِ (١)

---

(١) الترمذى فى سننه ، ٨٠/٣ حديث ٦٩٧ وصححه ، وأخرجهُ أبو داود وابن ماجه .

(٢) الترمذى في سننه ، ١٦٥/٣ ، حديث ٨٠٢ عن عائشة رضي الله عنها ، وقال الترمذيّ : حسن غريب صحيح

(٣) فقه الأولويات . د / يوسُف القرضاوي صــ ١٣١.

وهذا ما أكَّــد عليه الإمام عليّ ﷺ في إحدى خُــطبهِ عندما قال : "**إنه لا غناء في كثرة عددكم مع قلة اجتماع قلوبكم** " (٢) .

وكيف لا وقد وصف الله قوماً بأنهم { تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِــكَ بِــأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ } .

على أنه يجب التنبيه على أنه لا يُقصَد بالجماعة اتباع الأكثرية ولو كانوا على الباطل ، بل إن المقصود كما أخرج العسكري عن سليم بن قيس العامريّ : ســأل ابن الكواء عليّاً ﷺ عن الجماعة والفرقة ؟ فقال : " **الجماعة والله مجامعــة أهــل الحق وإن قلُّوا ، والفــُرقة مجامعة أهل الباطل وإن كثروا** " (٣) .

كذلك قال الحَسَن البصري: "**الجماعة مَن كان على الحق، ولو كنتَ وحدك**"(٤).

وقد قال الله : (**إن إبراهيم كان أمَّة**) فسماهُ أمَّة رغم كونه وحده .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال : قال النبي ﷺ : " أنا أول شفيع في الجنة . لــم يُصَدَّق نبي من الأنبياء ما صُدِّقت . وإن من الأنبياء نبياً ما يُصدِّقه مِن أمَّـــته إلا رجُل واحد ") (٥).

يقول الشيخ عبد الفتاح أبو غدة : المُــراد بلزوم الجماعة : لزوم الحق وأهله وإن قلُّــوا ، لا لزوم أكثر الناس ، وهذا مما يقع الخطأ في فهمه ، فاقتــضى ذلــك التنبيه عليه .

---

(١) أدب الدنيا والدين ص ١٠٦

(٢) شرح نهج البلاغة / عبد الحميد بن هبة الله ٧/٢٨٥ .

(٣) الطبرانى في مسند الشاميين ١/١٣٨ ، حديث ٢٠ ، وانظر حياة الصحابة للكندهلوي ج ٢ صـــ ٨ .

(٤) ذكرهُ الإمام الشيخ / مُحَمَّد زكيّ الدِّين إبراهيم في كتابه (حول معالم القرآن) صـــ ٤٥ .

(٥) مسلم (١٩٦) ، انظر موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ المجلد السادس ، ص ٢٤٩٩ .

ونقل قول الإمام ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه : الإحكام فــي أصــول الأحكــام (٨٧/٥) في باب : مبحث الشذوذ والعلة :

" والجماعة والجُــملة هم أهل الحق ، ولو لم يكن في الأرض مِــنهم إلا واحــد فهم الجماعة والجملة ؛ وقد أسلم أبو بكر وخديجة – رضي اللهُ عنهما – فقط ، فكانا هم الجماعة ، وكان سائر أهل لأرض غيرهما وغير رســول الله ﷺ أهــل شــذوذ وفرقة ، وهذا الذي قلناه لا خلاف فيهِ بين العلماء .

ونقل كذلك قول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه (إغاثة اللهفان مِــن مصايد الشيطان) ١ / ٦٩ : وما أحسن ما قال أبو شوامه في كتاب (الحوادث والبدع) : حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد لزوم الحق واتباعه ، وإن كان المُــتمسِّــكُ بهِ قليلاً والمُــخالف لهُ كثيراً .

قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة : ومِــنهُ قول مُــعاذ رضي الله عنه لعمرو بن ميمــون : "الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك " ، وفي لفظ آخر : الجماعــة مــا وافــق طاعة الله عزَّ وجلَّ [١] .

وقال نعيم بن حماد : " إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبــل أن تفسد ، وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذ " [٢].

وروى الخطيب البغدادي في (الفقيه والمتفقه) ١٩١/٢ عن ابن مــسعود رضي الله عنه : **الجماعة أهل الحق وإن كنت وحدك .**

وقال إبراهيم النخعيّ : **الجماعة هو الحق وإن كنت وحدك** [٣] .

---

(١) الطبراني في مسند الشاميين ٣٨/١ حديث رقم٢٢٠، وانظر رسالة المسترشدين للحــارث المحاســبي ص١٨٩، ١٩٠. تحقيق وتعليق الشيخ / عبد الفتاح أبو غدة. ط دار السلام . الطبعة العاشرة ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م .

(٢) ذكره البيهقيُّ وغيره ، ورواهُ الحافظ اللآلكائي في كتاب (السُــنة) ١٠٩/١ المطبوع باسم شرح أصول اعتقاد أهــل السُــنة والجماعة ، بنحو هذا اللفظ . نقلا عن ص ١٩٠ رسالة المسترشدين .

(٣) رسالة المسترشدين مرجع سابق ص ١٩١ .

وقال ابن القيم في (إعلام المُـــوَقعين ٣ / ٤٠٩) : إن الشاذ مَـــــن خـــالف الحق ، فإن كان الناس كلهم إلاَّ واحداً خالفوا الحق فهم الشاذون ، وذلك الواحد هـــو الجماعة [١] .

وقال أيضاً: قال بعض السلف : عليك بطريق الحق ولا تستوحش قلة السالكين، وإياك وطريق الباطل ولا تغتر بكثرة الهالكين ، وإن استوحشت تفردك أيها الـــسالك فتذكر الرفيق السابق .

(١) المرجع السابق ص ١٩١ .

التحاكم للحق والتسليم له

إن الواجب على المُسلِم أن يتحاكم لِلحق في تقييم واختيار المُرشَّحين ، وصنو التحاكم لِلحق : التسليم له .

ذلك أن العبودية تعني : " **أن ترضي باللهِ حَكَما ، وبحُكمِه حُكما ، ومن أحسنُ مِن اللهِ حُكماً لِقومٍ يوقنون** " .

قال الله تعالى ﴿ فَإِن تَنَـٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ﴾ .

وقال سُبحانه ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾ ، كذلك فقد مدح الله المؤمنين بقوله ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾. وفي التنزيل ﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا ﴾.

ولقد كان من ذكر النبيّ ﷺ في الليل (**وبك خاصمت وإليك حاكمت**)[1] (رواه البخاريّ ومسلم وغيرهما) .

أمَّا من يبتغي غير حُكم الله فإنما يبتغي حُكم الجاهلية ، قال سبحانه ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَـٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ ، فكل من سوى الله جاهلية ، فإذا لم يرضى العبد بحُكم الله تعالى فيه فقد بغى حُكم الجاهلية ، ومن لم يرضى إلاَّ بما هويته نفسه فقد بغى حُكم الجاهلية ، ولو اتصل بكلِّ ما هويته نفسه لتغيَّر حالة وفسد، حتى لو كشف له ذلك لفرَّ مما هويته نفسه

(1) رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ١ / ٣٧٧ حديث ١٠٦٩ ط دار ابن كثير – بيروت .

أعظم فرار ، قـــال الله تعـــالى ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ [١] .

وكيف لا يكون الأمر كذلك وقد قال سبحانه ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ .

قال في شرح القصيدة النونية لابن القيم[٢] : " فأقـسم الله تعـالى أنهـم لا يؤمنون حتى يُحكِّموا رسوله ويرتفع الحرج من نفوسهم مـن حُكمـه ، ويُـسلِّموا لحُكمه ، وهذا حقيقة الرضا بحُكمه ، فالتحكيم في مقام الإسلام ، وانتفاء الحـرج في مقام الإيمان ، والتسليم في مقام الإحسان " .

فالإيمان مشروط بالتسليم ، وقد أكد ذلك الرسول ﷺ بقوله **(لا يـؤمن أحـدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئتُ به)** [٣].

ورُوي عن ابن سيرين أن أبا بكر رضي الله عنه كان يُسِرّ قراءته ، وكان عُمَر رضي الله عنه يجهر بها ، **فقيل لهما في ذلك** ، فقال أبو بكر : إنما أناجي ربِّي وهو يعلم حاجتي إليـه ، وقال عُمَر: إنما أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان ، فلمـا نزلـت آيـة ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ قيل لأبي بكر : **ارفع قليلاً** ، وقيل لعُمَر: **اخفض قليلا** [٤] .

قال الشيخ أبي العبَّاس المُرسيّ : أراد أن يخرج كُـلاً منهما عن إرادته لنفسه لمُراد رسول الله ﷺ لهُما[٥] .

---

(١) العقد النفيس في نظم جواهر التدريس . للإمام أحمد بن إدريس . صـــ ٢١٦ .

(٢) شرح القصيدة النونية لابن القـيِّم صـــ ٢٢٠ .

(٣) قال فى فتح الباري ١٣ / ٢٨٩ : أخرجه الحسن بن سفيان وغيره ، رجاله ثقات ، وقد صححه النـووي فـى آخـر الأربعين ، وانظر : تاريخ بغداد ٤ / ٣٦٨ .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٢ / ٤٩٦ حديث ٤٢١٠ ط دار المكتب الإسلامي – بيروت .

(٥) لطائف المنن . للإمام ابن عطاء الله الإسكندري ص١٢١، وبلفظ قريب في(التنوير في إسقاط التدبير ص٣٥ ، ٣٦) .

وقد صدَّق ذلك الله جلَّ في عُلاه بقوله ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ ، وقال كذلك عن حبيبه ومُصطفاه ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

قال القشيريّ : الافتيات عليه في أمره ، والاعتراض عليه في حكمه ، وتــرك الانقياد لإشارته قرعٌ لـِ باب الشرك، فمن لم يُمسك عنه سريعاً وقع في وهدته(١).

وقد ذمَّ الله سبحانه من كره ما أحبَّه الله أو أحبَّ ما كرهــه الله ، قــال تعــالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ وقال سُــبحانه ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ .

قال وهيب بن الورد : " بلغنا والله أعلَــم – أن موســى عليه السلام **قــال** : يــا ربِّ أوصني ، **قال** : (**أوصيك بي ، قالها ثلاثاً**) ، حتى قال في الأخرى : (**أوصــيك بي أن لا يعرض لك أمر إلاَّ آثرت فيه محبتي على ما سواها ، فمن لم يفعل ذلــك لم أُزكِّه ولم أرحمه)** (٢) .

وعن وهيب بن الورد كذلك أنه : " ما من عبدٍ يؤثر هوى الله على هوى نفــسه إلا قلَّل الله همومه، وجمع عليه ضيعته ، ونزع الفقر من قلبه ، وجعل الغنــى بــين

---

(١) لطائف الإشارات . الإمام القشيري . ج ٥ صـــ ١٦٢ .

(٢) صحيح وصايا الرسول . مرجع سابق ج ٣ صـــ ٢٤٦ . وروي بلفظ : " بلغنا أن موسى عليه السلام قال : يا رب أوصني قال الله عزَّ وجلَّ : **أوصيك بي** ، قال : يا رب . وكيف توصيني بك ؟ قال : " **لا يعرض لك أمــران أحــدهما لــي والآخر لنفسك إلاّ آثرت محبتي على هواك** " انظر كتاب : الطريق إلى الله أو كتاب الصدق للعارف بالله أبو سعيد الخراز ص ٦١ ، والذي رُوِي عنه **أنه قال (إن الحق ثقيلٌ مريء ، وإن الباطل خفيف وبيء)** انظر ص ٧٥ من الكتاب . ورُوِي مثل هذا القول عن بعض الصحابة . وَرُوِيَ من قول سيدنا حذيفة بن اليمان بلفظ : " **إن الحق ثقيل وهو مع ثقله مريء وإن الباطل خفيف وهو مع خفته وبيء ....** " . انظر تهذيب الكمــال ٥ / ٥٠٨ ، والمعجــم الأوسط للطبراني ٧ / ٣٦١ . ورُوِيَ في حِــلية الأولياء ٨ / ١٤٦ عن سيدنا عيسى بلفظ : " **ألا وإن هذا الحق ثقيل مر وإن الباطل خفيف وبيء .....**" .

عينيه ، واتجر له من وراء كل تاجر، وما من عبدٍ يؤثر هواه علـــى هـــوى الله إلا كثرت همومه ، وفرقت عليه ضيعته ، ونُزِع الغنى من قلبه وجُعل الفقر بين عينيه، ولا يبالي الله في أيّ وادٍ هلك "(١) .

بل رُوِي عن ابن سيرين ﷺ قال " لو خيَّرني ربِّي بين صلاة ركعتـــين وبـــين الجنة لاخترت الركعتين ، فقيل له: كيف ؟! **قال :** " لأن في الركعتين رضـــا ربـــى وفي الجنة رضا نفسي ، وأنا أفضل رضا ربِّي على متعة نفسي " (٢) .

ولقد قال سُبحانه في ذمِّ المنـــافقين وبيـــان علامـــاتهم ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾.

وعلى النقيض فإن من لم يسلِّم بحُكم الله في تقييم المُرشَّحين واختيارهم بالحق ، فإنما يَجُرّ نفسه بباطلها إلى هلاكها مادام ذلك بعلمه .

عن ابن عُمَر – رضي اللهُ عنهما – عن النبيّ ﷺ **قال (....... ومن خاصم فـــي باطلٍ وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع عنه .. ومن أعان على خصومةٍ بظلم فقد باء بغضبٍ من الله)** (٣) .

وعن أبي أمامة ﷺ أن النبيﷺ قال **(ما ضلَّ قومٌ بعد هدىً كـــانوا عليـــه إلا أوتوا الجدل)** ثم تلا ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ (٤) .

---

(١) تفسير التستري . الإمام / سهل بن عبد الله التستري صـــ ١٦٥ ، ١٦٦ .

(٢) عباد الرحمن . للشيخ عبد السلام أبو الفضل . صـــ ١٧ .

(٣) الشطرة الأولى حتى قوله : (**حتى ينزع عنه**) صحيحة أبو داود ج ٣ ص ٣٣٤ حديث رقم ٣٥٩٩ ، أمـــا الـــشطرة الثانية فضعيفة . أبو داود ج ٣ ص ٣٣٤ ح رقم ٣٦٠٠ .

(٤) أخرجهُ النسائي وابن ماجه وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم من طريق أبي العالية رضي اللهُ عنه ، وأخرجه الترمذيّ ج ٥ ص ٣٧٨١ ح رقم ٣٢٥٣ وقال أبو عيسى الترمذيّ : حديث صحيح .

مــن أجل هذا يجب تجنب الجدال ؛ لأن الجــدال يــذكي العــداوة ، ويــورث الشقاق، ويقود إلى الكذب ، ويدعو إلى التشفي مــن الآخرين[١] .

وهذا هو الموافق لطبيعة الإنسان التي لــم يُهــذبها الإيمــان ، قــال تعــالى : ﴿ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴾ .

أمَّا مَن هذبه الإيمان فلن يقول إلا كما قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : مــا نــاظرتُ أحداً قط على الغلبة ، ووَدِتُ إذا ناظرتُ أحداً أن يظهر الحق على يديه[٢] .

وقال أيضاً : ما كلَّــمتُ أحداً قط إلاَّ أحببتُ أن يُــوفق ويُــسدَّد ويُعــان ، ويكون عليهِ رعاية مِن اللهِ – تعالى – وحِفظ [٣] .

ثم هو القائل : "جادلت العالِــم فغلبته ، وجادلت الجاهل فغلبني" .

ورُوي عن أحد الصالحين : إن سبَــقَــنا غيرنا فنحن له تبع .

وقد ارتقى القرآن في الحوار مع المعارضين ، فقال على سبيل المشاكلة تلطفــاً في خطابهم : **{ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } {قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّــا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ }** .

يقول الشيخ مُحَمَّد خليل الخطيب :

واقصد به نيل الحقيقة وحدها	**لا تقصدن إبداء فضل حِجاكا**
لا تصبــوَنَّ عن الحقيقة إن تبن	**ممَّن صبا فتكــون ما أصباكا** [٤]

---

(١) الأسباب المفيدة في اكتساب الأخلاق الحميدة ص ٤٠ .

(٢) وروي بلفظ : (**ما ناظرت أحداً إلا وودت أن يظهر الحق على لسانه لا على لساني**) انظر : موازين الصادقين ص ٢٢٢ .

(٣) بستان العارفين ص ٨١ .

(٤) **وحي الحديث ص ٤٦** .

ولكننا نشاهد اليوم أناساً لا همَّ لهم إلاَّ الجدل ، وليس لديهم أدنى استعداد لأن يعدلوا عن أي رأي من آرائهم الانتخابية ، وإنما يُريدون للآخرين أن يتبعوهم فيمـا يقولون ، فهم على حقٍ دائماً وغيرهم على باطلٍ أبداً ، .. إن آفتهم هي المـراء أو اللدد في الخصومة ، وهو أمرٌ ذمَّة الله ورسوله ، فقد ذمَّ الله المشركين بقولـه فـي شأن القرآن﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾

وقال في شـأن مـشركي قـريش ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ (١)

بـل حكـى عـنهم ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ كذلك فقد ذمَّ الله أصنافاً من النـاس بقولـه ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ .

عن السيدة عائشة- رضي الله عنها- أن النبي ﷺ قال : **(إن أبغض الرجال إلـى الله الألدّ الخَصِم)** (٢) ، و**الألدّ** : الشديد الخصومة .

إن العُجب بالرأي الخطأ بلاءٌ وخذلانٌ ونقص ، وقد ذمَّه النبيﷺ وأخبـر أنـه يغلب على آخر هذه الأمَّة ، وعنده يكونوا قد عموا وصَمُّوا فلا ينتفعون بموعظة .

كذلك فقد ذمَّ أصحاب النبي ﷺ العجب بالرأي ، وذمه العلماء بعدهم ، وأخبروا أن فيه الهلكة .

---

(١) كيف نتعامل مع التراث . مرجع سابق . صـ ٤٢٤ ، ٤٢٥ .

(٢) البخارى ٨٦٧/٢ ح رقم ٢٣٢٥ ، ومسلم ٨ / ٥٧ ح ٦٩٥١ . ورواه (حم ت ن) عن عائشة ، وصححه صـاحب جوامع الكَلِـم .

رُوي عن سيدنا عليّ ﷺ أنه قال : " **مَـن استبد برأيه هلك** " .

وقال الحارث المُحاسبي : " ألا ترى إلى ما وصف الله عزَّ وجلَّ من قال عليه غير الحق فقال ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ وقال عزَّ وجلَّ ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾ ، فأخبر أن القوم مُعجبون بما يدنيون به من الضلال والكفر والكذب على الله عزَّ وجلَّ ، **فالإعجاب** بالرأي الخطأ هلك عامة الكفار وأهل البدع من أهل الإسلام وأهل الخطأ في الفتيا ، لأنهم تأولوا فأعجبوا بتأويلهم وظنُّوا أنه الحق اليقين ، وظنوا أنهم قد أصابوا الحق وقد تركوه ، ودانوا بغيره وخالفوه"(١) .

لذا عرَّف صاحب منازل السائرين التواضع بقوله : " **التواضع أن يتواضع العبد لصولة الحق** " ، وكما أن **(من تواضع لله رفعه)** فكذلك مَن تكبَّر عن الانقياد للحق أذلَّهُ الله ووضعه، وصغَّره وحقَّرهُ، ومن تكبر عن الانقياد للحق – ولو جاءه على يد صغير أو مَن يُبغضه أو يعاديه – فإنما تكبُّره على الله ، فإن الله هو الحق ، وكلامه حق ، ودينه حق ، والحق صفته ... ومنه وله ، فإذا ردَّهُ العبد وتكبَّرَ عن قبوله فإنما ردَّ على الله وتكبَّر عليه (٢) .

وقال العارف بالله أبو سعيد الخراز في كتاب الصدق :

(..... **الصبر الرابع** : هو الصبر على قبول الحق ممن جاءك به من الناس ودعاك إليه بالنصيحة فيقبل منه ، لأن الحق رسول من الله جلَّ ذكره إلى العباد ، ولا يجوز لهم ردّه ، فمن ترك قبول الحق ورده فإنما يردُّ على الله تعالى أمره (٣) .

---

(١) الرعاية لحقوق الله . الإمام الحارث بن أسد المُحاسبي . صـ ٢٩٨ ، ٢٩٩ بتصرف يسير .

(٢) مدارج السالكين شرح منازل السائرين . الإمام ابن قيم الجوزية . ج ٢ صـ ٣١٧ .

(٣) الطريق إلى الله أو كتاب الصدق للعارف بالله أبو سعيد الخراز ، ص٢٠ ، تحقيق وتقديم وتعليق د/عبد الحليم محمود

وقد سبق ذكر قول الإمام أبو الحَـسَن الـشاذلِيّ : وُسمَ بالسعادة رجُــلٌ عرف الحق فتواضعَ لأهله وإن عَمِلَ ما عَمِل ، وَوُسِمَ بالشقاوة رجُــلٌ جَحَد الحق وتكبَّــر على أهلهِ ولو عَمِلَ ما عَمِل(١) .

ولم يزل الصحابة مُـتهمين لآرائهم ، خائفين من أنفسهم .

قال عُمَر ﷺ : إن الرأي كان من رسول اللهِ ﷺ صواباً ، لأن الله عزَّ وجــلَّ كان يُريه ، وهو منَّا الظن والتكلف(٢) .

وقال أبو سعيد الخدري ﷺ: قال اللهُ عزَّ وجلَّ لهم وهم أصحاب نبيِّهِ ﷺ:﴿ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ ﴾ فكيف فيمن دونهم من الناس ؟! .

وقال ابن مسعود ﷺ : أيها الناس اتهموا الرأي ولقــد رأيتنـــي وأنـــا أهــم أن أضرب بسيفي في معصية اللهِ عزَّ وجلَّ ومعصية رسولهِ ﷺ (٣).

وقال سهل بن حنيف ﷺ : **أيها الناس اتهموا آراءكم** (٤) .

وقال عُمَر بن الخطاب ﷺ : اتهم رجُــل رأيه ، ولقد رأيتني يوم أبي جنـــدل ، ولو أقدر لرددتُ على رسول اللهِ ﷺ (٥) . يعني يوم صالحَ النبي ﷺ قريــشاً يــومَ الحُــديبية في إجابتهِ إياهم .

قال الإمام حجة الإسلام الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : اعلم أن آفات العُجب كثيرة ، فــإن العُجب يدعو إلى الكِــبر لأنه أحد أسبابه ، فيتولد من العُجب الكبر ، ومـــن الكبـــر الآفات الكثيرة التي لا تخفى .

---

(١) المفاخر العلية ص ٧٧ .

(٢) أخرجه أبو داود حديث رقم ٣٥٨٨ ضعيف مقطوع ٣/٣٩٢ .

(٣) أخرجهُ ابن أبي شيبة في مصنفه ٧ / ٥٠٨ ح رقم ٣٧٦١٥ . إسناده صحيح .

(٤) أخرجه البخاريّ بصيغة : (**اتهموا رأيكم**) ٦ / ٢٦٦٥ ح رقم ٦٨٧٨ .

(٥) البزار في مسنده ١ / ١١٧ ح ١٤٨ ، وانظر الرعاية لِحقوق الله . مرجع سابق صـــ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

والمعجب يغتر بنفسه وبرأيه ، وربما يُعجَب بالرأي الخاطىء الذي خطــر لــه، فيفرح بكونه مِن خواطره، ولا يفرح بخواطر غيره ، فيُصرّ عليه ولا يسمع نــصح ناصح ، ولا وعظ واعظ ، بل ينظر إلى غيره بعين الاستجهال ويُصرّ على خطئه ، فإن كان رأيه في أمر دنيوي فيخفق فيه ، وإن كان في أمرٍ ديني لا سيما فيما يتعلق بأصول العقائد فيهلك به ، ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه واستــضاء بنــور القــرآن واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وتابع سؤال أهل البــصيرة لكــان ذلك يوصله إلى الحق ، فهذا وأمثاله مِن آفات العُجب ، فلذلك كان من المهلكات .

وقد أخبر صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن العُجب بالرأي الخاطىء يغلب على آخر هذه الأمة كما جاء في الحديث الذي رواه أبو ثعلبة الخــشنيّ : " **إذا رأيــت شــحاً مطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك** " [(١)] .

وجميع أهل البدع والضلال إنما أصروا عليهــا لعُجــبهم بــأرائهم ، والعُجــب بالبدعة هو استحسان ما يسوق إليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقاً ، وعلاج هذا العُجب أشد من علاج غيره ، لأن صاحب الرأي الخاطىء جاهل بخطئــه ، ولــو عرفه لتركه ، ولا يعالج الداء الذى لا يُعــرف ، والجهــل داء لا يُعــرف فتعــسر مداواته جداً . لأن العارف يقدر على أن يبين للجاهل جهله ويزيلــه عنــه ، إلا إذا كان مُعجبا برأيه وجهله ، فإنه لا يصغى إلى العارف ويتهمه ، فقد سلط الله عليــه بلية تُهلكه وهو يظنها نعمة ، فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الهرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده ؟ أ. هــ .

---

(١) رواه أبو داود والترمذى ، وحسنه ابن ماجه .

أولوية الولاء للجماعة والأُمَّة على الولاء للقبيلة والفرد

إن الواجب على المُسلم أن يختار أصلح المُرشَّحين بدون النظر إلى كونهِ مِـــن قبيلتهِ أو قريتهِ أو عشيرتهِ أو حِزبهِ مِن عَدَمه .

وممَّا يؤكد هذا المعنى : ما جاء به القرآن ، وأكدته السُنَّةُ مـــن تقـــديم الـــولاء للجماعة ، والشعور بمعنى الأُمَّة ، على الولاء للقبيلة والعشيرة ، فلا فرديـــة ، ولا عصبية ، ولا شرود عن الجماعة .

فلقد كانت القبيلة في المُجتمع الجاهلي هي أساس الانتماء ، ومحـــور الـــولاء ، وكان ولاء الرجل لقبيلته في الحق وفي الباطل ، يُعبِّر عن ذلك قول الشاعر :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم   في النائبات على ما قال برهانا !

كما يؤكدها دريد بن الصمة في عميته الجاهلية حيث يقول :

وهل أنا إلا مِن غزية .. إن غوت   غويت ، وإن ترشد غزية أرشد (١)

كما يؤكد ذلك أحد شعرائهم بقوله :

وما سودتني عامر عن وراثة   أبى الله أن أسمـــو بـــأم ولا أب

ولكنني أحمي حماها وأتقى   رداها وأرمي مَن رماها بمنكبي (٢)

وكان شعار كل منهم : " انصر أخاك ، ظالمـــاً أو مظلومـــاً " علـــى ظـــاهر معناها .

كما في التعبير المعاصر : ملكي أكثر مِـــن الملِك .

---

(١) الطريق السوى إلى وحدة المسلمين ، د/ محمد المجذوب ، الطبعة الثانية ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٥١ .

ولقد قال العلماء : إن الجاهلية أربعة :

عقيدة : **{ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ }** ، وحُكم : **{أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ }** ، وتبرج : **{ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى }** ، وعصبية : **{إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ }**

فلما جاء الإسلام جعل الولاء لله ولرسوله ولجماعة المؤمنين ، أعني أمَّة الإسلام .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ .

وربَّاهم القرآن والسُنَّة على القيام لله شهداء بالقسط ، لا يمنعهم من ذلك عاطفة الحُبّ لقريب ولا عاطفة البُغض لعدوّ ، فالعدل يجب أن يكون فوق العواطف ، وأن يكون لله فلا يحابي من يُحِب ، ولا يحيف على من يكره ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ وقال كذلك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾.

واستخدم الرسول ﷺ بعض عبارات الجاهلية ، وأعطاها مفهوماً جديداً ، لم يكن لهم به عهد ، قال : **(انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)** قالوا : يا رسول الله : ننصره مظلوماً ، فكيف ننصره ظالماً؟ **قال : (تحجزه عن الظلم فإن ذلك نصره)**(١)

(١) رواهُ أحمد والبخاري والترمذي عن أنس، وروى معناهُ مُسلم عن جابر. صحيح الجامع الصغير(١٥٠١،١٥٠٢)

وبهذا عدَّل مفهوم النُصرة للظالم فأصبح نصره المطلوب : أن ينــصره علـــى هوى نفسه ، وإغواء شيطانه ، ويأخذ على يديه حتى لا يسقط في هُوَّة الظلم ، وهو وبالٌ في الدنيا ، وظلمات يوم القيامة.

كما حذَّر ﷺ من الدعوة للعصبية ، أو القتال تحت رايتها ، فمن قُتِل تحتها فقتلته جاهلية .

جاء في صحيح مسلم عنهﷺ : (**مَــن قُتل تحت رايةٍ عُمّية ، يدعو عصبية ، وينصر عصبية : فقِتلته جاهلية**)[١]. **والعُمّيــة** – بضم العين – هو الأمر الأعمى لا يتبين وجهه .

وفي حديثٍ آخر : (**من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات ، مــات ميتــة جاهلية ، ومن قاتل تحت راية عمية ، يغضب لعصبة ، أو يدعو إلى عــصبة ، أو ينصر عصبة ، فقتِل : فقتلته جاهلية**)[٢] .

وفي حديثٍ رواه أبو داود : (**ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منــا مــن قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية**)[٣] .

وعن واثــلة بن الأسقع ، قلت : يا رسول الله ، ما العصبية ؟ قال :(**أن تعــين قومك على الظلم**)[٤].

وروى ابن مسعود موقوفاً ومرفوعاً : (**من نصر قومه على غير الحق ، فهــو كالبعير الذي رُدِّي ، فهو ينزع بذَنَبه**)[٥] ، قال الإمام الخطابي : معناه : أنــه قــد

(١) رواهُ مُسلم في كتاب الإمارة برقم (١٨٥٠) عن جندب بن عبد الله البجليّ .

(٢) رواهُ مُسلم عن أبي هريرة (١٨٤٨) .

(٣) رواهُ أبو داود في كتاب الأدب مِن السُنن ٤ / ٤٩٤ ح رقم (٥١٢٣) بإسناد ضعيف .

(٤) رواهُ أبو داود (٥١١٩) .

(٥) رواهُ أبو داود موقوفاً ٥١١٧ ، ومرفوعاً ٥١١٨ .

وقع فى الإثم وهلك ، كالبعير إذا تردى في بئر ، فصار ينزع بذَنَبِه ، ولا يقدر على خلاصه (١) .

على أن هذا لا ينفي أن يكون للإنسان كبيرٌ يرجــع إليــه شــريطة ألاَّ يكــون صاحب هوى ، وأن يكون على الحق ، **وفى المثل السائر** (من ليس له كبير فإنــه يشترى له كبير) ، كما سبق ذكر المثل القائل : " مَــن يَــكبُــرك بيوم يَــفــضلك بمعرفة سنة " .

وقد قلت في خواطري : قال أحدهم يحكي عن الشيخ الشعراوي :
" حين سُــئل : لماذا لم يظهر أمرك إلا بعد الستين ، قال : وهل تثمر الــشجرة إلا بعد سنين عديدة " (٢) .
وقد كان ﷺ يقول **(كبر كبر)**(٣) ، ويقول **(الكَــبَــر الكبر)**(٤) أي فليتكلم الأكبر(٥).
وفي الحديث : " **إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه** "(٦) ، وفي الخبر (**أُمرنا أن ننــزل الناس منازلهم**) (٧) .

---

(١) فقه الأولويات . مرجع سابق صــ ١٢٧ ، ١٢٨ . بل قال بعض العلماء : إن التوجه إلى بيت المقدس قبــل تحويــل القبلة إلى البيت الحرام إنما كان لنزع عصبية بعض مَــن آمن مِــن أهل مكة نحو الكعبة .

(٢) رأيته مناماً .

(٣)(حم ق د) عن سهل بن خيثمة (حم) عن رافع بن خديج ، وصححه صاحب جوامع الكَــلِــم .

(٤)(ق د) عن سهل بن أبي حثمة ، وصححه صاحب جوامع الكَــلِــم .

(٥) انظر جوامع الكلم ص ٢٨٨ .

(٦)(ك) عن جابر (هــ) عن ابن عمر (بز خز طب عد هب) عن جرير (كر) عن أنس (ح) .

(٧) رواه مُسلم في مُقدمة صحيحه عن السيدة عائشة ، (وأبو داود ، والبزار في مسنده بلفظ : " **أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم** " ، وقال الحاكم أبو عبد الله في علل الحديث : هو حديث صحيح) ، ورواه البيهقي في الأدب ، وأبي يعلى ، والعسكري في الأمثال .

ونجد تأمير مَــن يُــرجع إليه كثيرٌ في الشرع الإسلامي حتى قــال ﷺ : **(إذا كنتم ثلاثة فأمِّروا أحدكم)**(١) ، وفي رواية لأحمد **(لا يحل لثلاثة نفر يكونون فــي فلاةٍ مِن الأرض إلاَّ أمَّروا عليهم أحدهم)** (٢) **. كما قال** ﷺ **(إذا خرج ثلاثة فــي سفر فليؤمروا أحدهم)** (٣) **وقال** ﷺ أيضاً **(إذا كانوا ثلاثة فليؤمهم أحدهم)** (٤) .

وهذه الأحاديث تُشرع لكل عدد بلغ ثلاثة فصاعداً أن يُؤمروا علــيهم أحــدهم ؛ لأن في ذلك السلامة من الخلاف الذي قد يؤدي إلى القلق ، إذا استبد كل منهم برأيه

(١) رواهُ الطبراني (٢٦٧/١) عن ابن مسعود ٨٩١٥ وقال الهيثمي في المجمع رجالهُ رجــال الــصحيح (٢٥٦ / ٥) كشف الخفا . مشار إليه فى كتاب فتاوى معاصرة د / يوسُف القرضاوي ج٣ صـــ٤٥٧ . وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه عن عُمر بن الخطاب ﷺ ٤ / ٥٨ ح رقم ٦٩٦٠ ، و (ح) عن ابن مسعود ، وصححه صــاحب جوامــع الكَــلِــم .وبلفظ : " **أمروا أحدكم** " رواه الطبراني في الكبير (٩/١٨٥) عن ابن مسعود موقوفا، وابن الجعد في المسند (١/٧٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد :رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح(٥/٤٤٩) ، وحسن العراقي إسناده في تخريج أحاديث الإحياء.(٢/٢١٧) .

(٢) رواهُ أحمد (١٨١/١، ٢٠٣) ح رقم٦٦٤٧ عن عبد الله بن عمرو . حديث حــسن ، ورواه أبــو **داود (٣٥٨٩)** ، وبلفظ " **لا يحل لثلاثة أن يكونوا بفلاة من الأرض إلا أمَّروا عليهم أحدهم** " رواه أحمد في المسند (٦٦٤٧) عن عبد الله بن عمرو، وقال مخرجوه :صحيح لغيره إلا حديث الإمارة فحسن، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد :رواه أحمــد والطبراني وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وبقية رجال أحمد رجال الصحيح.(٤/١٤٥) .

(٣)رواه أبو داود في الجهاد (٢٦٠٨) عن أبي سعيد الخدري، والطبراني في الأوسط(٨/٩٩) ، والبيهقي في الكبرى كتاب الحج(٥/٢٥٧) ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.(٢٢٧٢) ، و(ع هق ضخ) عن أبي هريرة وعن أبي سعيد، وحسنه صاحب جوامع الكَــلِــم .

(٤)(م) عن أبي سعيد ، وصححه صاحب جوامع الكَــلِــم .

وفعل ما يطابق هواه . كما أن اجتماعهم على أحدهم فيه جمــع كلمــتهم وتــضامن بينهم في مواجهة ما ينزل بهم[١] .

فإذا ما شرع هذا لثلاثة في فلاة من الأرض أو مسافرين في اجتماع عــارض ، فهو تنبيه على سائر أنواع الاجتماع ، وشرعيته أولى لعدد أكثــر يــسكن القــرى والأمصار ويحتاجون لدفع التظالم والتجاعد فيما بينهم. والفصل في الخصومات[٢]

بل قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم : (أخَّروا دفنه ﷺ مــن يــوم الاثنين إلى ليلة الأربعاء أواخر نهار الثلاثاء للاشتغال بأمر البيعة ليكون لهم إمــام يرجعون إلى قوله إن اختلفوا في شئ من أمور تجهيزه ودفنه، وينقادون لأمره لــئلا يؤدي إلى النزاع واختلاف الكلمة ، وكان هذا أهم الأمور .. والله أعلم) [٣] .

وشاهد اشتراط ألاَّ يكون الكبير صاحب هوى وأن يكون على الحــق ، أن أبــا عليّ الفُــضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ سُئل عن أحسن العمل في قوله تعالى﴿ **أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا** ﴾ فقال أحسن العمل : أخلصه وأصوبه ، قيل له: مــا أخلــصه ومــا أصوبه ؟ فقال : " إن الله لا يقبل العمل ما لم يكن خالصاً صواباً ، فإذا كان صــواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل ، وإذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل ، وخلوصــه أن يكون لله ، وصوابه أن يكون على السُنَّة " .

---

(١) راجع الشوكانيّ : نيل الأوطار جــ ١ ، ص ٤٩٦ .

(٢) من معالم النظام السياسي في الدولة الإسلامية ، دراسة تاريخية حضارية مقارنة ، للدكتور/ صابر محمــد ديــاب ، الطبعة الثانية ، ص ٩٣ ، ٩٤ بتصرف يسير .

(٣) صحيح مُسلم بشرح النووي ج ٧ صــ ٣٦ ط دار إحياء التراث العربي .

قلتُ : إن شئت فتأمل قول سُليمان عليه السلام في دعائه لربــه ﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ ﴾ [1] .

ولكن الناظر يجد أن بعض التافهين يُسمع لهم .

وتأمل ما رُوي عن رسول الله ﷺ (**سيأتي على الناس سنوات خدَّاعات يُصَدَّق فيها الكاذب ، ويُكَذَب فيها الصادق ، ويُؤتمن فيها الخائن ويُخوَّن فيهــا الأمــين ، وينطق فيها الرُويبضة**) قيل : يا رسول الله وما الرويبضة ؟، **قال: الرجل التافــه يتكلمُ في أمر العامة)** [2] .

---

(١) فقه الأولويات . مرجع سابق صـــ ٤٤ .

(٢) رواه أحمد في المسند بلفظ (سنوات خداعة) عن أبي هريرة ٢ / ٢٩١ ح رقم ٧٨٩٩ ، والحديث إســناده ضــعيف لضعف عبد الملك بن قدامة ، ورواه ابن ماجه ، والحاكم وصحَّحه ، ووافقه الذهبيّ .

مُجانبــــة العصبيـــة

قال الشيخ مُحَمَّد الغزالي : " إن الحمقى وحدهم هم الَّـذين ينقلـون ذكريـات الماضي البعيد ليثيروا بها أحقاد الناس في حاضرهم ولا أدري سر الانفعـال الَّـذي يجعل العوام عندنا يعتبرون أنفسهم أبطالاً وشركاء في الروايات الدامية التي وقعت من أجيال سحيقة ، فبدلاً من أن يجتازوها وقد استخلـصوا منهـا العبـرة إذا هـم يتصورون أنفسهم أصحاب حقوق فيها ثم يعيدون الخصومة جذعة ، بعد أن يتـشيع كُل فريق منهم إلى ناحية يهواها !! ، وقد كان العوام يستمعون قصة أبي زيد، ثـم يتحولون إلى معسكرين ، يتعصب أحدهما للزناتي ، والآخر لقرنـه ، فـإذا حمـت أخبار النزال على لسان قارىء القصة حَمِيت الـدماء فـي عـروق المعـسكرين المحتشدين المتربصين ، ثم انجلى السامر عن جرح وطعان ! لا أستطيع تسمية هذا إلاَّ سفهـاً ، وعجيبٌ أننا غرقنا في هذا السفه دهراً " (١).

مع أن الله قد ذمَّ فرعون بقولـه ﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا ﴾

ويقول الشيخ الغزالي أيضاً : إن المرء قد يتعصب لمواريث فكرية آلـت إليـه دون اكتراث بما فيها من صوابٍ أو خطأ ، يكفي أنها تراث الأوائل فكيف يتركها ، قال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾ ، وهذا التعصب على دمامته يمكن معالجته لأن أساسه الجهل ، ومع كثرة التعريف والتوضيح يمكن

(١) الإسلام والاستبداد السياسي . الشيخ / مُحَمَّد الغزالي . صـــ ١٨٧ .

أن يلين الجامح ، لكن هناك نوعٌ آخر من العصبية يبعد علاجه لأن أساسه الجحـــود والاستكبار [١] .

وقد ذكر العلماء أن للكفر خمسة أنواع منها كفر الإباء والاستكبار نحو كفـــر إبليس ، فإنه لم يجحد أمر الله ولا قابلة بالإنكار ، وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار وهو الغالب على كفر أعداء الله ، كما حكى الله تعالى عن فرعون وقومه ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ .

قال الإمام أحمد زرُّوق في قواعده : النظر للأزمنة والأشخاص لا من حيـــث أصل شرعيّ أمرٌ جاهليّ ، حيث قـــال الكفـــار ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ ، فردَّ الله تعالى عليهم بقولـــه ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ...﴾ **الآيـــة**[٢] ، وقـــالوا ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾ ، فردّ : ﴿ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ﴾ ، فلـــزم النظر لعموم فضل الله تعالى من غير مبالاة بوقتٍ ولا شخص إلاَّ من حيـــث مـــا خصَّه الله تعالى به .

والحق أن نفخ النار في النعرة العنصرية لا يلجأ إليه إلا واحدٌ من ثلاثة :-

شخص تافه يعرف من نفسه فقدان الكفاية ، فهو ينوِّه بنسبه ليستعيض به عمـــا فقد من رجولته ومروءته ، **أو رجُلٌ فاجر** أعياه الارتفاع بالناس إلى المثُل الفاضـــلة

(١) الحق المُرّ . الشيخ / مُحَمَّد الغزالي صـــ ١٠٨ .

(٢) فأبو مسعود الثقفيّ كان كبير الطائف، كما أن أبو جهل كبير مكة، فكانوا يريدون أن ينزل القرآن على واحدٍ منهما، لا على مُحَمَّد اليتيم، وهذا ما قالهُ مالك والضحاك ومُجاهد وابن عبَّـــاس (تفسير ابن كثير ج ٤ صـــ ١٣٧) مشار إليه فى كتاب لطائف الإشارات للقشيري ج ٥ صـــ ٣٦٤ .

فرتع معهم في شهواتهم وجاراهم في أهوائهم ليجاروه فيما يهوى ، **أو رجُلٌ مغرور** يحسبُ عن ضلالٍ في الفهم أن قومـاً أفضل من قومٍ ، فهو يملأ فمه فخراً بقومه ، والإسلام يُكَذّب هؤلاء أجمعين (١) .

والحق أيضاً أنه ليس هناك طريقٌ يوقع بالمسلمين الضرر ويُورث الحقد والبغضاء بينهم مثل العصبية للحيّ أو الناحية أو القبيلة ونحوها ، فبعد أن ألَّف الإسلام بين الأوس والخزرج وكوَّن منهم ما عُرف باسم الأنصار – حاول اليهود بشتى الطرق أن يوقعوا بينهم العداوة والبغضاء ، وأيسر طريق لتلك الفتنة ان يُذَكِّرُوهم بما كان بينهم في الجاهلية مِن حروب ، وبدأت النار تشتعل بسبب أحد اليهود الَّذي جلس بين الأوس والخزرج وأنشدهم شِعراً قاله أحد الحيين في حربهم ، فقال الحيّ الآخر : الشِعر الَّذي قالوهُ في حربهم ، وبلغت الفتنة ذروتها حين قالوا : تعالوا نَرُدّ الحرب جذعاء كما كانت ، فنادى هؤلاء : يا آل أوس ، ونادى هؤلاء يا آل خزرج ، فاجتمعوا وأخذوا السلاح واصطفُّوا للقتال ، ولكن رحمة الله كانت قريبٌ من المحسنين فأنزل الله عزَّ وجلَّ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ۝ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ... ﴾ الآية .

عن عكرمة وابن زيد وابن عباس أن النبيّ ﷺ جاء حتى وقف بين الصفين وقرأ الآيات عليهم ، فقرأها ورفع صوته ، فلمَّا سمعوا صوته أنصتوا وجعلوا يستمعون ، فلما فرغ ألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضاً ، وجعلوا يبكون(٢) .

---

(١) الإسلام والاستبداد السياسي . مرجع سابق صـ ٢٠٠ .

(٢) تفسير القرطبيّ ج٤/١٥٥ ط دار الكتاب المصري، وانظر الاختراق اليهودي للمجتمعات الإسلامية. صـ٣٧،٣٨

قال الإمام أبو العزائم : " ولذلك فعندما قال رجلٌ فارسيّ مـــن الـــصحابة فـــي إحدى الغزوات لمُشرك : " خذها وأنا الفتى الفارسيّ " غضب رسول الله ﷺ وقـــال له: **(هلاَّ قلت: وأنا الفتى الأنصاريّ ؟)** وذلك لما جرى على لسان ذلك القائل ممـــا هو عين التفرقة وما ينبغي للمُسلم إلاَّ أن تكون دعواه للإسلام وكل ما يدعو إلـــى الاتحاد والوئام " (١) .

قلتُ : وليس يؤدى التعصب للقبيلة أو الناحية أو العائلة إلى الـــضرر والحقـــد والبغضاء فحسب ، بل أدى قديماً إلى الكفر ؛ **فقد رُوي أنه :** لقِيَ رجلٌ أبا جهـــل ، وقال له : يا أبا الحكم إنك شديد العداوة لمُحمد ، ولـــيس هنـــا غيـــري وغيـــرك ، فأستحلفك بالله إلاَّ أخبرتني عمَّا تعرفـــه عن أخلاق محمد ؟ وهل هو كمـــا تـــزعم كذابٌ في دعوته ؟ **فقال** أبو جهل : والله ما كذب محمدٌ قط ، وقد كنا نـــدعوه مـــن صباه بالصادق الأمين ، ولكن أصدُقك الحديث يا أخي ، نافسنا بنـــو عبـــد منـــاف الشرف.. أطعموا فأطعمنا ، وأكرموا فأكرمنا ، وأجاروا فأجرنـــا ، حتـــى إذا كنـــا كفرسي رِهان في المجد والشرف سواء .. قالوا : منَّا نبيٌ يوحَى إليه ، فوالله لانسلِّم لهم ذلك أبداً ، فأنزل الله عند ذلك قولـــه تعـــالى ﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ﴾(٢)

كذلك فإن العصبية هي التي جرَّت بعض القبائل لمتتابعة مُدعيّ النبـــوة كـــــ : مُـــسيلمة الحنفي ، وسجاح بنت الحارث ، وطليحة الأسدي ، والأســـود العنـــسي ، **حتى قال قائلهم :** " كذاب ربيعة أحبّ إلينا مِن صادق مُـــضَر " !!! .

---

(١) الإسلام نسَب . للإمام / مُحَمَّد ماضي أبو العزائم . صـــ ٦٦ .

(٢) ذكره الإمام مُحمد الخطيب في تفسيره السراج المنير ١ / ٩٠٩ بمعناه . ورواه البيهقي وقال الألباني : حسن صحيح .

كما سُــئل أحدهم : هل تصدق مسيلمة ، فقال : والله إني لأعلم إنـــه لكــاذب ، فقيل له : ولماذا أنت كافر بمحمد ، فقال : كذاب بني حنيفة أحبّ إليَّ مِــن صـــادق قريش .

وقد رُوي أن الحارث بن هشام وسُهيل بن عمرو وخالد بن أسيد لمَّا أذن بـــلال يوم الفتح على الكعبة أنكروا، وقال الحارث بن هشام : هذا العبد الأسود يُؤذن على الكعبة ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾رواهُ ابــن أبـــي حُـــسين(١).

وفي نهج البلاغة عن عليّ بن أبي طالب – كــرَّم الله وجهـــه– قولـــه : " إن إبليس اعترضته الحَمِيَّة ، فافتخر على آدم بخلقه وتعصب عليه لأصله ، وعــدو الله إمام المتعصبين الَّــذي وضع أساس العصبية ، فاعتبروا بما كان مِن فِعل إبليس إذ أحبط عمله الطويل وجهده الجهيد ، وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة لا يُدرى أمِــن سِنيّ الدنيا أم سِنيّ الآخرة عن كِبر ساعةٍ واحدة ، فاحــذروا عبـــاد الله أن يعــديكم بدائه، وأطفئوا ما كمن في قلوبكم من نيران العصبية وأحقاد الجاهلية، فإنمـــا تلـــك الحَمِيَّة تكون في المُسلم من خطرات الشيطان ونخواته ونزعاته ونفثاته ، واعتمـــدوا وضع التذلل على رؤوسكم وإلقاء التعزز تحت أقدامكم وخلع التكبر من أعنـــاقكم ، واتخذوا التواضع مسلحة بينكم وبين عدوكم إبليس وجنوده ، ألا فالحذر الحذر مـــن طاعة ساداتكم وكُبرائكم الَّذين تكبروا عن حسبهم ، وترفعوا فوق نـــسبهم ، فـــإنهم قواعد أساس العصبية ودعائم أركان الفتنة وسيوف اعتزاء الجاهلية ، ولا تطيعـــوا الأدعياء الذين شربتم بصفوكم كدَرَهم ، وخلطتم بصِحتكم مرضهم ، وأدخلـــتم فـــى حقكم باطلهم وهُم أساس الفسوق وأحلاس العقوق ، اتخذهم إبليس مطايا ضـــلال ، وجنداً بهم يصول على الناس ، وتراجمة ينطق على ألسنتهم ، اســـتراقاً لعقـــولكم ،

(١) انظر الرعاية لِحقوق الله .مرجع سابق صـــ ٣١٣ ، وذكره الألوسي في تفسيره روح المعاني ١٩ / ٢٩٠ .

ودخولاً في عيونكم، ونفثاً في أسماعكم، فجعلكم مرمى نبله وموطيء قدمه ومأخـــذ يده "[١] .

ووصَّى عُمَر بن عبد العزيز ولاته قائلاً لهـــم : " **اقمعـــوا صـــوت العـــصبية والقبلية ، ولا تدعوا الناس يقول أحدهم أنا مُضريّ، ويقول الآخـــر أنـــا يَمنـــيّ ، فالمؤمنون إخوة** " [٢] .

قال بعض العلماء :

لم يكن بين أفراد الجماعة التي تألفت واجتمعت على الإســـلام أي فـــرق علـــى أساس الدم أو الأرض أو اللون أو اللغة ، فكان فيها سلمان الفارسي الذي كـــان إذا سُـــئل عن نسبه قال : (**سلمان ابن الإسلام**) ورُوي عن ســـيدنا علـــيّ كـــرَّم الله وجهه قوله : " **سلمان منا آل البيت** " ، وكان فيها (باذان بن ساسان) وابنه (شهر بن باذان) وكان نسبهما يتصل ببهرام جود ملك الفرس وقد رُوي أن الرســـول ﷺ قد ولَّـــى (باذان) على اليمن ، وابنه على صنعاء ، كما كان في هـــذه الجماعـــة بلال الحبشيّ الذي قال عنه سيدنا عُـــمَـــر بن الخطاب ﷺ : (**بلال سيدنا ومولى سيدنا**) ويقول أيضاً : " **أبو بكر سيدنا ، وأعتق سيدنا** " يعني بـــلالا[٣] ، وكـــذلك صهيب الرومي ﷺ الذي جعله سيدنا عُـــمَـــر يؤم المسلمين في الصلاة نيابة عنـــه و(سالم) مولى أبى حذيفة الذي قال فيه سيدنا عُـــمَـــر ﷺ عند وفاته (**لـــو كـــان سالم حيَّـــاً لَـــولَّـــيته**) وزيد بن حارثة أحد الموالي الذي زوَّجه الرسول ﷺ ابنـــة عمته السيدة زينب بنت جحش أم المؤمنين ، و أسامة بن زيد الذي أمَّـــره الرســـول ﷺ على الجيش الذي اشترك فيه صحابة أجلاء كأبي بكر وعُـــمَـــر و أبي عُـــبَيدة

---

(١) نهج البلاغة . صـــ ٢٥٤ – ٢٥٧ .

(٢) خلفاء الرسول . مرجع سابق صـــ ٥٨٩ .

(٣) الراوي: جابر بن عبدالله: صحيح البخاري: ٣٧٥٤

ابن الجراح ﷺ، والذي قال عنه سيدنا عُـمَــر لابنه عبد الله – رضي الله عنهما – **(كان أبو أسامة أحَــبّ إلى رسول الله مِــن أبيك وأسامة أحَــبّ إليَّ منك)** [1] .

وقد يفكر البعض تفكيراً ساذجاً فيقول : أن صلة القومية الإســلامية تبقــى بعــد ظهور مشاعر القومية المحلية الوطنية والجنسية ، وها هم يخدعون أنفــسهم بــأن هاتين القوميتين تسيران معاً جنباً إلى جنب ، وأن كلتيهما لا تتــصادم بــالأخرى ، وأنه يمكننا أن نجني ثمارهما معاً ، لكن هذا القــول هــو مــن عجائــب الجهــل وضحالات الفكر ؛ فكما أن الله لم يخلق قلبين في صدر واحد ، كذلك لم يضع فــي القلب الواحد مكاناً يجمع ما بين عواطف قوميتين متناقضتين ، لأن النتيجة الحتميــة الطبيعية لعاطفة القومية بشكل عام هي التفريق بين الأتباع والأغيار ، وعلــى هــذا فعاطفة القومية الإسلامية تقضي أن يعتبر المسلمون المسلمين جمــيعهم أتبــاعهم ، على حين تستلزم عاطفة القومية الوطنية أو الجنسية أن يُــعَــدّ كُــلّ مَــن وُلــد في بلد آخر أو جنس مختلف مخالفاً مغايراً . فليتكرم أي مِــن ذوي العقول السليمة ويخبرنا كيف لهاتين العاطفتين أن تجتمعا فــي مكــان واحــد ؟ ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴾ هود ٧٨ .

إن علينا أن نفهم أن ظهور الإحساس بالهندية والتركيــة والأفغانيــة والعربيــة والإيرانية بين المسلمين ، يستلزم بالضرورة محو القوميــة الإســلامية وتفتيتهــا ، وليست هذه النتيجة مما يقضي به العقل والمنطق فحسب ، بل قد رأيناها مراراً في

---

(1) الحكومة الإسلامية للمودودى ص ١٧١ . روي أنه فرض لأسامة في ثلاثة آلاف وخمسمائة ، وفرض لعبد الله بــن عمر في ثلاثة آلاف ، فقال عبد الله بن عمر لأبيه : لم فضلت أسامة علي ؟ فوالله ما سبقني إلى مشهد ، قال : " **لأن زيدا كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك ، وكان أسامة أحب إلى رسول الله ﷺ منك ، فآثرت حب رسول الله ﷺ على حبي** " الراوي: عمر بن الخطاب: سنن الترمذي: ٣٨١٣ والحديث : حسن صحيح .

الواقع الفعلي ، فعندما ظهرت في المسلمين العصبيات الجنسية أو الوطنية نتج عنها بالضرورة أن ضرب المسلم عنق المسلم[١] .

ويقول الشيخ الدكتور / مُحَمَّد خليل الخطيب :

ولم يُــفد ابن نوح إذ لم يُــطع الله أن أباه نبيّ وما نفع أبا جهل إذ لــم يــؤمن – أن أصله عربيّ ، وقد أعلى الإيمان شأن سلمان حتى نماه النبي ﷺ إليه بيد أنه من الفرس . وحَــطَّ الكفر وزن أبي لهب مع أنه عم النبي ﷺ ومن بيئة منها قس .

وكم للفرس مِــن أيادٍ بيضاء على العلم والعلماء ، جدوا في العلم إلى أن كــان سهمهم فيه أعظم سهم ، وبزُّوا فيها العرب العرباء وكانوا أبين مِــن ذكــاء ؛ يــدل على ذلك ما حكاه عطاء . قال : دخلت على هشام بن عبد الملك بالرصافة ، فقال : يا عطاء هل لك علم بعلماء الأمصار ؟ قلت : بلى يا أميــر المــؤمنين ، فقــال : فمَن فقيه أهل المدينة ؟ قلت : نافع مولى ابن عُــمَــر ، فقال : فمَــن فقيــه أهــل مكة ؟ قلت: عطاء بن رباح، قال : مولى أم عربيّ ؟ قلت : لا . بل مولى . قال : فمَــن فقيه أهل اليمن ؟ قلت : طاووس بن كيسان ، قال : مولى أم عربيّ ؟ قلت : لا . بل مولى ، قال : فمَــن فقيه أهل اليمامة ؟ قلت : يحيى بن أبي كثير ، قــال : مولى أم عربي ؟ قلت: لا بل مولى، قال : فمَــن فقيه أهل الشام ؟ قلت : مكحول ، قال : مولى أم عربي ؟ قلت: لا بل مولى ، قال : فمَــن فقيه أهل خراسان ، قلت : الضحاك بن مزاحم ، قال : مولى أم عربي ؟ قلت : لا بل مولى ، قــال : فمَــــن فقيه أهل البصرة ، قلت : الحسن وابن سيرين ، قال : موليان أم عربيان ؟ قلــت : لا بل موليان ، قال : فمن فقيه أهل الكوفة ؟ – قلت : إبراهيم النخعيّ ، قال مــولى أم عربي ؟– قلت : لا بل عربيّ – قال هشام : لولا قولك إنه عربيّ لكادت نفــسي تخرج [٢] .

---

(١) الحكومة الإسلامية ص ١٧٨ بتصرف .

(٢) التراجم المهمة للأربعة الأئمة ص ١٤ .

وكان الناس وما يزالون الفضل بينهم للعلــم ، والتقــى والآداب لا للأنــساب ، ولجودة الرأي والصواب لا لحُــسن الهيئة والثياب .

فما قرن الفتى شيئاً بشيء　　　　كمثل العلم يقرنه بتقوى (١)

وقد رُوي أن سيدنا عليّ بن أبي طالب ﷺ قد بنات يزدجرد ملك الفرس علــى الصحابة ، فاختارت إحداهن سيدنا الحسين بن عليّ – رضي الله عنهما – فأنجبت له سيدنا عليّ زين العابدين ، واختارت إحداهن سيدنا مُحمد بن أبي بكر – رضــي الله عنهما – فأنجبت الإمام القاسم بن محمد أحد فقهاء المدينة الــسبعة ، واختـــارت إحداهن سيدنا عبد الله بن عُمر – رضي الله عنهما – فأنجبت له الإمام سالم بن عبد الله أحد فقهاء المدينة السبعة أيضاً .

وقد بشر النبي ﷺ بــ أبي حنيفة في الحديث الذي أخرجه البخاريُّ ومسلم وهــو **(لو كان العلم معلقا عند الثريا لتناوله رجال مِــن أبناء فــارس)** جـزم الإمــام السيوطيّ بأن أبا حنيفة هو المراد من هذا الحديث ؛ لأنه لم يبلغ أحد في زمنه مــن أبناء فارس مبلغه في العلم ولا مبلغ أصحابه (٢) .

قال الشاعر محمود غنيم :

لا درّ امــرئٍ يطــري أوائلــه　　　　فخراً ويطرق إن سائلـته ما هو

إنّي لأعتبرُ الإسلام جامعة　　　　للشرق لا محض دينٌ سنّةُ الله

---

(١) التراجم المهمة للأربعة الأئمة ص ١٤ .

(٢) التراجم المهمة للأربعة الأئمة ص ١٤ .

ونحن إذا نظرنا إلى مباديء الإسلام فسنجد أن الولاء للدِّين يبتلع كــل ولاء ، بل يطمسه إذا تعارض معه .

ففي صدر الإسلام كان هناك سلمان الفارسيّ ، وصُهيب الروميّ وبلال الحبشيّ ولكن جمعهم الولاء للدِّين فمحى كل فُرقة ، حتى رُوي عن سيِّد الخلق ﷺ **أنه قــال (سلمانُ منَّا آل البيت)** [١] ، ورُوي عنه كذلك أنه **قال (أنا ســابق العــرب إلــى الإسلام ، وسلمان سابق العجم إلى الإسلام ، وصُهيب سابق الروم إلى الإســلام ، وبلال سابق الحبشة إلى الإسلام)**[٢] .

أما اليوم فإن أهل الهوى لا يزيدهم الحق إلا ضلالاً ، على حد قولــه ســبحانه تعالى ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ .

إذ أن التعصب للقبيلة أو الناحية أو العائلة أو لغيرها ليس إلاَّ وليد هوى ، ومــن أشربه يبعد عنه الرجوع ، إذ أن الكتابة على الكتابة لا تثمر شيئاً.. إلاَّ الندامة .

وما أعظم قول الإمام ابن عطاء الله السكندرى في حِكَمه " **كيف يُــشرق قلــبٌ صور الأكوان منطبعةٌ في مرآته** " [٣] .

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٦٩١/٣ ح رقم٦٥٤١، وقال الذهبيّ: سنده ضعيف فيه كثير بن عبد الرازق . ضــعيف ، ورواه (طب) عن عمرو بن عوف ، وحسنه صاحب جوامع الكَــلِــم . ورُوي أن سبب هذا الحديث : " أن رسول الله ﷺ خط الخندق من أحمر السبختين طرف بني حارثة عام حزب الأحزاب حتى بلغ المداحج ، فقطع لكل عشرة أربعين ذراعا ، واحتج المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي ، وكان رجلا قويا ، فقال المهاجرون : سلمان منا وقالت الأنصار : منا ، فقال رسول الله ﷺ **(سلمان منا أهل البيت)** رواه الهيثمي في مجمع الزوائد عن عمــرو ابن عوف المزني١٣٣/٦: فيه كثير بن عبد الله المزني وقد ضعفه الجمهور وحسن الترمذي حديثه ، وبقية رجالــه ثقات .

(٢) بلفظ : **(السابق أربعة . أنا سابق العرب وسلمان سابق الفارس وبلال سابق الحبشة وصهيب سابق الــروم)** رواه الحاكم في المستدرك ٣ / ٣٢١ ح رقم ٥٢٤٣ ضعيف ط دار الكتب العلمية .

(٣) كشف الغطاء . مرجع سابق . صـــ ١١٩ .

وبئس ما قاله الشاعر البعثي :

آمنت بالبعث رباً لا شريك له وبالعروبة ديناً ما له ثاني [1]

ولقد سُـــئل الإمام الشيخ مُـــحمد زكيّ الدين إبراهيم . ذات مرة ســـؤالا فيـــهِ رائحة العصبية للعرب فأجاب وأفاد :

أو لم تقرأ قوله تعالى﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ وقولـــه تعـــالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ وروي عنه ﷺ أنه قال: " **لا فضل لأبيض على أحمر ، ولا لعربيّ على عجميّ إلا بالتقوى** "[2] وروي عنه كذلك ﷺ أنـــه قـــال : : " **إن الله أذهب عنكم عُبِّـــيَـــة الجاهلية ، وفخرها بالآباء ؛ مؤمن تقي ، وفاجر شقي ، أنتم لآدم ، وآدم مِن تراب** " [3] وقوله ﷺ ، وقد تمعَّـــر وجهه غضباً : " **ليـــدعن أقوام فخرهم بأقوام إنما هم حطب مِـــن حطب جهنم ، أو ليكوننَّ أهون علـــى الله مِـــن الجعلان التي تدفع بأنفها النتن** " [4] .

إنها حمية الجاهلية ، يرددها ببغاوات البشر، بلا تدبر، ولا بينة .

---

(١) الطريق السوى إلى وحدة المسلمين ، مرجع سابق ص ٢١٧.

(٢) هذا النص لم أقف عليه والنص الموجود : قام رسول الله ﷺ وسط أيام التشريق فقال : " **يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، لا فضل لعربيّ على أعجميّ ولا لعجميّ على عربيّ ولا أسود على أحمر ولا أحمر على أسود إلا بتقوى الله ، ألا هل بلَّغت** " انظر مسند عبد الله بن المبارك ج ١ ص ٤٥ .

(٣) رواه الترمذيّ في سننه ٥ / ٧٣٤ ح رقم ٣٩٥٥ . حديث حسن ، وفي رواية ذكرها ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى **(إن أكرمكم عند الله أتقاكم) :(يا أيها الناس، إن الله تعالى قد أذهب عنكم عُـــبِّـــيَـــة الجاهلية وتعظمها بآبائها . فالناس رجلان : رجُـــل بر تقي كريم على الله ، ورجُـــل فاجر شقي هين على الله)** إلى آخر الحديث الـــذي رواه ابن أبي حاتم .

(٤) ومِن رواياته :" **لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا إنما هم فحم جهنم ، أو ليكونن أهون علـــى الله مـــن الجعل الذي يدهده الخراء بأنفه . إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء ؛ إنما هو مؤمن تقي ، وفاجر شقي ، الناس كلهم بنو آدم ، وآدم خُـــلِق مِن تراب** " رواه الترمذيّ .

لِمَ هذه الشعوبية ، والعنصرية الكريهة ، التـــي ينكرهـــا الإســـلام ، وتنكرهـــا الإنسانية الشريفة ؟!

أليس الإمام البخاري ، والترمذي ، والنسائي ، وابـــن ماجـــة ، والطبرانـــي ، والبيهقي ، والأكثرية الغالبة مِن رجال الحديث ، كلهم من غير العـــرب ، وكـــذلك طائفة من أكبر المُـــفسرين ؛ كالزمخشريّ والنيسابوريّ ، وطائفة من أكبر علمـــاء البلاغة ، كالجرجاني ، والتفتازاني !؟

مَن هو طارق بن زياد ، وموسى بن نصير ، هذان **المَوليان** القائدان الفاتحان ، اللذان أسسا للإسلام مجداً تاريخيا ، لا يمحوه الزمان ؟

مَن هو أبو حنيفة النعمان ؟ أليس كان من الموالى .

يا ولدي : إمام مصر الليث بن سعد ،أصله من (أصبهان) ، إمام أهل الـــسنة ، أحمد بن حنبل ، أصله من (مرو) والإمام المفسر الطبري ، أصله من (طبرستان) ، والشعبي علامة التابعين وإمامهم ، كانت أمه من (جلولاء) ، والحسن البـــصري ، الكوكب الفرد ، كان أبوه من (مَـــيسان) .

وهذا علامة اللغة سيبويه ، فارسي الأصل ، والإمام الكـــسائي ، فخـــر اللغـــة العربية ، أصله من فارس ، وتلميذه الإمام الفراء ، مِن الديلم ، ثم إن ابن مسكويه ، وابن سينا ، والفارابي ، كانوا فرسا أعجمين .

اسمع يا ولدي : فقيه مكة :عطاء بن رباح ، وفقيه اليمن: طاووس بن كيسان ، وفقيه اليمامة : يحيى بن أبي كثير ، وفقيه الشام : مكحـــول ، وفقيـــه الجزيـــرة : ميمون بن مهران ، وفقيه خراسان : الضحاك بن مزاحم ، وفقيها البصرة والكوفة : إبراهيم النخعي وابن سيرين ، كل أولئك ليسوا مِن العرب أصلاً ، ولكـــنهم بـــرزوا في جوانب العلم والفكر والمعرفة والدين ؛ كانوا الأئمة بكل ما في اللفظ من معنـــى

يتجدد ولا يفنى . إنما يتفاضل الناس بالأحلام [1] ، لا بالأرحام ، والناس عنـد الله سواسية كأسنان المشط ، والله يقول : ﴿ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ ﴾

ولقد أمَّر رسول الله ﷺ أسامة بن زيد (مولاه) على جيش كان فيه أبـو بكـر وعمر ، وعندما أراد عمر أن يستخلف قال : " **لو كان سالمُ مـولى حذيفـة حيـاً لوليته!!**"[2]

تأمل هذا الموقف الكبير الخطير يا ولدي ، ها هـم أهـل العلـم : لا يكـادون يذكرون ابنَ عمر ، إلا ذكروا معه مولاه نافعاً ، ولا يكاد يُـذكر أنس بن مالـك ، إلا ومعه مولاه ابن سيرين. ولا يكاد يُـذكر ابن عباس، إلا ومعه مولاه عكرمـة . ولا يكاد يُـذكر أبو هريرة إلا ومعه مولاه ابن هرمز .. وما أكثر هذه الأمثلة فـي الإسلام [3] .

قال جامعه : وكذلك الإمام السرخسيّ لم يكن عربيـاً ، وسـيف الـدين قطـز (محمود بن ممدود) قائد معركة عين جالوت كان شركسياً ، وصلاح الدين الأيوبيّ كان كردياً ، والقائد مُـحمَّد الفاتح كان تركياً ، وكان طارق بن زياد من البربـر ، ونور الدين محمود كان من التركمان .

إن التعصبات لن تنتهى طالما ظلَّ أهل الهوى ينفخون فيها النار ، وكذلك طالما ظلَّت التصنيفات والتقسيمات قائمة ؛ فما بين حرس قديم وحرس جديـد ، وبـدويّ

---

(1) العقول .

(2) النص الموجود بلفظ : أن عُمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لمَّا أوصى عند موته : " **لو كان سالم حيّ ما جعلتها شورى** " ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب ١ / ١٦٩ .

(3) أبجدية التصوف الإسلاميّ لفضيلة الأستاذ الإمام السيد / محمد زكي إبراهيم صـ ٢٨ – ٣٠ .

وفلاح ، وحضريّ ، وقرويّ ، وحزب كذا وحزب كذا ، وسُنيّ وشـــيعي ، وســـلفيّ وصوفيّ ، إلى آخر التقسيمات التي لا تتناهى .

بل إنَّ هناك بلدة أعرفها كانت تُسمَّى **بلد الأزهر** ، و **بلد العلم والإيمان**، يمـــلأ مُدَرِّسوها مدارسها ومدارس البلدات المُـــجاورة لها ، يسقون طلبتهم العِلم ، يُحفَّـــظ شيوخها أبناء المسلمين كتاب الله ، ويتبرع أهل الخير فيها بالكثير والكثير لقـــريتهم ولغيرها ، تُبدِّد بنورها كُل ظلام .. تُعاضد الحق وتُحارب الباطل....، ثـــمَّ – ومـــا أمرّ ما يتلو ثمَّ هذه – غُرست فيها العصبية ، وأثمرت حنظلاً ، وقسِّمت البلدة إلـــى ثلاث نواحي : شرقية وغربية وقبلية .. ويبدو أن شياطين الإنس فاتهم جهة رابعـــة .. أو لعلَّهم لم يحتاجوا إليها ، ففي تقسيمها ثلاثياً ما يكفى للتفريق بينها ، وكأن كـــل ناحية تـــُرضع أطفالها في المهد صفاتها التى تـــُلصَق بها زوراً ، وكأنه ليس لكـــل أحدٍ شخصيته المستقلة ، وكأن المؤاخذة ليست شخصية .

لو كانت تشرق على كل ناحية منهم شمسٌ دون شمس غيـــرهم لقلنـــا طبَّعـــتهم بطباعها ، أو أرضٌ دون أرض ، أو قوتٌ دون قوت ، أو هواءٌ دون هواء ، أو ماءٌ دون ماء ، فلربما قلنا ذلك ... فيا تـــُرى أبَعد هذا حمق أيها القارىء !!

ولقد حكى القرآن الكريم والسنة النبوية عن الابـــن المـــؤمن والأب الكـــافر، والأب المؤمن– بل والنبيّ– والابن الكافر ، والزوج المؤمن والزوجـــة الكـــافرة ، والزوجة المؤمنة والزوج الكافر، **بل إن مكة** أنجبت سيِّد الخلق ﷺ وأنجبت عمَـــه أبا لهب ، فهو غرس مكة وغرس بنو عبد مناف ، وأنجبت مكة كـــذلك أبـــا جهـــل (عمرو بن هشام) ألدّ أعداء الإسلام وأنجبت عكرمة ولده ، الصحابي الجليل رضي الله عنه .

إلا أنه كما سبق القول إذا أشرب القلب الهوى عمى ، قال تعـــالى﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾.

ولقد قرر الحُفَّاظ أن أول معنى طرقه وُضَّاع الحديث هو فضائل الأشخاص خاصة الَّذين كان لهم أنصار مغالون وخصوم متطرفون ولقد لمسنا مِثل هذا الغلوّ واضـــحاً في الانتخابات ولو كانت لمركز شباب ، حتى أضحت الانتخابــات ســبباً وموسِــماً لِتقطيع الأواصر .

بل قد ترى النساء مُــزكيات لنار العصبية ، بل قد يحجبن كُــل شيء عن غير أنصار مرشحهن مقاطعن إياهم ، وقد يُــبادرن باستفزاز غيرهن بالهاتف أو الطرق على الأبواب ويشمتن في سقوط مُرشَّحِهن .

كذلك قد ترى الرجال أو أشباه الرجال يتراقصون فــي الــشوارع ويــضربون الأعيرة النارية نكاية في غيرهم وشماتة فيهم .. **ألا** يعرفون أن هذا يُعَدُّ نفخـــاً فـــي العصبية وتأصيلاً لها وإحكاماً لوثاقها ، وأن ذلك أعظم فتنة ، ولو عقلوا ما فعلوا **إذ (الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها)** (١) .

بل منهم مَــن ألبس جملاً شالاً أبيضاً (وكان رمز المرشح المنافس الذي سقط هو رمز الجمل) ، ثم طافوا به ، ثم أمطروه بالرصاص ، ثــم ذبحــوه ، مــع أن رسول الله ﷺ **لعن مَــن اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً** (٢) . و(**نهى أن يتخذ شــيئاً فيه الروح غرضاً**) (٣) ، **وقال (لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً)** (٤) .

---

(١) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال ١١ / ١٢٧ ح رقم ٣٠٨٩١ وعزاه للرافعي عن أنس ﷺ. وبلفظ " **الفتنة نائمــة لعن الله موقظها** " رواه السخاوي في المقاصد الحسنة ، والعجلوني ، والحديث ضعفه الألباني وقال عنه : منكــر ، في السلسلة الضعيفة ح رقم ٣٢٥٨ ، ٧/٢٥٥ .

(٢) رواه مسلم : كتاب الصيد . باب النهي عن صيد البهائم (١٠ / ١٢٧) رقم ٣٦١٩ .

(٣) (حم ت ن) عن ابن عباس ، وحسنه صاحب جوامع الكَــلِــم .

(٤) (م ن هــ) عن ابن عباس ، وصححه صاحب جوامع الكَــلِــم . والمعنى : لا تتخذوا حيوانـــاً أو طيــراً غرضـــاً لسهامكم إذا أردتم أن تترامو ا .

وصدق من قال : أن يلقى المسلم ربَّه مُقصِّراً في نصيحةٍ أو رازحاً تحت ذنــب أهون من أن يلقى الله داعياً إلى فتنةٍ ، فإن الفتنة هي مجلبة الخراب والفُرقة علـــى المسلمين .

ذلك أن المؤمن الحق إذا رضي لم يُخرجه رضاه عن حق وإذا غضب لم يُدخله غضبه في باطل ، أمَّا بُغض ناحية بعينها والحقد عليها فهو الهلاك بعينه .

وممَّا رأيت في ذلك مما يُحزن أشدّ الحزن : ما حدَّثني به أحدهم أنه حزن لبناء مسجد- **تخيَّل أخي المُسلم** – لأن ناحية بعينها هي التي باشرت بناءه .

إن اتباع سياسة "من ليس معنا فهو ضدنا " إنما هو اقتفاء لمبدأ شرّ خلق الله ، وكما نعلم فإنَّ (**مَـــن تشبَّه بقومٍ فهو منهم**)[1] ، ولا أعلم تشبهاً أعظم من استقاء مبادئهم في تصنيف البشر.

لذا يجب على الشرفاء أن يقولوا :

١ – **لا لِمختلقي الفتنة** : وهي طائفة مِن أنصار المُرشحين تصطاد فـــي المـــاء العَكِر ، تريد أن تحول المُـــنافسة الشريفة إلى حرب على مقعـــد انتخـــابي ، فهـــي مجموعة مُستهترة تبعث على الحِقد والضغينة بين الأطراف المُـــتنافـــسة لِتهيـــئ لنفسها جوًّا يليق بأحقادها ، وهي طائفة تظهر الـــولاء للناخـــب أكثـــر مِـــن ولاء المُرشح لِنفسه ، هؤلاء مَن يُطلق عليهم " ملكيين أكثر مِن الملك " ، وهم مُروِّجـــوا الإشاعات ومُـــصدِّروا المنشورات ومزيلوا المُلصقات الخاصة بالمرشح المنـافس أو لاصقي مُلصقات مرشحهم فوقها ، ومطلقوا الرصـــاص علـــى لافتـــات المُرشـــح المُنافس عقب سقوطه .

---

(1) سنن أبي داود عن ابن عُـــمر رضي الله عنه ٤ / ٧٨ ح رقم ٤٠٣٣ ط دار الكتاب العربي – بيروت .

كذلك يجب على الشرفاء أن يقولوا :

٢ – لا لأذيال المُرشحين : وهم الذين يبحثون عن دور لهم في الحياة السياسية ولا تربطهم بالمُرشح أي علاقة (قرابة – نسَب – قبيلة – جوار – عمل) ، وبالرغم مِن ذلك تجدهم مُلاحقين للمُرشح كظله ، وحتى أمام اللجان ، ويظلون يُـــظهرون الولاء حتى غلق صناديق الاقتراع، والسؤال المُحيِّر حقاً: لماذا يفعل هؤلاء كل ذلك؟!

ربَّما يبحثون عن مصلحة خاصة في المستقبل القريب ، وربَّما يبحثون عن حـــديث اجتماعي وأدبي يُـــنسب إليهم ، وربَّما يُـــشبعون رغبة في نفوسهم ويُكملون نقـــصاً في شخصيتهم ولكنهم نسوا أو تناسوا أن معظم أفراد الشعب يقرءون اللعبة السياسية جيداً ، ولا يُقدِّرون مثِل هذه الشخصيات ، ويبقى أن يعلم الجميع أن الناخب يخـــرج مِن بيتهِ وقد قرر الانحياز إلى فكر مُرشح بعينهِ في مُعظم الأحوال إن لم يكن كلهـــا لا يحيد هذا الشخص عن فكرتهِ مهما قيل لهُ على باب لجنة الانتخاب ، ومِـــن هنـــا يجب ترك الناخب على حريته (١) .

ويقيني أن من يُزكي نار العصبية إنما يفعل ذلك ليحتفظ لنفسه بـــسلطة زمنيـــة من زعامة ونحوها ولكن المسكين لا يعلم أن كل هذا إلى زوال ، ولا يعلم كذلك أن الَّذي أدى بعبد الله بن أُبَيّ بن سلول إلى النفاق وختم له بالسوء هو حُـــبّ الزعامـــة فكان رأساً في الباطل .

بل ربما حارب هذا المخذول مَـــن يخدم الناس لتبقى الأنظـــار نحـــوه وظـــنّ الفضل فيه.

---

(١) جريدة أمة البحيرة بتصرف يسير ، عدد ديسمبر ٢٠٠٥م ، ١٧ ديسمبر ٢٠٠٥م ، ١٥ مِن ذي القعدة ١٤٢٦هـــ

أمَّا من يتبعه فهو ذَنَبٌ وإمَّعة في الباطل ، ولعله شرٌ منه ، (**إذ شرّ الناس مـــن باع آخرته بدنيا غيره**) [1] .

وقد قيل:الخاسر من باع دينه بدنياه ، والأخسر منه من باع دينه بدنيا غيره[2]

ولا أجد هاهنا خيراً من قول الإمام عليّ بن أبى طالب – كرَّم الله وجهـــه – : "ولقد نظرت فما وجدت أحداً من العالمين يتعصب لشيءٍ من الأشياء إلاَّ عن علـــةٍ تحتمل تمويه الجهلاء ، أو حُجَّةٍ تليط بعقول السفهاء ، غيركم ، فـــإنكم تتعـــصبون لأمر لا يُعرف له سبب ولا علة، **أما إبليس** فتعصَّب على آدم أصله وطعـــن عليـــه في خِلقته ، **فقال** : أنا ناريّ وأنت طينيّ ، **وأما الأغنياء** من مترفة الأمم فتعـــصَّبوا لآثار مواقع النعم فقالوا : ﴿ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ ، فإن كان لا بُدَّ من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الخصال ومحامد الفعـــال ومحاســـن الأُمور".

قال الإمام مُحمد عبده معلقاً : " الاعتزاز بالعصبية وهم قـــوم الرجـــل الَّـــذين يدافعون عنه واستعمال قوتهم في الباطل والفساد ، فهي هنا عصبية الجهل ، كما أن الحَمِيَّة حَمِيَّة الجاهلية ، أما التناصر في الحق والحَمِيَّة عليه فهو أمرٌ محمـــودٌ فـــي جميع أحواله " [3] ، والكِـــبر على الباطل تواضعٌ للحق [4] .

---

(1) **وقد روي هذا عن** ميمون بن مهران عن عُمَر بن عبد العزيز بلفظ : أنه قال لجُلسائه : أخبروني عن أحمق النـــاس ، قالوا : رجلٌ باع آخرته بدنياه ، فقال لهم عُمَر : ألا أنبئكم بأحمق منه ، قالوا : بلى ، قال : **رجُـــلٌ باع آخرته بـــدنيا غيره . انظر** : سيرة عُمَر بن عبد العزيز لابن الجوزي صـــ ٢١٥ .

(٢) النص الموجود (**من السفل مَـــن باع دينه بدنيا غيره**) ذكره الإمام الرامهرمزي في كتاب المحدث الفاصـــل بـــين الراوي والواعي ص ٢٠٥ . وانظر اللطائف في الحكم والمعلومات والطرائف ، أحمد عبد الرحيم ، ص ٢٨.

(٣) نهج البلاغة . صـــ ٢٦١ .

(٤) المرجع السابق صـــ ٢٥٣ .

إن العصبية ممقوتة ، ولقد رأينا كيف حاربها الإسلام وحارب اللّدد للقوم فـــي غير الحق .

ولمَّا كانت العصبية هي مجلبة الفرقة والخراب رأينا كيف دعـــا الإســـلام إلـــى طمس كل تفرق ، فقال سُبحانه ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ .

وقال ﷺ (**المؤمن للمؤمن كالبُــنيان يَشُدُّ بعضُه بعضاً)** [1] متفق عليه .

وما في الحديث من قولهﷺ **(والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن ، قيل :** لقد خسر وخاب من هذا ؟ فقال : **مَن لا يأمن جاره بوائقــه** ، قالوا : وما بوائقـــه ؟ **قال : شرّه)** [2] .

فما ذلك إلاَّ لأن المُــنتظر منه حمايته ، فكذلك المنتظر من أهل البلد الواحـــد : التناصح والتعاضد والتناصر ، ولا غرو أن جعل العلماء الدية على العاقلة ، وفـــي الجهاد جعلوا واجب النُصرة على الأقرب فالأقرب.

فالحق أن بلدة تمزقُها الصراعات و تهزمها الفتنة ، وتـــسري فيهـــا العـــصبية الممقوتة حتى لا يُلقِى بعضها على بعضٍ السلام لهي هينةٌ عند الله .. مهانةٌ عنـــد الناس .

---

(1) البخاري ٢ / ٨٦٣ ح ٢٣١٤ ، ومسلم ٨ / ٢٠ ح ٦٧ ط دار الجيل .

(2) رواهُ البخاري عن أبي شريح الكعبي ٥ / ٢٢٤٠ ح ٥٦٧٠ ، ورواهُ مُسلم وأحمد بلفظٍ قريب .

لا تـــزر وَازرة وِزر أخـــرى

إن الناظر إلى الواقع يجد أن الناس تحاسب الناخبين والمُرشَّحين على الـسواء على أراء وتوجهات أقاربهم الانتخابية وتصرفاتهم ، هذا مع أنَّ الحق أنَّ كُـل فرد محاسبٌ عن نفسه فحسب ، عن فعله وقوله (رأيه) سواء في الدنيا أو في الآخرة ،لا يُؤخذ بجريرة غيره ولا يُحاسب على رأي سِواه ، سواء كان أباً أم ابنـاً أم أخـا أم خالاً أم زوجاً أم قريباً على اختلاف درجته .

قال تعـالى ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ وقـال ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ .

وقد قال ﷺ (**ألا لا تجني نفس على الأخرى**) (١) وفي رواية : (**لا تجني نفس على أخرى**) (٢) .

ورُوي عنه ﷺ (**لا يُؤخذ الرَّجُل بجريرة أبيه ولا بجريرة أخيه**) (٣)

ولقد لاحظ الأقدمون مظاهر شتَّى للوراثة ، وبنوا عليها أحكاماً صائبةً فلم يُغالوا، ولم يُنكروا ، قال الإمام قطب الدين القسطلاني :

إذا طاب أصلُ المرءِ طابت فروعهُ ومِن عَجَبٍ جادت يدُ الشوكِ بالوردِ

وقد يخبث الفرع الذي طابَ أصلهُ ليظهر فعل الله في العكس والطردِ

وهذا حق ، فقد ذكر القرآن الكريم أن النبوة مُنحت لنـوح وإبـراهيم عليهمـا السلام ، أما ذراريهما فقد توزعهما الفِسق والهُدى ، بل أغلبهم ضلَّ السبيل ، قـال

---

(١) (ن) عن ثعلبة بن زهدم ، وحسنه صاحب جوامع الكَـلِـم . وقد قاله ﷺ لما قالوا له : هؤلاء بنـو ثعلبـة بـن يربوع قتلوا فلاناً في الجاهلية . انظر جوامع الكلم ص ١٢١.

(٢) (ن هــ) عن أسامة بن شريك ، وصححه صاحب جوامع الكَـلِـم .

(٣) رواه النسائى٢/٣١٧ ، ح٣٥٩٢ . وبلفظ : " لا يؤخذ أحد بجريرة أخيهِ أو أبيه " رواهُ أبـو داود ٤/١٦٨، الـدارميّ ٢/١٣٨ ، ١٩٩ .

تعـالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ (١) .

والمتتبع لما قصَّه القرآن أو روته السيرة يجد ذلك جلياً :

فقد حكى الله قصة ابني آدم واللذين كانا على النقيض من حيث الصلاح .

وسيدنا إبراهيم عليه السلام وهو أبو الأنبياء كان أبوه أو عمّه – على خلاف بين العلماء – كافراً ، فهو مثلٌ للابن المؤمن والأب الكافر ، وفي القرآن كذلك نجد العكس ، فنجد ابناً كافراً وهو ابن سيدنا نوح وأبٌ مؤمنٌ بل نبيّ وهو سيدنا نوح ، **كذلك نجد** الزوج المؤمن والزوجة الكافرة كامرأة سيدنا نوح وامرأة سيدنا لوط ، قال تعالى ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ ، **ونجد كذلك** زوجةً مؤمنةً وزوجاً كافراً كما في آسية امرأة فرعون ، قال تعالى ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ .

كذلك رُوي أن قارون كان ابن عم سيدنا موسى .

كما روت السيرة حال سيد الخلق ﷺ مع عمّه ، **كذلك فإن** أبا جهل عدوّ الله أنجب عِكرمة صاحب رسول الله ﷺ ، **كذلك كان** يزيد بن معاوية غير صالح ، ولكن ابنه كان صالحاً وترك الخلافة حِرصاً على الأُمة ومات بعد ذلك بنحو ستة أشهر

(١) الإسلام والاستبداد السياسي . مرجع سابق صـ ١٨١ .

أما مُحاسبة الرَّجُل على رأي أو ذنب غيره ولو كان قريبـــاً له فهو شيمة أهـــل الضلال ، على حد قول **الحجاج بن يوسف الثقفيّ** في خطبـــةٍ لـــه : " إنـــي لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها ، وإني لصاحبها... ولكأني أنظر إلى الـــدماء بـــين العمائم واللحى ، قد شمَّرت عن ساقها تشميراً .... **وقسماً بـــالله ، لآخـــذن الـــوليّ بذنب مولاه ، والمُقيم بذنب الظاعن ، والمُطيع بذنب العاصي ، حتى يلقى الرجـــلُ الرجلَ فيقول : انج سعد فقد هلك سعيد** " [1] .

(١) خلفاء الرسول . مرجع سابق . صـــ ٥٠٨ .

مُجانبـــة الهـــوى

قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في موافقاته** : جعل الله اتباع الهوى مُضاداً للحق وعدَّهُ قسيماً له كما في قوله تعالى ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ قال القشيري : تنبيه على أن أعظم جنايات العبد وأقبح خطاياه متابعة الهوى، قال تعالى ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴾ وقال في قسيمه : ﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴾

وقال ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾ ، فقد حصر الأمر في شيئين : الوحي وهو الشريعة ، والهوى فلا ثالث لهما ، وإذا كان كذلك فهما متضادان ، وحين تعيَّن الحق في الوحي توجَّه للهوى ضده ، فاتباع الهوى مضاد للحق ، وقال تعالى ﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ ﴾ وقال﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ ... ﴾ وقال ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴾ وقال : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ﴾.

وتأمل فكل موضع ذكر الله تعالى فيه الهوى فإنما جاء به في معرض الذم له ولمُتبعيه ، وقد رُوي هذا المعنى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : " **ما ذكر الله الهوى في كتابه إلاَّ ذمَّه** " (١) ، فهذا كله واضحٌ في قصد الشارع الخروج عن

---

(١) القرطبي في تفسيره ١٦٧/١٦ عزاه لابن عباس ، ط دار الكتب المصرية .

اتباع الهوى ، وقد عُلم بالتجارب والعادات أن المصالح الدينية والدنيوية لا تحــصل مع الاسترسال في اتباع الهوى والمشي مع الأغراض ، لِمَا يلزم فــي ذلــك مــن التهارج والتقاتل والهلاك الَّذي هو مُضادٌ لتلك المصالح ، وهذا معــروفٌ عنــدهم بالتجارب والعادات المستمرة ، ولذلك اتفقوا على ذمّ من اتبع شهواته وســار حيــث سارت (١) .

فاذا تقرر هذا انبنى عليه قواعد :-

منها : أن كل عمل كان المُتبع فيه الهوى بإطلاق مِن غير التفات إلى الأمــر أو النهى أو التخيير فهو باطلٌ بإطلاق ، لأنه لا بُدَّ للعمل من حاملٍ عليه وداعٍ يــدعو إليه ، فإذا لم يكن لتلبية الشارع في ذلك مدخل فليس إلاَّ مقتضى الهوى والــشهوة ، وما كان كذلك فهو باطلٌ بإطلاق ، لأنه خلاف الحق بإطلاق ، فهذا العمــل باطــلٌ بإطلاق بمقتضى الدلائل المتقدمة ، وتأمل حديث ابن مسعود ﷺ في الُموطأ (**إنــك في زمانٍ كثيرٌ فقهاءه قليلٌ قراءه ، تُحفظ فيه حدود القرآن وتُضيَّع حروفه ، قليلٌ من يسأل كثيرٌ من يُعطي ، يُطيلون فيه الصلاة ويقصرون فيه الخطبة ، يبــدءون أعمالهم قبل أهوائهم .. وسيأتي على الناس زمان قليلٌ فقهاءه كثيرٌ قرءاه ، تُحفظ فيه حروف القرآن وتُضَيَّع حدوده ، كثيرٌ من يسأل قليلٌ من يُعطي ، يطيلون فيــه الخطبة ويقصرون فيه الصلاة ، يبدءون فيه أهوائهم قبل أعمالهم**) (٢) .

ومنها : أن اتباع الهوى طريقٌ إلى المذموم وإن جاء في ضمن المحمود ، لأنه إذا تبيَّن أنه مُضادٌ بوضعه لوضع الشريعة فحيث زاحم مقتضاها في العمــل كــان مُخَوِّفاً " ، **وقد دَلَّ الإمام الشاطبيّ** رَحِمَهُ اللَّهُ على ذلك بدلائل(٣) .

---

(١) الموافقات في أصول الشريعة . للإمام الشاطبي . ج ٢ صـــ ١٤٤ .

(٢) مالك فى الموطأ رواية يحيى الليثى١٠ /١٧٣٠ ، ح ١٤١٧ ط دار إحياء التراث .

(٣)الموافقات في أصول الشريعة ، مرجع سابق . ج ٢ صـــ ١٤٧ – ١٤٩ .

قال أحد العُلماء : يجب أن يكون ميزان الحُكم على كُــل الأمور هــو ميــزان الشرع ، وليس ميزان الهوى والعقل فيما يرى من المصلحة العاجلــة ولا ميــزان الناس فيما ألفوه وتعاملوا به .

وقال أحد العلماء : إن هناك آفتان هما أسوأ الرذائل أعاذنا الله وإياكم منهما :

الأولي :– هي اتباع الظن ، وهو أكذب الحديث كما قال ﷺ ، وقــال تعــالى : ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِى مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ ﴾ .

والثانية : هي اتباع الهوى ، كما قال تعــالى ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴾ ، والهوى يُعمي ويُصِمّ ؛ كما قــال ﷺ **(إيــاكم والهوى فإن الهوى يصم ويعمي)** [(١)] والهوى شرٌّ إلهٍ عُبِدَ في الأرض كما قال ابن عباس – رضي اللهُ عنهما – في قوله تعالى ﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ.... ﴾

وقد قال ﷺ : **(ما تحت ظل السماء مِــن إلهٍ يُــعبد من دون الله أعظم عند الله من هوىٍ مُــتبع)**[(٢)] .

فإذا اجتمعت الآفتان في شخص أو في فئة من الناس كانت الطامة ، كمــا قــال تعالى في شأن المشركين ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴾ [(٣)] .

---

(١) رواه (سع في الإبانة) عن ابن عباس ، وصححه صاحب جوامع الكَــلِــم .

(٢) رواه الطبراني في الكبير وأبن أبي عاصم في كتاب السنة. أنظر صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم ٨٥ .

(٣) فتاوى مُــعاصرة . د/ يوسُــف القرضاوي. مرجع سابق. ج٣ صــ ١٢٩

وقد قيل إن أسباب اتباع الهوى :

١ – عدم العلم؛ قال تعالى:﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ ﴾

٢ – غياب العقل : قال تعالى ﴿ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ ﴾ لا يستمعون لنقد ناقد أو حكمة حكيم .

٣ – التقليد الأعمى : قال تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ ، وقال سبحانه ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾ ، وقال جلَّ شأنه ﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴾ .

ولقد بين المُصطفى ﷺ أن اتباع الهوى مُهلك ، وأنه مِن أخوف ما يخاف علينا فقال ﷺ : (**أما المُـنجيات : فالعدل في الرضا والغضب ، والقصد في الفقر والغنـى ، وخشية الله فى السرّ والعلانية ، وأمَّا المُهلكات : فشُحٌ مطاع ، وهوىً مُتبع ، وإعجـابُ المرء بنفسه**)[1] .

وعن أبي برزة الأسلميّ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**أخـوف مـا أخـاف عليكم شهوات الغيّ في بطونكم وفروجكم ومُضِلَّات الهوى**) [2] .

([1]) الطبرانى ، ٧٦/٤ ح ٥٧٥٤ عن ابن عمر / ط دار الحرمين – القاهرة ، ورواهُ البزار واللفظ له ، والبيهقي وغيرهما وهو مروي عن جماعة مِن الصحابة ، وأسانيده وإن كان لا يسلم شيء مِنها مِن مقال فهو بمجموعها حَسَن إن شاء الله . الترغيب ج١ صـــ ١٢٣ مشار إليه فى كتاب خطب رسول الإسلام صـــ٨٧ ، ٦٩.

([2]) أحمد في المسند **بلفظ (إن مما أخشى عليكم شهوات الغيّ في بطـونكم وفـروجكم ومـضلات الفـتن)** ٤٢٣/٤ ح ١٩٧٨٧ رجاله ثقات رجال الشيخين غير عليّ بن الحكم فمن رجال البخاري ولم يسمع من أبي برزه فالحديث منقطع ورواه البزار والطبراني في معاجيمهِ الثلاث ورجاله ثقات . الترغيب ٧٩ ج١ صـــ٤٥ .

وقال سيدنا عُمر بن الخطاب ﷺ : **(قد أفلح منكم مَن حُــفظ مِــن الغــضب والهوي والطمع)** .

وقال الإمام عليّ – كرَّم الله وجهه – : **(أيها الناس أخوف ما أخــاف علــيكم اثنتان : اتباع الهوى وطول الأمل : فأما اتباع الهوى فيصُــدُّ عن الحــق ، وأمَّــا طول الأمل فيُنسي الآخرة)**[١] .

وخرج ابن السماك يوماً إلى أصحابه وقد اجتمعوا إليه ، فقال لهم : قد كثُــرت عِظاتي لكم ، تريدون دوائي لكم ؟ قالوا: نعم ، قال : **(خالفوا أهواءكم)** [٢] .

وكذا قال أحمد بن عاصم الأنطاكي **(اتق مجازفة الهوى)**[٣] ، وعن موســى ابن عيسى قال : سمعت أبا سليمان يقول : " **لا عقل كمخالفــة الهــوى**" ، وقيــل: "**خالف هواك ترشد** " .

فالمؤمن يميل علي الهوى ولا يميل مع الهوى[٤] ، حتى رُوي أن مُحَــمَّد بن سنان قال : سمعتُ أشياخنا يقولون : " إذا عرض لك أمران لا تدري فــي أيِّهمــا الرشاد فانظر إلى أقربهما إلى هواك فخالفه ، فإن الحق في مُخالفة الهوى " [٥] .

وصدق الإمام الجُــنيد رَحِمَهُ اللَّهُ : " علل القلوب من اتباع الهوى كما أن علــل الجوارح عن مرض البدن " .

فأمراض القلوب أنواع ، يجمعها كلها الهوى ومنها الغلّ والحسد والحقد والكبر والعُجب ومحبة الثناء والمدح والتعصب والعــدواة والبغــضاء والطمــع وتعظــيم

(١) نهج البلاغة . صـــ ٤٨ .
(٢) تفسير التستري . صـــ ١٨٦ .
(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم ج ٩ صـــ ٢٨٨ .
(٤) المرجع السابق ج ٨ صـــ ٦٢ .
(٥) المرجع السابق ج ١٠ صـــ ١٨ .

الأغنياء والاستهانة بالمساكين والفخر والخُـيلاء وحُـبّ كثـرة الكــلام وتحـسينه والتفاصح والصلف والتزين للخلق والمداهنة وشدة الانتصار للـنفس والقيـام مـع حظوظها وضعف الانتصار للحق والمكر والخيانة والغش وقلة الحياء وقلة الرحمة.

بل قال الإمام الغزاليّ : إذا نظرت وجدت أصل كُـل فتنة وفضيحة وذنب وآفة وقعت في خلق الله تعالى من أول الخلق إلى يوم القيامة من قبيـل هـوى الـنفس مُستقلة أو مُعينة(١) .

وقال القشيريّ : " أشد الظلم متابعة الهوى ، لأنه قريبٌ من الشِرك ، قال تعالى ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ ، فمن اتبع هواه وخالف رضا مولاه فهـو بوضعه الشيء في غير موضعه صار ظالماً ، كما أن العاصي بوضـعه المعـصية موضع الطاعة ظالم .. كُل هذا متابعة لهواه بدلاً عن موافقة ومتابعة رضا مـولاه ، صار في الظلم متمادياً "(٢) .

والحق أن لاتباع الهوى عقوبات ذكرها الإمام الماورديّ :

(١) منها فوات الحق ، فمن تفرَّق عن الله بهواه ، وتبع شهواته وما يهواه فاتـه الحق ، وكيف لا يفوته وقد اتخذ إلهه هواه ، فمن اتبع أهوية نفسه فرَّقتـه الأهـواء لأنه يصير لهُ إلى كُـلّ شيءٍ منها هوىً ، فتتقسمه الأهواء وتصير فيـه شـركاء ، قال الله تعـالى ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾ وقال تعالى﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ (٣) .

---

(١) بدائع السلك في طبائع الملك ج ٢ صـ ١٠ .

(٢) لطائف الإشارات للقـشيري ج ٥ صـ ١١٧ .

(٣) حياة القلوب للأموي صـ٦٨ .

وقد قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ : مَــن استحوذ عليــه الهــوى واتبــاع الشهوات انقطعت عنه موارد التوفيق .

وقلت في خواطري : الحكمة غرس الإيمان ووليدة المحبوبية وربيبــة العلــم وقتيلة الهوى .

(٢) ومنها إفضاءه إلى البغضاء : وإذا دخل الهوى أدى إلى الجــدال حرصــاً على الغلبة ، وأدى إلى الفرقة والتقاطع والعداوة والبغضاء لاختلاف الأهواء وعــدم اتفاقها ، وإنما جاء الشرع بحسم مادة الهوى بإطلاق ، مع ملاحظة أن ذلك كله قــد يكون على أشياء لا ينتطح فيها عنزان ، ومع ذلك يحيلها الهوى إلى أشــياء قابلــة للمساومة محلاً للجدال ، وقد قيل : " الرأي نائم والهوى يقظان"[١].

(٣) ومنها هوان صاحبه وهلاكه ، قال الشعبيّ : " **إنما سُمِيَّ الهــوى هــوى لأنه يهوى بصاحبه** "

وقال أعرابيّ : " **الهوى هوان ولكن غُلط باسمه** " ، فأخذها الشاعر، وقال :

إن الهوان هو الهوى قُلِب اسمه　　　**فإذا هويت فقد لقيت هوانا** [٢]

روي أن بعض الملوك مرَّ ببعض الزهاد فسلَّم عليه ، فقال له الزاهد : وعليــك السلام يا عبد عبدي ، فقال له الملِك : ولِمَ قلتَ ذلك؟ قال له الزاهد : لأنــك عبــد الهوى والشهوات وأنا أستعبدهما ، فأنت عبدٌ لمن هو عبدي[٣] .

---

(١) رياض المُــتقين ص ٢٠٥

(٢) وروي البيت بلفظ :

نون الهوان مِن الهوى مسروقة　　　**فإذا هويت فقد لقيت هوانا**

وروي كذلك بلفظ :

نون الهوان مِن الهوى مسروقة　　　**وصريع كل هوى صريع هوان**

انظر : رسالة المُــسترشدين مرجع سابق ص١٠٩، ص٤٦ مجلة المُــسلم. العدد السادس (٥٩٤) ذي الحجة١٤٢٦ هــ

(٣) حياة القلوب . مرجع سابق صـــ٦٩ . **وروي بلفظ** : وقع لبعض العارفين : قال له ملِــك من الملوك : " تمن عليَّ " ، فقال له العارف : " ألي تقول ولي عبدان قد ملكتهما وملكاك وقهرتهما وقهراك ؟! قال له الملك : " وما هما ؟! "

قال الشاعر :

صاحب الشهوة عبد فإذا　　　غَلَبَ الشهوة أضحى ملكا [1]

وقال آخر :

ومن اتبع الهوي عبد الهوي　　　ومن استجاب لمنطق الحق اهتدي

وقال بعض الشعراء :

يا عاقلاً أردى الهوى عقله　　　ما لك قد سُدَّت عليك الأمور

أتجعل العقل أسير الهوى　　　وإنمـــا العقـــل عليــــه أميـر

ومن ألطف ما قيل :

وآفة العقل الهوى فمن علا　　　على هواه عقله فقد نجا

وقال آخر :

إذا أنت لم تعص الهوى قادك　　　الهوى إلى كل ما فيه عليك مقال[2]

كما قال الإمام عليّ بن أبي طالب ﷺ " إياكم وتحكيم الشهوات علـــى أنفـــسكم فإن عاجلها ذميم وآجلها وخيم " ، **وكذلك قيل :** " هلك مَـــن تبع هواه " [3] .

قال له : " هما الشهوة والحرصُ ؛ فأنت عبدُ عبدي فكيف أتمنى على عبدِ عبدي ؟! انظر لسان التعريف بحال الولي الشريف صـــ ٣٧٦ .

(١) زهور من بستان الحب : إعداد الشيخ عبد الحميد كاشوري ص ٣٨ .

(٢) مراقي الصالحين ص ١٩٨.

(٣) أدب الدنيا والدِّين للماوردي صـــ ١٨ ، ١٩ .

يقول الشيخ صالح الجعفري رضي الله عنه :

الهوى نوع مِــن أنواع رغبات النفس ، قال تعالى ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾

قلت :

احذر هواك فإنهُ يهوى بمن	**ملك الهوى أعناقهم في الهاوية**
إن القويّ هو الذي غلب الهوى	**ليس الذي غلب الأسود الضارية**

قال البرعيّ رحمه الله :

وخالف النفس في هواها	**إن اتباع الهوى هوان**[1]

(٤) ومنها أنه يغلب العقل : ففي قوله تعالى ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾.

قال التستريّ : " ظلمة الهوى تستر أنوار ذهن النفس والروح وفهم العقل وفطنة القلب" ، كذلك فقد قال الحارث بن أسد المُحاسبيّ: " **إن الهوى والــشهوة يغلبــان العقل والعلم** " [٢] كما قيل : إذا حضرت الشهوة ذهب العقل ، بل قيل :" **الهوى شريك العمى** " ، وقيل كذلك : " **عين الهوى لا تبصر** " .

وقيل كذلك : مَــن نظر بعين الهوى حار ، ومَــــن حكــم بحُــــكمهِ جــار ، ومَــن أكثر مِن شيءٍ عُــرِف به [٣].

---

(١) المعاني الرقيقة على الدرر الدقيقة . للعارف بالله تعالى الشيخ صالح الجعفريّ ص ٩٥ ، ٩٦ .

(٢) تفسير التستري صـــ ٢٠٩ ، صـــ ١٣٢ .

(٣) رياض المتقين ص ٣١٧ .

وقيل أيضاً : إذا غلب الهوى بطل الرأى [1] .

(٥) ومنها أنه مفتاح الفتنة : ولذلك قال بعضهم : " **الهوى مطيَّـــة الفتنـــة** " ، وقالوا أيضا: " **إنما وقوع الفتن أهواء تُتَبع وأحكام تُبتَدع** " .

(٦) ومنها أنه لا يجتمع والدين في قلب أحد : قال عليّ بن عبد الله الجعفريّ : سمعتني امرأة في الطواف وأنا أنشد :

أهوى هوى الدّين واللذات تُعجبني فكيف لي بهوى اللّذات والدين

فقالت : هما ضرتان فذر أيتهما شئت وخذ الأخرى[2] .

(٧) كذلك فإن مُجالسة أهل الهوى منساةٌ للإيمان ومحضرةٌ للـــشيطان ، ولـــذا قال عُمَر بن عبد العزيزﷺ " لا تجالس ذا هوى فيُلقي في نفسك شيئاً يسخط الله به عليك " ، وكيف لا وقد حذر الله من طاعة أهل الأهواء ، فقال سُبحانه ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ .

ولما كان للهوى هذه العقوبات وغيرها مدح الله عزَّ وجلَّ مُخالفة الهوى فقال : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ .

---

(١) اللطائف في الحكم والمعلومات والطرائف ، أحمد عبد الرحيم ، ص ٨ .

(٢) أدب الدنيا والدين . للماوردي صـــ ٢٣ .

كذلك حذَّر من اتباع الهــوى فقــال لنبيِّــه داود عليه السلام ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ فالإضلال عن سبيل الله عقوبةٌ عاجلةٌ ، والعذاب الشديد عقوبةٌ آجلة .

وهذا إذا كان ذلك عن علم ، أما إن كان عن جهل فكما قالوا " **الجهل مــصيبةٌ كبرى ، فإذا اجتمع إليه الهوى كانت الطامة الكبرى**" قــال تعــالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ ﴾ ، وقال أيــضا ﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ ﴾ .

والحال أسوأ إن كان لصاحب الهوى أتباع ، فقد **ضلّ من كانت العميان تهديه** والواجب على من يعد نفسه تابعاً له ألاَّ يتبع هواه في اختيار مَن يُمَــثله وإلاَّ هلك .

والنجاة من ذلك كله باتباع الحق ومُجانبة الهوى ، وإنما يكون هذا بالعقل ، فهو جماع الأمر ومناط الخلاص ، ولذلك رُوي : **(ما اكتسب المرء مثل عقــل يهــدي صاحبه إلى هُدى أو يردّه عن ردى)** [١] .

وقيل لبعض الحكماء : أوصنا بأمرٍ جامع ، فقال : احفظوا وعوا أنه ليس أحــدٌ إلاَّ معه قاضيان باطنان : أحدهما ناصح والآخر غاش فأما الناصح فالعقل ، وأمــا الغاش فالهوى ، وهما ضدَّان ، فأيهما ملت معه وهى الآخر[٢] .

---

(١) البيهقى ، فى شعب الإيمان ، الشعبة ٣٣ ، باب تعديد نعم الله عز وجل ٤/١٦١ ، ح ٤٦٦٠ ، إسناده ضعيف .
(٢) العقل وفضله لابن أبي الدنيا . صــ ٦٢ .

قال الشاعر :

إذا مـا رأيـت المـرء يقتـاده الهوى فقـد ثكلته عند ذاك ثواكله

ومن أشـمـت الأعداء جهلاً بنفسهِ فقـد وجدت فيه مقالا عواذله

ولن يقرع النفـس اللجوج عن الهوى من الناس إلاّ وافر العقل كامله(١)

كما قال الإمام عليّ ﷺ :

أتمّ الناس أعرفهم بنقصه وأقمعهم لشهوته وحِرصه (٢)

وقال الإمام أبو إسحاق الرقيّ : أضعف الخلق من ضـعف عـن ردّ شـهوته وأقوى الخلق من قوى على ردّها (٣).

سأل رجُل الجنيد ﷺ فقال : متى يصير داء النفس دواهـا ؟ فقـال : بمخالفـة هواها (٤).

مما سبق يبين أن المدار كله على العقل ، ولذلك **قيـل** : " لا يعجبـنَّكم إسـلام رجل حتى تعلموا كُنه عقله " (٥) .

وعن يحيى بن أبي كثير قال: "أعلم الناس وأفضلهم : أعقلهم "(٦) .

وسند هذا ما في مُسند الحارث (زوائد الهيثمي) عن أنس بن مالك ﷺ قـال : أثنى قومٌ على رجلٍ عند رسول الله ﷺ حتى أبلغوا في الثناء في خلال الخير ، قال

---

(١) قوانين حكم الإشراق ص ١٠٣

(٢) ديوان الإمام عليّ ، مرجع سابق ص ٤٣ .

(٣) الرسالة القشيرية ج١ ص ٢٤ .

(٤) جوامع كلم الصوفية ص ٦٢ .

(٥) العقل وفضله . مرجع سابق صـ ٣٥ .

(٦) المرجع السابق . صـ ٩١ .

رسول الله ﷺ : **كيف عقل الرجل** ؟ قالوا : يا رسول الله ، نُخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله ! فقال رسول الله ﷺ : **(إن الأحمق يصيب بحُمقه أعظم من فجور الفاجر ، وإنما يرفع العباد غداً في الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم)** (١).

وفي المُسند أيضاً عن السيدة عائشة -رضي اللهُ عنها- قالت : قلت يا رسول الله : بأي شئ يتفاضل الناس في الدنيا ؟ قال : **بالعقل** ، قلت : ففي الآخرة ؟ قال : **بالعقل** ، فقالت عائشة : إنما يجزون بأعمالهم ، فقال ﷺ: **(وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم الله مِن العقل ، فبقدر ما أُعطوا مِن العقل كانت أعمالهم ، وبقدر ما عملوا يُجزون)** (٢)

وعن عبيد الله : "ما أوتي رجُلٌ بعد الإيمان بالله عزَّ وجلَّ خيراً من العقل " .

وعن عُروة : " **أفضل ما أُعطي العباد في الدنيا العقل** ، وأفضل ما أُعطوا في الآخرة رضوان الله عزَّ وجلّ "(٣) .

وعن وهب بن منبه قال : " ما عُبِد الله عزَّ وجلَّ بشيءٍ أفضل من العقل "(٤) .

كذلك فقد رُوي عنه أيضاً أنه قال : " كما تتفاضل الأشجار بالثمار كذلك تتفاضل الناس بالعقل " .

وعن قتادة قال : قال لقمان لابنه : " يا بُنيَّ : اعلم أن غاية السؤدد والشرف في الدنيا والآخرة حُسن العقل ، وإن العبد إذا حسن عقله غطَّى ذلك عيوبه وأصلح مساوئه "(٥) .

---

(١) الهيثمى فى بغية الباحث من زوائد مسند الحارث ك الأدب ، باب ما جاء في العقل ٨٠٢/٢ ، ج ٨١٤ .

(٢) الهيثمى في بغية الباحث ، حديث رقم ٨٢٣ ، (٨٠٥/٢) .

(٣) العقل وفضله . مرجع سابق صـ ٩٣ .

(٤) المرجع السابق . صـ ٣٥ .

(٥) المرجع السابق . صـ ٤٠ ، ٤١ .

وعن عبد الله بن عباس ﷺ في قوله تعالى﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ﴾ قال: الرَّجُل ذو النُهى والعقل .

قال الحافظ ابن كثير : " إنما سُمي العقل حِجراً لأنه يمنع الإنسان من تعاطي ما لا يليق به من الأفعال والأقوال "(١) .

وعن الضحاك في قوله تعالى ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا ﴾ قال: عاقلاً .

وعن مُجاهد في قوله تعالى ﴿ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ قــال : **الأيــدي** : القوة ، **والأبصار** : العقل أو البصر في الحق (٢) .

وعن عُمَر بن الخطاب ﷺ **قال** : الرجال ثلاثة : فرجلٌ عاقل إذا أقبلت الأمور واشتبهت يأمر فيها بأمره وينزل عند رأيه ، وآخر ينزل به الأمر فلا يعرفه ، فيأتي ذوي الرأي فينزل عند رأيهم ، وآخر حائر لا يأتمر رشداً ولا يطيع مرشداً (٣) .

ومما جاء في العقل أيضاً قول الإمام عبد الرحمن الصِقليّ البكــريّ : **النـــاس على أربع طِباق :**

منهم من لا يُرضي عقله ولا دينه ، ومنهم من يُرضي عقله ولا يُرضي دينـــه ، ومنهم من يُرضي دينه ولا يُرضي عقله ، ومنهم من يُرضي دينه وعقله، فالَّــذي لا يُرضي عقله ولا دينه فهو كافرٌ منافق، والَّذي يُرضي عقله ولا يُرضي دينه فــاجرٌ مُحتال ، والَّذي يُرضي دينه ولا يُرضي عقله أحمقٌ مُباين ، والَّذي يُرضـــي دينـــه وعقله زكيٌّ تقيّ (٤) .

---

(١) المرجع السابق . صـــ ٣٧ .

(٢) المرجع السابق . صـــ ٢٥ .

(٣) المرجع السابق صـــ ٥٨ .

(٤) الأنوار في عِلم الأسرار ومقامات الأبرار . للإمام عبد الرحمن البكري الصقــلّي .صـــ٢٠٣ .

وقال أيضاً : " أصل العقل كُــله واحد ، ولذلك لا يقع التنازع في الإجماع مــع الإنصاف ، وأصل الحُمق مختلف ، ولذلك لا يقع الائتلاف مع الافتراق وإن ظهــر الاتفاق " .

وقال كذلك: " مِن شأن الحق أن يثقل من جهة الهوى ، ويخف من جهة العقل ، وربَّما خفَّ من جهة الهوى للباطل وثقل من جهة الحق للحق "[١] .

وقال الإمام الماورديّ الشافعيّ رَحِمَهُ اللهُ : " اعلم أن لِكُلِّ فضيلةٍ أُساً ولكل أدبٍ ينبوعاً ، وأس الفضائل وينبوع الآداب : هو العقل ".

ويقول الشاعر [٢] :

يزين الفتى في الناس صحة عقله — وإن كان محظوراً عليه مكاسبه

يشين الفتى في النـاس قلـة عقلـه — وإن كرمت أعراقـه ومناسبه

يعيش الفتى بالعقل في الناس إنه[٣] — على العقل يجري علمه وتجاربه

وأفضــل قســم الله للمــرء عقلـــه — فليس من الأشياء شيء يُقاربه[٤]

إذا أكمــل الرحمن للمرء عقلــه — فقد كمـلت أخلاقـه ومآربـه [٥] .

ومَن كــان غلاباً بعقلٍ ونجدة — فذو الجدّ في أمر المعيشة غالبُه[٦]

---

(١) العقل وفضله مرجع سابق . صـــ ٢١ .

(٢) قيل إنه : الإمام عليّ بن أبي طالب ﷺ ، وقيل إنه : إبراهيم بن حسَّان .

(٣) وروي بلفظ : **يعيش الفتى في الناس بالعقل كاملاً**

(٤) وروي بلفظ : **فليس من الخيرات شيءٌ يُــقاربه .**

(٥) نثر الدر وبسطه ص ٩٢ .

(٦) ديوان الإمام عليّ ، مرجع سابق ص ٧٥ .

أمَّا من يُحركه الهوى فلا يُرجى له رجوع ؛ قال بعض الحكماء : العقل صـــديق مقطوع ، والهوى عدوٌّ متبوع .

وقال الشاعر :

إذا قسا القلب لم تنفعه موعظة كالأرض إن سبخت لم ينفع المطرُ

وقال آخر :

وإذا تساعدت النفوس على الهوى فالخلق تضرب في حديدٍ بارد

وكيف لا وقد نبَّه العلماء على أن الكتابة على الكتابة لا تثمر شيئاً ..لا تثمـــر إلاَّ الندامة .

وفي قوله تعالى ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ ﴾ قال القشيريّ : " إن القلب إذا اشتغل بشيءٍ شُغل عمَّا سِواه " .

ولقد لاحظ الأقدمون ذلك ، فقال أحدهم :

نقِّل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحُبُّ إلا للحبيب الأول
كم منزلٍ في الأرض يألفه الفتى وحنينــهُ أبـداً لأول منزل

وقال الآخر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

وفى النهاية نقول:

إن نجاة الأمَّة من المهالك إنما تكون بنجاة الفرد نفسه مِن مقدماتها وهو اتبـــاع الهوى – سيما في اختيار مَن يُمَــثله – ، فما المجتمع إلاَّ فردٌ مكرر .

معيار الخـــلّـــة والعداوة

نظراً لِما لمستهُ مِن جهل الناخبين والمُرشَّحين بهذا المعيـــار فـــسوف أتناولـــهُ بشيء مِن التفصيل ، فأقول :

قال الشيخ عبد القادر الجيلانى : " إذا وجدت بقلبك بُغض شـــخص أو حُبَّـــه ، فاعرض أعماله على الكتاب والسُنة ، فإن كانت فيهما مبغوضة فأبشر بموافقتك الله عزَّ وجلَّ ورسوله ، وإن كانت أعماله فيهما محبوبة وأنت تُبغـــضه فـــاعلم بأنـــك صاحب هوى ، تُبغضه بهواك ظالماً له ببُغضك إياه وعاصٍ لله عزَّ وجلَّ ولرســـوله مخالف لهما ، فتب إلى الله عزَّ وجلَّ مِن بُغضك واسأله عـــزَّ وجـــلَّ محبـــة ذلـــك الشخص وغيره من أحبائه وأوليائه وأصفيائه والصالحين من عباده لتكون موافقاً له عزَّ وجلَّ ، وكذلك افعل بمن تحبه ، يعني اعرض أعماله على الكتاب والسنة فـــإن كانت محبوبة فيهما فأحببه ، وإن كانت مبغوضة فأبغضه كي لا تحبه بهـــواك وقـــد أُمرت بمخالفة هواك، قال عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ (١)

قال جامعه: ذلك أنهُ كما ورد فإن "**حُبُّـــك الشيء يُعمي ويـــُصِمّ** "(٢) ، فيجـــب أن يكون حُبُّك لله وبُغضك لله ، فبهذا يعلو قدرك عند الله .

قال بختري الطائي : " وأحبّ الناس على قدر تقواهم " .

---

(١) فتوح الغيب . للشيخ عبد القادر الجيلاني صـــ ٤٥ .

(٢) ذكره العجلونى في كشف الخفاء ٣٤٣/١ حديث ١٠٩٥ ، وقال : اسناده ضعيف . ورواه (حم تخ د) عن أبي الدرداء (كر) عن عبد الله بن أنيس ، وحسنه صاحب جوامع الكَـــلِـــم .

وهذا الَّذي نطلبه هو الحدّ الأدنى من إثبات الولاء لله ولرسوله وللـــذين آمنـــوا ولإثبات العداوة لأعداء الله ، فأوثق عُرى الإيمان الحُبّ في الله والبُغض فـــي الله ، والموالاة لله والمعاداة لله .

روى الإمام (أبو داود) عنه ﷺ أنه قال : (**مَـــن أحـــبَّ لله ، وأبغــض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الإيمان**) [١]

وروي أيضا : (**أفضل الإيمان أن تحبّ لله وتبغض لله ، وتستعمل لسانك فـــي ذكر الله . وأن تحب للناس ما تحب لنفسك ، وتكره لهم ما تكـــره لنفـــسك . وأن تقول خيراً أو لتصمت**)[٢].

وروي أيضا : (**إن أوثق عرى الإسلام أن تحبّ في الله وتبغض في الله**) [٣]

وروي أيضا : (**أحبّ الأعمال إلى الله الحبّ في الله ، والبغض في الله**) [٤]

وعن الحسن البصرى رَحِمَهُ اللهُ قال : (**كُل مَن اتبع طريقة طاعة الحق تعـــالى لزمتك مودته ، ومن أحبَّ رجُلا صالحا فكأنما أحب الله عز وجل**) .

وقال مطرف بن الشخير : (**أوثق أعمالى عندى حُبّ الرجُل الصالح**) .

---

(١) رواه أبو داود في سننه ج٤ ص ٢٢٠ حديث رقم ٤٦٨١ ورواه ابن أبى شيبة في مصنفه ج٦ ص ١٧١ حديث رقـــم ٣٠٤٣٧ ورواه الطبرانى في المعجم الأوسط ج ٩ ص ٤١ حديث رقم ٩٠٨٣ ورواه الإمام الإمام أحمد في مـــسنده ج٣ ص ٤٤٠ بزيادة .

(٢) رواه الطبرانى في المعجم الكبير ج ٢٠ ص ١٩١ حديث رقم ٤٢٥ رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٥ ص ٢٤٧ برقم ٢٢١٨٣ والبيهقي في شعب الإيمان ج ١ ص ٤١٥ حديث رقم ٥٧٨ والاثنان من حديث معاذ بن جبل بـــدون **(وأن تقول خيراً أو لتصمت)** .

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٤ ص ٢٨٦ بلفظ (**أوثق عرى الإيمان**) ورواه ابن أبى شيبة فـــي مـــصنفه ج٦ ص ١٧٠ حديث رقم ٣٠٤٢٠ .

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٥ ص ١٤٦ من حديث أبى ذر ولفظه (خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أتدرون أى الأعمال أحب إلى الله عز وجل ، قال قائل : الصلاة والزكاة ، قال قائل : الجهـــاد ، قـــال : (**إن أحب الأعمال إلى الله عز وجل الحب في الله والبغض في الله**) وذكره العجلونى في كشف الخفـــاء ج١ ص ١٧٧ حديث رقم ٤٦٣ وقال (**أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله تعالى**) رواه أبو داود عن أبي ذر رضي الله عنه .

وتأمل قوله صلى الله عليه وآله وسلم : في شجرة الثوم (**ولكنها شجرة أكـره ريحها**)[١] . **وفي رواية** : " ولكني أكرهه مـن أجل ريحه " [٢] .

قال الإمام عبد الوهاب الشعراني : فما كره ذاتها وإنما كره ريحها الـذى هـو بعض صفاتها ، فعُـلم أن عداوتنا للكفار عداوة صفات **بدليل** أنهم إذا أسلموا وحسن إسلامهم حرم علينا عداوتهم .انتهى .

وقد قال الله سبحانه وتعالى لسيدنا مُحَمَّد ﷺ : **{وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ }** ، **{فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُـلْ إِنِّـي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ }** ، وليس : بَرِيءٌ منكم .

ولذلك كان من المطلوب شرعاً عزل الفعل المذموم عن فاعله ، بـل إنـه فـي الطعن على أحكام المحاكم قد يقال إن الحكم قد شابه العوار والفساد في الاسـتدلال أومخالفة القانون والخطأ في تطبيقه وتأويله ، ولكن لا يُذمّ مَن أصدره .

قال أحدهم : لا تعاد الشخص وإنما عليك بمعاداة أخطائه فقط حتى تـستطيع أن تساعده على إصلاحها ! [٣].

وفي قوله تعالى﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ **قال الشيخ التستريّ**: "حذر الله المؤمنين من التولي بغير من تولاَّه الله ورسوله "[٤] أ.هـ ، ونفى الله الإيمان عمَّن يوادّ من حادَّه ولو كان قريباً ، فقال سُـبحانه : ﴿ لَّا

---

(١) رواه مسلم ح ٥٦٥ ، وابن خزيمه ح ١٦٦٧ ، وكذلك رواه البيهقى في سننه الكبرى ج : ٣ ص : ٧٧ حديث رقـم ٤٨٣٩ والإمام أحمد في مسنده ج : ٣ ص : ١٢ حديث رقم ١١٠٩٩ والإمام أبو يعلى فـي مـسنده ج : ٢ ص : ٤١٠ حديث رقم ١١٩٥ والطبرانى في المعجم الكبير : ٤ ص : ١٢٤ حديث رقم ٣٨٧٤ بلفظ : (**إنها شجرة أكره ريحها**) .

(٢) (م ت) عن جابر بن سَـمُـرة (صح) .

(٣) جريدة الأهرام المسائي عن مقال لـ أ / مرسى عطا الله ، العدد ٥٢٩٦ .

(٤) تفسير التستري صـ ١٦٧ .

﴿ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾

كذلك بيَّن الرسول ﷺ أن أولى الناس به أهل التقوى ولو كانوا بعيدي النسب أو الديار [١] .

رُوي أنه ﷺ سُئل من آلك ؟ فقال :(**آل مُحمد كُــل تقيّ)** [٢] .

وعن مُعاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى اليمن خرج معه يوصيه ثم التفت رسول الله ﷺ إلى المدينة فقال **(إن أهل بيتي هؤلاء يــرون أنهــم أولــى الناس بي ، وليس كذلك، إن أوليائي منكم المتقون مَــن كانوا وحيث كانوا)** [٣].

ولذا قال الإمام عليّ – كرَّم الله وجهه – في إحدى خُطَبِه : " إن وليّ مُحَمَّـــد مَــن أطاع الله وإن بعدت لُحمته [٤] ، وإن عَدوّ مُحَمَّــد من عصى الله وإن قربت قرابته " [٥] .

وروى زيد بن أسلم عن أبيه قال : قلت لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وكان والـــي المدينة : " احذر أن يأتي رجلٌ غداً ليس له في الإســـلام نـــسبٌ ولا أبٌ ولا جَـــد ، فيكون أولى برسول الله ﷺ منك ، كما كانت امرأة فرعون أولى بموســـى ، وكمـــا

---

(١) الفتح الرباني والفيض الرحماني للشيخ عبد القادر الجيلاني صـــ٢٥٥ .

(٢) الطبراني في المعجم الأوسط عن أنس رضي الله عنه ٣٣٨/٣ ، حديث ٣٣٣٢. ضعيف فيه نوح بن أبي مريم .

(٣) الطبراني في المعجم الكبير ١٢٠/٢٠ ، حديث ٢٤١ ، وهو بإسنادٍ جيِّد . انظر مجمع الزوائد ج١٠ صـــ٩٣١ ، وفي الصحيح من دلائل النبوة بزيادة (**اللهم إني لا أحل لهم فساد ما أصلحت ، وأيم الله لتكفأن أمتي عن دينهـــا كمـــا تكفأن الإناء في البطحاء**) .

(٤) نَسَبه .

(٥) كنز العمال للمتقي الهندي ١ / ٣٧٩ رقم ١٦٤٦ عن أبي الطفيل .

كانت امرأة نوح وامرأة لوط أولى بفرعون ، ومَــن أبطأ به عمله لــم يُــسرع بــه نسَبه ومَــن أسرع به عمله لم يُبطىء به نسَبه " .

قال الإمام أبو العزائم : " يظن الناس أن النسب قرابة تــدلي إلــى الأب والأم والعم والخال ، جهل الناس ، وحقك أيها الأخ الصالح التقيّ ليس هذا هو النــسب ، إنما النسب حقيقة الإسلام ، لأن نسيبك في الحقيقة من شاكلك حقيقة وخلقاً وشــيمة وعملاً ، وحسبنا حُجَّة في ذلك **ما رُوي (أدخل الإسلام بلالاً فــي نــسبي وأخــرج الكُفر أبا لهب من نسبي)** وقوله ﷺ : **(سلمان منا آل البيت)** (١) .

وقد قال الإمام عليّ ﷺ :

لعمرك ما الإنسان إلا بدينه	**فلا تترك التقوى اتكالاً على النسب**
فقد رفع الإسلام سلمان فارس	**وقد وضــع الشــرك الشـريف أبـا لهب**

وقد قيل : **قرابة الدين خيرٌ من قرابة الطين .**

وهكذا كان سلفنا الصالح مُذ كان الإسلام نسبهم، ومن قرَّبه الإسلام فهو قريبهم ، ومن أبعده فهو عدوهم ، عملاً بقوله تعــالى ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ وكل مَــن كان أكرم عند الله من غيره فهو أكرم مِــن باب أولى عندنا"(٢) .

---

(١) سبق تخريجه . رواه الحاكم في المستدرك ٦٩١/٣ ح رقم٦٥٤١، وقال الذهبيّ: سنده ضعيف فيه كثير بن عبد الرازق ضعيف ، ورواه (طب) عن عمرو بن عوف ، وحسنه صاحب جوامع الكَــلِــم . ورُوي أن سبب هذا الحديث : " أن رسول الله ﷺ خط الخندق من أحمر السبختين طرف بني حارثة عام حزب الأحزاب حتى بلغ المداحج ، فقطع لكل عشرة أربعين ذراعا ، واحتج المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي ، وكان رجلا قويا ، فقال المهاجرون : سلمان منا ، وقالت الأنصار : منا ، فقال رسول الله ﷺ **(سلمان منا أهل البيت)** رواه الهيثمي في مجمع الزوائد عن عمرو بن عوف المزني : ١٣٣/٦: فيه كثير بن عبد الله المزني وقد ضعفه الجمهور وحسن الترمذي حديثــه ، وبقية رجاله ثقات .

(٢) الإسلام نسَب . مرجع سابق . صـــ ١١٥ ، ١١٧ .

فـــالحق أن الصالحين أنسباء ولو تباعدت وشائجهم ، وأن اختلاف المسلك يقطع الصلات ولو كانت بين الوالد وما ولد ، قال تعالى ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ۝ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾

قال الإمام أبو العزائم : " أراد سيدنا نوح ﷺ أنه من أهله – يعني من زوجتـه ومن نفسه – فردَّ الله عليه سُبحانه معاتباً ومؤدباً ، مُقرراً أن هذا ليس هـو النسب وإنما النسب حقيقة هو التقوى ، وقال له ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ ﴾ أي ليس مـن نسبك الروحانيّ وإن فرض أنه منسوبٌ إليك " ، وفي قوله تعالى **(إِنَّهُ عَمَـلٌ غَيْـرُ صَالِحٍ)** قراءة (**عَمِلَ**) بفتح اللام ، تقدير أنه فعل غير صالح أخرجه عن النسب الروحانيّ الذي به يكون من أهلك .

وقال الله تعالى لخليلـه عليه السلام ﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [(١)] .

وعندما أنزل الله تعالى ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ ناداهم ﷺ بطناً بعـد بطن ، حتى قال (**يا فاطمة بنت محمد ، يا صفية بنت عبد المطلب عمـة رسـول الله ﷺ اعملا لأنفسكما فإني لا أغني عنكما من الله شيئاً**) [(٢)] رواه مسلم .

(١) المرجع السابق . صـ ١١٤ .
(٢) مسلم ، ١٣٣/١ حديث ٥٢٥ جـ ١ دار الجبل – بيروت .

وكذلك كان ﷺ **يُحذر قومه** أن يأتيه الناس بأعمالهم ويأتوه بأنسابهم ، فيقـول : **(يا معشر قريش لا يأتي الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالـدنيا تحملونهـا على رقابكم ، تقولون يا محمد يا محمد فأقول هكذا)**[1] يعني أُعرض عنكم.

قال القرطبي : القربُ في الأنساب لا ينفعُ مع البُعد في الأسباب فقد روى مُسلم من حديث أبي هريرة قال : لمَّا نزلت هذه الآيـة ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاجتمعوا ، فعَّم وخصَّ فقال **(يا بني كعب بـن لـؤي أنقـذوا أنفسكم مِن النار ، يا بني مُرَّة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يـا بنـي عبـد شمس أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النـار، يـا فاطمة أنقذي نفسك مِن النار فإني لا أملك لكم مِن الله شيئاً ، غير أن لكـم رحمـاً سأبلها ببلالها)**[2] .

ذلك أن القرابة لا تُغني دون عمل فقد قال ﷺ فيما يرويه أبو هريـرة عنـه : **(ومن أبطأ به عمله لم يُسرع به نسبه)** [3] متفق عليه .

وبيَّن ذلك سبحانه في بيانٍ أبلج : فقال عن يوم القيامة ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٌ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ ﴾

---

(1) الطبراني في المعجم الكبير عن شعيب بن عمر بلفظ : **(يا معشر قريش لا تجيئوني بالدنيا تحملونها على أعنـاقكم ويجيء الناس بالآخرة فإني لا أغني عنكم من الله شيئاً)** ١٢/١٨/حديث ١٦٠ مِن حديث العداء بـن خالـد ﷺ ط مكتبة العلوم والحكم .

(2) رواه مسلم ، ١٣٣/١ حديث رقم ٥٢٢ ، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٣ صـ ١٥٣ .

(3) رواه مسلم ، ٧١/٨ حديث ٧٠٢٨ بلفظ (**مَـن بطأ**) .

ورحم الله من قال : يجوز لعن الكافرين – لا على التعيين – وإن كانوا مـــن أولاد الأنبياء ولا يمنع مـــن ذلك شرف النسب ، كما قال تعالى ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ .... ﴾الآيات .

مما سبق نؤكد أن الخُلَّـــة الحقيقية إنما تكون لأهل التقوى وإن بعـــد نـــسبهم، والبُغض الحقيقي لأهل المعاصي وإن قربوا أو عاضدوا.

قيل لزين العابدين عليّ بن الحُسين – رضي الله عنهما – وهو جالسٌ في الكعبة : ما تقول في المُختار ابن أبي عبيد الثقفيّ ؟ فقام إلى حلقة الباب فأمـــسكها **وقـــال :** اللهم العنه ، أشـــهد أن الله يلعنه ، **فقالوا له :** أتقول ذلك وقد ذُبح فـــيكم ! **فقـــال :** "إنه كان يكذب على الله ورسوله ، وفيه قال الرسول ﷺ **(يخرج من ثقيف كـــذابٌ ومُبير)** (١) فهو الكذاب " .

كذلك فالولاء يجب أن يكون للحق لا لغيره ؛ فقد جاء رجُـــلٌ إلى عبد الله بـــن مسعود ﷺ فقال : علّمني كلمات جوامع نوافع، فقال: تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتزول مع القرآن أينما زال ، ومن جاءك بصدقٍ مـــن صغير أو كبيـــر وإن كـــان بعيداً بغيضاً فاقبله منه ، ومن جاءك بكذبٍ وإن كان حبيباً قريباً فاردده عليه (٢).

---

(١) (حم) في المسند ١٥٦/١ حديث ٣٢٦ عن أسماء بنت أبي بكر بلفظ (**إن في ثقيف كـــذاباً ومُـــبيراً**) ، وصـــححه صاحب جوامع الكَـــلِـــم . والكذاب هو المختار بن أبي عبيد مسعود الثقفي ، طالب بثأر الإمام الحسين طالباً بـــذلك الإمارة ووقوع الفتنة في صفوف المسلمين ، والمُـــبير أي المهلك هو الحجاج بن يوسف الثقفي . انظر جوامع الكلم ص ١٢٣ .

(٢) أخرجهُ أبو نعيم في حِلية الأولياء (١ / ١٣٤) . مشار إليه فى كتاب مساوىء الأخلاق ومذمومها . صـــ ١٦ .

وقال الإمام سليمان الداراني رضي الله عنه إنها لتقع النكتة مِـن كلام القوم في قلبي أياماً فأقول : لا أقبلك إلا بشاهدي عدل : الكتاب والسُنَّة (١) .

والناظر فيما روته السيرة يجد أن الإسلام قد ربَّى أبناءه على طمس الـولاء للقرابة إذا تعارض ذلك مع الولاء للدين والنُّصرة له ، ولا أشك أن اختيار أصلح المُرشَّحين وإن كان بعيد القرابة دون الفاسد وإن كان قريباً مِـن أقوى علامات الولاء للدين والحق والنصرة لهما .

إذ كما يقول الإمام القشيري : فإن أصل الإيمان : الموالاة والمعاداة في الله .

وكذلك قال الماورديّ : فإنه وعلى حسب التألف على الدين تكون العداوة فيه ، إذا اختلف أهله ، فإن الإنسان قد يقطع في الدِّين من كان به باراًّ وعليه مشفقا .. .

هذا أبو عبيدة بن الجراح ، وقد كانت له المنزلة العالية في الفضل والأثر المشهور في الإسلام ، قَتل أباه يوم بدر وأتى برأسه إلى رسول الله ﷺ طاعة لله عزَّ وجلَّ ، ولرسوله ﷺ حين بقي على ضلاله وانهمك في طُغيانه ، فلم تعطفه عليه رحمة ولا كفَّه عنه شفقة ، وهو من أبَر الأبناء ، تغليباً للدِّين على النسب ، ولطاعة الله تعالى ورسوله على طاعة الأب ، وفيه أنزل الله ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ (٢).

(١) قواعد التصوّف . للإمام الشيخ أحمد زرُّوق . صـ ١٠٣ .

(٢) أدب الدنيا والدِّين للماوردي . صـ ١٠٧ .

وفي قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ قال القرطبـــيّ : أي فـــي الـــدِّين والحُرمة لا في النسَب ، **ولهذا قيل** : أُخُوَّة الدِّين خيرٌ من أخُوَّة النسَب ، فإن أخـــوة النسَب تنقطع بمخالفة الدين ، وأخوة الدِّين لا تنقطع بمخالفة النسَب [1] .

ولذا نجد في قصة كعب بن الأشرف التي أخرجها البخاري عن جابر بن عبـــد الله ﷺ أن الذي ساعد جابراً في قتل كعب : أبو نائلة – وهـــو أخـــو كعـــب مـــن الرضاعة – وذلك طاعة لرسول الله ﷺ .

وأخرج البيهقيّ [2] عن مالك بن عمير ﷺ وكان قد أدرك الجاهلية ، **قال** : جاء رجُـــلٌ إلى النبي ﷺ **فقال** : إني لقيت العدوّ ولقيت أبي فيهم ، فـــسمعت لـــك منـــه مقالة قبيحة ، فلم أصبر حتى طعنته بالرمح – أو حتى قتلته – ، **فسكت عنه النبـــي** ﷺ ، ثم جاء آخر **فقال** : إني لقيت أبي فتركته وأحببت أن يليه غيـــري ، **فـــسكت عنه** [3] .

وأخرج البزَّار عن أبي هُريرة ﷺ قال : مرَّ رسول الله ﷺ بعبد الله بـــن أُبَـــيّ وهو في ظِلِّ أُطُم [4] فقال : " **غبَّر علينا ابن أبي كبشة** " [5] ، فقال ابنه عبـــد الله ﷺ يا رسول الله والَّذي أكرمك لئن شئت لآتينك برأسه ؟ فقال " **لا ولكن برّ أبـــاك وأحسن صُحبته** "[6] ، وعند الطبرانيّ قال: " **لا تقتل أباك** " [7] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن . للقرطبي . ج ١٦ صـــ ٣٠٧ .

(٢) معظم القصص التالية نقلتها من كتاب حياة الصحابة للكندهلوي .

(٣) سنن البيهقي (٩ / ٢٧) حديث ١٧٦١٤ وقال البيهقي : وهذا مُرسل جيِّد .

(٤) الأطم : حصن مبني بالحجارة ، وقيل : هو كُـــل بيت مربع مسطح ، والأطم أيضاً يُـــطلق على البنـــاء المرتفـــع ، وجمعهِ آطام . أفادهُ ابن منظور في لسان العرب .

(٥) كان المشركون – لعنهم الله – ينسبون النبي ﷺ لأبي كبشة زوج حليمة السعدية احتقاراً لشأنه ، وهو أكرم الخلق على الله .

(٦) قال البيهقي (٩ / ٣١٨) رواهُ البزار ، ورجالهِ ثقات .

(٧) الطبراني في المعجم الأوسط ١ / ٨٠ حديث ٢٢٩ ط الحرمين .

وعند ابن إسحاق أن عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ بن سلول ﷺ أتى رســول الله ﷺ **فقال** : يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أُبي فيما بلغــك عنــه ، فإن كنت فاعلاً فمُر لي به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخــزرج مــا كان بها مِــن رجُــلٍ أبَرَّ بوالده منّى ، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله ، فــلا تَدَعني نفسي أن أنظر إلى قاتل بن أُبيّ يمشي في الناس، فأقتله ، فأقتل مؤمناً بكافر، فأدخل النار ، فقال رسول الله ﷺ : " **بل نترفق به ونُحسن صحبته ما بقي معنــا** " كذا في البداية (٤ / ١٥٨) .

وأخرج الطبرانيّ عن أسامة بن زيد – رضي اللهُ عنهما– قــال : لمَّــا رجــع رسول الله ﷺ من بني المُصطلق، قام ابن عبد الله بن أُبيّ ﷺ فــسلَّ علــى أبيــه السيف، **وقال:** لله عليَّ أن لا أغمده حتى تقول مُحَمَّدٌ الأعزُّ وأنا الأذلّ ، **فقال أبوه** : ويلك .. مُحَمَّدٌ الأعزُّ وأنا الأذل ، فبلغت رسول الله ﷺ فأعجب وشكرها له [١] .

وأخرج ابن شاهين بإسنادٍ حسن عن عروة قال : استأذن حنظلة ابن أبي عامر وعبد الله بن عبد الله بن أبيّ بن سلول– رضي اللهُ عنهما– **رسول الله** ﷺ في قتــل أبويهما **فنهاهما عن ذلك** [٢] . كذا في الإصابة (١ / ٣٦١) .

وأخرج ابن أبي شيبة عن أيوب قال : قال عبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ لأبــي بكر: رأيتك يوم أحُد فصدفت عنك ، **فقال أبو بكر** : " **لكنّي لو رأيتك مــا صــدفتُ عنك** " [٣]

---

(١) ذكره الهيثمى في مجمع الزوائد ، وعزاه للطبرانى وحكم عليه بالضعف ٥٢٧/٩ حــديث ١٥٧٥٩ ، قــال الهيثمــي (٣١٨/٩) وفيهِ مُحَمَّد بن الحَسَن بن زبالة وهو ضعيف .

(٢) ذكره ابن حجر في الإصابة ١٣٧/٢ رقم ١٨٦٥ وحكم على الحديث ، إسناده حسن.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ك المغازي ٣٧٣/٧ ، حديث ٣٦٧٩٥ ، وكذا في الكنز (٢٧٤/٥) ، وأخرج الحــاكم (٤٧٥/٣) عن أيوب نحوه .

وأسند الحاكم عن الواقدي أن عبد الرحمن دعا إلى البراز يوم بدر فقـــام إليـــه أبوه أبو بكر رضي الله عنه ليُبارزه ، فذكر أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر "**متِّعنا بنفسك**"(١).

وذكر ابن هشام عن أبي عُبيدة وغيره من أهل العلم بالمغـــازي أن عُمَـــر بـــن الخطاب رضي الله عنه قال لسعيد بن العاص رضي الله عنه ومرَّ به : إني أراك كأن في نفسك شـــيئاً ، أراك تظن أني قتلت أباك ، إني لو قتلته لم أعتذر إليك مِـــن قتله ، ولكنِّـــي قتلـــت خالي العاص بن هشام بن المغيرة ، فأمَّا أبوك فإني مررتُ به وهو يبحـــث بحـــث الثور بِرَوقه فحِدت عنه ، وقصد له ابن عمه : (عليّ) فقتله . كذا في البداية ، **وزاد في الاستيعاب والإصابة** : فقال له سعيد بن العاص : " **لو قتلته لكنتَ على الحـــق وكان على الباطل** " ، فأعجبه قوله (٢) .

وأخرج ابن إسحاق عن نبيه بن وهب أخي بني عبد الـــدار أن رســـول الله ﷺ حين أقبل بالأسارى فرَّقهم بين أصحابه ، وقال (**استوصوا بهـــم خيـــراً**) ، قـــال : وكان أبو عزيز بن عُمير بن هاشم ، أخو مُصعب بن عُمير رضي الله عنه لأبيه وأمـــه فـــي الأسارى ، **قال أبو عزيز** مرَّ بي أخي مُصعب بـــن عمير ،ورجـــل مـــن الأنـــصار يأسرني ، **فقال شدَّ يديك به فإن أمّه ذات متاع لعلَّها تفديه منك**..، فقـــال لـــه أبـــو عزيز يا أخي هذه وصاتك بي !! فقال له مُصعب : **إنه أخي دونك** ، فـــسألت أمـــه عن أغلى ما فُديَ به قُرَشيّ ، فقيل لها : أربعة آلاف درهم، فبعثـــت بأربعـــة آلاف درهم ففدته بها (٣) . كذا في البداية (٣/٣٠٧) .

---

(١) الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٣/٥٣٩ حديث ٦٠٠٤ ، وهكذا ذكرهُ البيهقي (٨ / ١٨٦) عن الواقدي مشار إليه فى كتاب حياة الصحابة للكندهلوي صـــ ٢٣٢ .

(٢) ذكره في سمط النجوم ١/٢٥٤ .

(٣) ذكره الكاندهلوي في حياة الصحابة ٣/١٥٨ بألفاظ مختلفة .

وأخرج ابن سعد (٧٠/٨) **عن الزهريّ** قال: " لمَّا قدِم أبو سفيان ابــن حــرب المدينة جاء إلى رسول الله ﷺ وهو يريد غزو مكة، فكلَّمــه أن يزيــد فــي هُدنــة الحُديبية، فلم يُقبل عليه رسول الله ﷺ ، فقام فدخل على ابنته أم حبيبة- رضــي اللهُ عنها- ، فلما ذهب ليجلس على فراش النبي ﷺ طوته دونه ، **فقــال** : يــا بُنَيَّــة : أرغبتِ بهذا الفراش عنِّي أم بي عنه ؟ **فقالت** : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنــت امرؤ نجسٌ مشرك، **فقال** : يا بُنَيَّة لقد أصابك بعدي شرّ " [1] ، وذكر ابن اسحاق نحوه .

وكذلك قال عُمَر رضي الله عنه في مشاورة أهل الرأي : والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكن أن تُمَكنِّي من فلان – قريب لعُمَر – فأضرب عنقه ، وتُمَكِّن حمزة من فــلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنهُ ليست في قلوبنا هوادةً للمشركين .

وفي رواية بزيادة (وتمكن عليَّــاً من عقيل فيضرب عنقه ......) [2].

وأخرج عبد الرزَّاق والبيهقي عن ابن عُمَر- رضي اللهُ عنهما- **قال** : شــرب أخي عبد الرحمن وشرب معه أبو سروعه عقبه بن الحارث وهما بمصر في خلافة عُمَر رضي الله عنه فسكرا، فلما أصبحا انطلقا إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو أميــر مــصر **فقالا** : طَهِّرنا ، فإنا قد سكرنا من شرابٍ شربناه ، **قال عبد الله** : فذكر لي أخي أنه سكر ، **فقلتُ** : ادخل الدار أطهرك ولم أشعر أنهما قد أتيا عَمرا ، فأخبرني أخي أنه قد أخبر أمير المؤمنين بذلك ، **فقلت** : لا تحلق اليوم على رءوس النــاس ، ادخــل الدار أحلقك ، وكانوا إذ ذاك يحلقون مع الحد فدخلا الدار، **قال عبــد الله** : فحلقــت أخي بيدي، ثم جلدهم عَمرو، فسمع بذلك عُمَر، فكتب إلــى عَمــرو- رضــي اللهُ عنهما- أن ابعث إليَّ بعبد الرحمن على قتب ، ففعــل ذلــك ، فلمــا قــدم علــى

---

(1) ابن سعد في الطبقات الكبرى٨/١٠٠ ط دار صادر- بيروت، والبيهقي في السنن الكبرى٨/٣١٢، حديث ١٧٢٧٥

(2) رواه أحمد في المسند ١ / ٣٠ حديث ٢٠٨ . حديث حسن . من حديث طويل فى واقعة بدر . ورواه ابن أبي شيبة فى مصنفه . انظر : إشراقات الإسراء ج ١ صـــ ١٧٠ .

عُمَر رضي الله عنه جَلدهُ وعاقبهُ لِمكانه منه ، ثم أرسله فلبث شهراً صحيحاً ثم أصـــابه قَـــدَره فمات، فيحسب عامة الناس أنما مات من جلد عُمَر ، ولم يَمُت من جلد عُمَر [1] .

وجمــاع الأمــر: أن خُـــلَّة أهل الدنيا زائلة ، لأن مبناها الأهواء والمـــصالح ، وخُـــلَّة أهل الآخرة باقية، لأن سندها الدِّين .

فعند حديث القرآن عن الخُــــلَّة نجد أنه :-

نفى الخلة يوم القيامة في آية ﴿ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ﴾ وأثبتها في آيةٍ أخـــرى في قولـــه تعـــالى ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ ، ومعنى هذا أن الخُـــلَّة المنفية هي خُـــلَّة أهل الدنيا الَّذين تقوم خُـــــلتهم ومـــودتهم على الأهواء والشهوات والمصالح المادية ، وليست خُـــلَّة أهل التقوى الَّذين تقـــوم خُلَّتهم وصحبتهم على محبة الله وطاعته والولاء لدينه .

فالأوَّلون لا خُـــلَّة بينهم في الآخرة ، بل يكفر بعضهم ببعضٍ ، ويبرأ بعـــضهم من بعضٍ ، ويلعن بعضهم بعضاً ، كما قـــال تعـــالى ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ .

[1] البيهقي في السنن الكبرى ٨ / ٣١٢ حديث رقم ١٧٢٧٥ ، وقال في منتخب كنـــز العمَّـــــال : وسَـــــندهُ صـــحيح ، وأخرجهُ ابن سعد عن أسلم عن عَمرو بن العاص رضي الله عنه بطوله .كذا في مُـــنتخب الكنز (٤ / ٤٢٠) .

والآخرون أهل التقوى يظلُّهم الله في ظِــلِّه يوم لا ظلَّ إلاَّ ظــلُّه وتظل خُــلَّتهم ومحبتهم معهم حتى يدخلوا بها الجنة إخواناً على سُرُرٍ متقابلين[1] .

قال القشيريّ : " ما كان لغير الله فمآله إلى الضياع ، والأخلاء الَّذين اصطحبوا على مُقتضى الهوى : بعضهم لبعضٍ عدوّ ، يتبرأ بعضهم من بعضٍ ، فــلا ينفــع أحدٌ أحداً "[2] .

ولكن الواقع يؤكد أن أهل الأهواء كثيرون ، وأن الحق أبعد شيء في الوجــود عنهم ، وأبغضه إليهم .

ومن مظاهر ذلك فيما يتعلق بموضوع كتابنا : أن الناس تقول **(أنا وأخي علــى ابن عَمِّي ، وأنا وابن عَمِّي على الغريب)** ، هكذا مُطلقة ، أي أن المعيــار : هــو الألصق قرابة فالألصق ، وليس صاحب الحق .

بل عندما سُئل أحدهم عمن يختار في الانتخابات ليُمَثــله؟ قال : ابن بلدي أولى وإن كان كافرا **!!** .

وسألتُ آخر –وكان من الأعراب– : من تمنحه صوتك في الانتخابات ؟ فقال : رجُــل قبيلتي أو الأقرب لها ، وإن لم يُعد ففي الإعــادة (ربنــا يفرجهــا) ..!! ، **فقلت له** : وإن كان مُــنافسه مِــن غير قبيلتك أكفأ ؟ **قــال** : وإن كــان أكفــأ ..لا أعطي إلاَّ ابن قبيلتي **!!** .

وما أصدق المثل القائل : " **مَن يمدح العروس إلاَّ أهلها** " . ويُضرب هذا المثل في مَن تربطهم صلة قرابة ، يُــعجَبون ببعضهم بعضاً ويُــدافعون عــن بعــضهم البعض حتى ولو كان بهم عيب [3].

---

(١) فتاوى مُــعاصرة . د / القرضاوي مرجع سابق ج ٣ صـــ ٢٢٢ .

(٢) لطائف الإشارات . للقشيري . ج ٥ صـــ ٣٧٢ .

(٣) حكايات الأمثال العربية صـــ ٩٤ .

فيا أولي الألباب : أبعد هذا الهوى هوى ، يهوي بصاحبه وبالنـــاس ؟!! وهــل يُثمر مثل هذا إلا هواناً فوق هوان .

لا شك أن صاحب الهوى سيُحاسب لأنه اتخذ هواه إلهاً ، قـــال تعـــالى : ﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡـزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴾ وقـــال سُبحانه ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾

وقد جاء جبريل إلى النبيّ ﷺ فقال : **(يا مُحَمَّد عش ما شـئت فإنــك ميِّــت ، واعمل ما شئت فإنك مَجزيٌّ به ، وأحبب مَــن شئت فإنك مفارقه ....)** [(١)] .

(١) رواه الطبراني في الأوسط بإسنادٍ حَـسَـن ، انظر الترغيب والترهيب ح ١٢٢٣ . وهو في المستدرك للحاكم بتقديم الثالث موضع الثاني ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُـخرجاه .ح٧٩٢١ . وفي مسند لشهاب بلفظ قريب ح ٧٤٦ .

مجانبة التعصب للنسب أو الفخر بـــه

يجب أن يكون المقياس الأول في اختيار المُــرشح والدعوة لاختياره هو مــدى ما يتمتع بهِ مِــن جدارة ، لا بانتمائه لقبيلة فلان أو عائلة فلان .

ذلك أن الإسلام لا يكترث لأنساب ولا ألوان ولا أجناس ، بــل يوجــب علـــى المسلمين أن يبحثوا عن أكفأ رجُل فيهم ليضعوا بين يديه زمامهم ، غير ناظرين في تقويمه إلاَّ إلى المبدأ الشامل الجامع المانع في كتــاب الله ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ وفي الحديث : " **إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكــن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم** " [1] ، وفي رواية : **(إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم)** [2] .

وعن من شهد خطبة النبي ﷺ في أوسط أيام التشريق ، قال : قــال رســول ﷺ : " **أيها الناس ، ألا إن ربكم واحد ، ألا وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربــي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا أسود على أحمــر ، ولا أحمــر علـــى**

---

(1) أخرجه السيوطيّ ورمز إليه بالصحة بعد أن عزاه إلى مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة (انظر الجــامع الــصغير : حديث ١٨٣٢ ، ١١٤/١ ، وانظر أيضاً نوادر الأصول : ٩٥/٤) ، ونقله الغزاليّ بلفــظ : " **فــإني لا أنظــر إلـــى صوركم ولا إلى محاسنكم ، ولكن أنظر إلى قلوبكم** " (انظر المواعظ في الأحاديث القدسية : ص ١٠٠) بيان فضل خيار الناس ص ٩٣ وهامشها . وبلفظ (**إن الله لا ينظر إلى صُوَرِكُم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمــالكم**) رواه مسلم عن أبي هُريرة ﷺ : ١١/٨ حديث ٦٧٠٨ ط دار الجبل ، بيروت . وبلفــظ " **إن الله لا ينظــر إلـــى صوركم وأموالكم . ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم** " رواه مسلم عن أبي هريرة ، ح : ٤٦٥١ .

(2) أخرجه مسلم (٤٦٥٠) ، والإمام أحمد في مسنده (٤٩٣) ، والطبراني في الكبير (٣ / ٤٧٨) ح ٣٣٧٨ ، وفي مسند الشاميين (١٦٥٢) والبيهقيّ في الشعب (١٠٠٨٨) ، وابن حِــبَّــان في صحيحه (٢ / ٢٧٨) ح ٣٩٥ . انظر نثر الدر وبسطه في بيان كون العلم نقطة ، هامش صفحة ٤٦ .

أسود ، إلا بالتقوى ألا هل بلغت ؟ قالوا : بلغ رســول الله ﷺ ، قـــال : ليبلــغ الشاهد الغائب " (١) .

وقال ﷺ : " **ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين أو تقوى** " (٢) .

وقال ﷺ : " **المسلمون إخوة ، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى** " (٣) .

ويقول ﷺ (**الناس وَلد آدم وآدم من تراب**) (٤) .

قال الإمام القرطبي في قوله تعــالى ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا ﴾ : " أي كيف يملكنا ونحن أحق بالمُلك منه إذ نحن من سِبط الملوك وهو ليس كذلك ، وهــو فقير ، فتركوا السبب الأقوى وهو قدر الله تعالى وقضاؤه السابق حتى احتجَّ علــيهم نبيّهم بقوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ ﴾ أي اختاره وهو الحُجَّة القاطعة ، وبيَّن لهــم مــع ذلك تعليل اصطفاء طالوت ؛ وهو بسطته في العلم الَّــذي هــو مــلاك الإنــسان ، والجسم الَّذي هو مُعينه في الحرب وعِدته عند اللقاء ، فتضمنت بيان صفة الإمــام وأحوال الإمامة وأنها مُستحقة بالعِلم والدِّين والقوة لا بالنسب ، فلا حظَّ لنسبٍ فيهــا مع العلم وفضائل النفس وأنها متقدمة عليه ، لأن الله تعالى أخبر أنه اختاره علــيهم لعلمه وقوته وإن كانوا أشرف مُنتسباً " .

---

(١) الراوي: أبو نضرة : البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة : ٢٢٦/٣ ورجاله ثقات . وبلفظ : " **يا أيها الناس ! إن ربكم واحد ، و إن أباكم واحد ، ألا لافضل لعربي على عجمي ، و لا عجمي على عربي ، و لا لأحمر على أسود ، و لا لأسود على أحمر إلا بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ألا هل بلغت** ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : **فيبلغ الــشاهد الغائب**" الراوي: جابر بن عبدالله: السلسلة الصحيحة للألباني : ٢٧٠٠ وإسناده صحيح .

(٢) الراوي: عقبة بن عامر: صحيح الترغيب للألباني : ٢٩٦٢ والحديث : صحيح لغيره .

(٣) الراوي: حبيب بن خراش العصري (صحابي) ا: السيوطي في الجامع الصغير: ٩٢١١ والحديث : حسن

(٤) (سع) عن أبي هريرة ، وحسنه صاحب جوامع الكَــلِــم .

وقال الإمام القرطبيّ أيضاً في قول يوسُــف عليه السلام ﴿ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ : لم يقل إني حسيبٌ كريمٌ وإن كان كما رُوي عن النبيٍّ ﷺ : " **الكريمُ ابن الكريم ابــن الكريم ابن الكريم يوسُف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم** " ، إنما قــال : **إِنِّــي حَفِيظٌ عَلِيمٌ** ، فسألها بالحفظ والعلم لا بالنسب .

أمَّا الدعوة إلى أسرةٍ ما أو قبيلةٍ ما فإنه يكون من قبيل العصبية التي كرههــا الإسلام ، وقد قدَّمنا أحاديث كثيرة عن الرسول ﷺ توضح ذلك ، ومنهــا قولــه ﷺ **(خيركم المُدافع عن عشيرته ما لم يأثم)** (١) .

وكذلك ما روي عن **واثـــلة بن الأسقع قال:** قلنا: يا رسول الله : ما العصبية ؟ **قال : (أن تُعين قومك على الظلم)** (٢) .

ذلك أن ترك الكفء وانتخاب غيره لأنه ينتسب إلى فــلان أو فــلان ، ظلــمٌ لصاحب الامتياز بإهدار حقه ، وظلمٌ للمحظوظ بتكليفه فوق طاقته ، وظلمٌ للأمَّة إذ فوَّتنا عليها الانتفاع بخيرات بَنيها ، وعرَّضناها لشرور عَجَزتها وسَفَلَتها ، وما ذلك إلا لإرضاء نزعة طائشة .

وتأمــل قولـــه تعـــالى ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ ، فهذه الآية صريحة في أن كل من يدعي محبة الله ورسوله ثم يؤثر حُب آبائه وأبنائه وأزواجه وعــشيرته أي

---

(١) أبو داود في السنن ، ٤/٤٩٣ حديث ٥١٢٢ صحيح .

(٢) السنن الكبرى للبيهقى ، ١٠/٢٣٤ .

عُشراءه من أقاربه على محبة الله ورسوله والقيام بما أمر به فهو فاسق مُتعد حدود الله تعالى(١) .

وإن من التجنّي الممقوت أن نحسب خصائص الإنسان الراقي احتكـــاراً علـــى جنسٍ بعينه ، أو بيتٍ بعينه ، وقد عَـــلَّم الله نبيـــه أن يقــول : ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ ، ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ ﴾ .

قال ابن الجوزي : ومن تلبيسه عليهم :أن يكون لأحدهم نسب معروف فيغتـــرّ بنسبه ، فيقول أنا من أولاد أبي بكر، وهذا يقول أنا من أولاد عليّ ، وهذا يقول أنـــا شريفٌ من أولاد الحسن أو الحُسين ، أو يقول أنا قريب النسب من فلان العـــالم أو من فلان الزاهد ، **وهؤلاء يبنون أمرهم على أمرين** :-

أحدهما :- أنهم يقولون من أحَبَّ إنساناً أحَبَّ أولاده وأهله .

والثانى :- أن هؤلاء لهم شفاعة، وأحق من شفعوا فيه أهلهم وأولادهم ، وكـــلا الأمرين غلط ، أمَّا المحبة فليست محبة الله عزَّ وجلَّ كمحبة الآدميين، وإنما يُحِـــبُّ من أطاعه ، فان أهل الكتاب من أولاد يعقوب لم ينتفعوا بآبائهم ، ولو كانت محبـــة الأب تسرى لسرى إلى البعض أيضا، وأما الشفاعة فقـــد قـــال الله تعـــالى ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾ ، ولما أراد نوح حمل ابنه في السفينة قيـــل لـــه ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ ﴾ ، ولم يشفع إبراهيم عليه السلام في أبيه أو عمّـــه – علـــى خلاف بين العلماء – ولا نبيُّـــنا في عمِّه ، وقد قال ﷺ لفاطمة –رضي اللهُ عنهـــا– (**لا أغني عنكِ من الله شيئا**) ومن ظن أنه ينجو بنجاة أبيه كان كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه (٢) .

(١) الإسلام نسَب . مرجع سابق . صـــ ١١٣ .

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي صـــ ٣٤٥ .

قال في بوارق الحقائق : وبويعت في الحضرة على عدم النظـر إلـى الآبـاء والأجداد ، فإن المفاخرة بهم مِن طباع أهل الشرك ، والغلوّ بهم مـن بقايـا نخـوة الجاهلية ، وأقل طلاب الحق همّـة في السير أبناء المشايخ تشيخاً بآبائهم بلا علـم ولا عمل ، ومَن طلب الحق علت همَّـته عن التقيد بأب وأم وخال وعم ، والمؤمن المنور يطلب الحق أين كان ، ويأخذ الحكمة أين وجدها ، ومَـن زعـم حـصر الحِـكَم الموهوبة ، والعنايات المفاضة بأب وجدّ ، فقد نشر على رأسـه عَـلَـم الردّ والقطيعة والبعد – والعياذ بالله – [1].

فهناك مَـن يحيا بالماضي مفاخراً به ، معتـزاً بأمجـاده ، دون أن يُـضيف جديداً أو يُـقدم مزيداً يصل حاضرهُ بماضيه، ويومه بأمسه ، فهو دائماً يقول: كنا ، وكان آباؤنا وأجدادنا ، ولا يجد ما يقول عنه : نحن فعلنا كذا ، أو أنجزنا كذا .

ولمثل هؤلاء يقول المتنبي :

لئن فخرت بآباء ذوي حَسَب ... لقد صدقت ، ولكن بئس ما ولدوا[2]

وقال عبد الله بن معاوية بن جعفر في الحث على البناء والعطاء وعدم الاتكـال على النسب والفخر والأحساب والماضي المجيد :

إنا وإن أحسابنا كرمت ... لسنا على الأحساب نتكل

نبني كما كانت أوائلنا ... تبني ونفعل كالذي فعلوا [3]

(1) بوارق الحقائق ص ٢٧٢ .

(2) وروى البعض أنه من قول سيدنا عليّ بن أبي طالب ﷺ بلفظ :

إذا افتخرت بأقوامٍ لهم شرف ... قلنا صدقت ولكن بئس ما ولدوا

(3) اللطائف في الحكم والمعلومات والطرائف ، أحمد عبد الرحيم ، ص ٧٤.

ومثل ذلك قول الشاعر :

إذا أعجبتك خلال امرىء فكنه تكن مثل من يعجبك

فليس على المجد والمكرمات إذا جئتها حاجب يحجبك (١)

وقال الإمام عليّ رضي الله عنه :

كن ابن مَن شئت واكتسب أدباً يُغنيك محمودهُ عن النسب

فليس يغني الحسيب نسبته بلا لسان له ولا أدب

إن الفتى مَن يقول : ها أنذا ليس الفتى مَن يقول : كان أبي(٢)

وماذا يُفيد العظام النخرة أن تقول: كنت فيما مضى جسداً حياً؟(٣).

قال ابن الوردي :

لا تقل أصلي وفصلي أبداً إنما أصل الفتى ما قد حصل

وقال الحريري :

وما الفخر بالعظم الرميم وإنما فخارُ الذي يبغي الفخارَ بنفسهِ (٤)

ويقال : هناك رجُل عصامي ، وهناك رجُل عظامي .

---

(١) المرجع السابق ص ٧٤.

(٢) ديوان الإمام عليّ ، مرجع سابق ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٣) الوقت في حياة المُسلم ص ٣٧ ، ٣٨

(٤) حِكمة الرجز أو (صورة المُجتمع) للإمام الشيخ / مُحَمَّد خليل الخطيب ص ٤٠

قال الشيخ محمد الخطيب النيديّ – رحمه الله ورضي عنه – :

لا تفخـرنَّ بالنسـب	**إن كنت مِن أهل الأدب**
فالمرء يسمو بالعمل	**وأصلـه ما قـد حصـل**
والمرء مِن حيث ثبت	**يَجـلُّ لا حيـث نبت**
ومَـن أهـان فعلـه	**مـاذا يُفيـد أصلُـه**
أنـوحُ نجـى الولدا	**لَمَّا نـأى عـن الهدى ؟**
أم زوج لوطٍ قد نجت	**مِن الـردى لَمَّا غوت ؟**
ومـا الـذي يُغنيـهِ	**الشيخ [1] عـن أبيهِ ؟**
ولم يُفد خير العرب	**مَـن يـدُهُ تبـت وتب [2]**

يقول الحارث المُـحاسبيّ : استعظام القدر من أجل الآباء والأصل ، فإن كانوا من أهل الشرف في الدنيا فسيتعظم قدره من أجلهم وينسى مِنَّـة الرَّب عـزَّ وجـلَّ عليه إذ جعله كذلك ورفع عنه مِحنة ضِعة القدر، لعَّله لو جعله وضيعاً في الحسب لسخط ذلك ، وانتمى إلى غير آبائه وأنف منهم ، فينسى ما رفع الله عزَّ وجلَّ عنه من المِحنة ، وما تفضل به من المِنَّـة [3] .

وفي التنزيل ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ وذلك أن الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن أسيد لما أذَّن بلال يوم الفتح على الكعبة ، قال الحـارث ابن هشام : هذا العبد الأسود يؤذن على الكعبـة ، فـأنزل الله عـزَّ وجـلَّ ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ .

---

(١) المُـراد بالشيخ : سيدنا إبراهيم عليهِ السلام .

(٢) المرجع السابق ص ٤٠ ، ٤١ .

(٣) الرعاية لحقوق الله . للحارث بن أسد المُحاسبي صـ ٣١٢ .

وقد قال النبي ﷺ (**إن الله عزَّ وجلَّ قد أذهب عنكم عُبيَّة الجاهليـــة** - يعنـــي كِبرها- **كلكم بنوا آدم، وآدم من تراب)** [1] .

وعن ابن عُمَر قال : طاف رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقتـــه القـــصواء يستلم الأركان بمحجن في يده ، فما وجد لها مناخاً في المسجد ، حتى نزل ﷺ على أيدي الرجال، فخرج بها إلى بطن المسيل فأنيخت ، ثم إن رســـول الله ﷺ خطـــبهم على راحلته، فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال :

" **يا أيها الناس إن الله تعالى قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتعظّمها بآبائهـــا ، الناس رجلان : رجلٌ بَرٌّ تقيّ كريمٌ على الله تعالى ، ورجلٌ فاجرٌ شقي هَيـــّنٌ علـــى الله تعالى ، إن الله عزَّ وجـــلَّ يقـــول :** ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ ثم قال ﷺ : " **أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم**" [2] .

بل إن الشرع الإسلامي في جُملة أحكامه لم يُميز أقارب النبيّ ﷺ على غيرهم من الناس، بل أعلن أن الناس سواسية كأسنان المشط ، هـــم كـــذلك فـــي الحقـــوق والواجبات ، والمغارم والعقوبات ، وقد قال ﷺ **(وأيم الله لو سرقت فاطمـــة بنـــت مُحمد لقطعت يدها)** [3] متفق عليه .

---

(1) ورد من حديث أبي هريرة – أبو داود والترمذي ٧٣٥/٥٠ حديث رقم ٣٩٥٦ ، وأحمد ، وقال المُنذري في الترغيب والترهيب : إسناده حَسَن ، وأخرجهُ الترمذيّ مِن حديث ابن عُمَر ، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح : رجاله ثقات ، ثمَّ ذكر لهُ عِلَّـــة .

(2) رواهُ عبد بن حميد . تفسير ابن كثير (٤ / ٣٣٥) .

(3) البخارى ٢٨٢/١ حديث رقم ٣٢٨٨ ، وفي رواية (**لو كانت فاطمة لقطعت يـــدها**) رواه (م د ن) عـــن جـــابر ، وصححه صاحب جوامع الكَلِم ، وفي لفظ **(لو كانت فاطمة لقطعتها) رواه (ن)** عن عائشة ، وحسنه صاحب جوامع الكَـــلِـــم .

وبيَّن الشرع كذلك أنه (**ليس لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود فــضلٌ إلاَّ بالتقوى)**

ولذلك قال الإمام عليّ – كرَّم الله وجهه – : " **الناس شرعٌ** (متساوون) **سواء ، آدم أبوهم وحواء أمّهم** " .

ولكن الواقع – كما يقول الحارث المُــحاسبيّ – أنَّ الذي لـــه نــسبٌ شــريفٌ يستحقر من ليس له ذلك النسب وإن كان أرفع منه عملاً وعِلماً ... وذلـــك عــرقٌ دفينٌ في النفس لا ينفك عنه نسيبٌ وإن كان صالحاً وعاقلاً ،إلا أنه قد لا يترشح منه ذلك عند اعتدال الأحوال ، فإن غلبه غضب أطفأ ذلك نور بصيرته وترشَّح منه .

ولقد بيَّن الإسلام أن ذلك مُهلك ، فقد ثبــت أن رجلين تفاخرا عند النبيّ ﷺ ، فقال أحدهما للآخر : أنا فلان بن فلان ، فمن أنت لا أمَّ لك ؟ فقال النبي ﷺ :

" **افتخر رجُلان عند موسى عليه السلام فقال أحدهما : أنا فلان بــن فــلان ، حتى عدَّ تسعة ، فأوحى الله تعالى إلى موسى** عليه السلام : **(قل للذي افتخر: بل التسعة من أهل النار وأنت عاشرهم)** [1] .

وعن أبي هُريرة أن النبيَّ ﷺ قال : (**لينتهن أقوام يفتخرون بآبائهم الَّـــذين ماتوا إنما هم فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله عزَّ وجلَّ مــن الجُعــل الــذى يــُدَهده الخرء بأنفه ، إن الله أذهب عنكم عُبِيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء ، إنما هو مؤمنٌ تقيّ وفاجرٌ شقيّ ، الناس بنو آدم وآدم خُلق من تراب**)[2] .

---

(1) قال الحافظ العراقي : أخرجهُ عبد الله بن أحمد في زوائد المُسند بإسنادٍ صحيح من حديث أبي بن كعب . انظر هامش إحياء علوم الدين (٣ / ٣٥٢) .

(٢) حَسَن . انظر صحيح سُــنن الترمذي (٣١٠٠) . وروي الحديث بلفظ : " لينتهين أقوامٌ يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا إنما هم فحم جهنم ، أو ليكونن أهون على الله من الجُعل الذى يدهده الخرء بأنفه ، إن الله قد أذهب عــنكم عُبيَّـــة الجاهلية ٢ ، إنما هو مؤمنٌ تقيٌ وفاجرٌ شقيٌ ، الناس كلهم بنو آدم ، وآدم خلق من تراب) أبو داود (٥١١٦) وحسنه

وعن النبيّ ﷺ : (**إذا جمع الله الأولين والآخرين لميقات يومٍ معلـــوم، يقـــول الله عزَّ وجلَّ : يا أيها الناس إني جعلتُ لي نَسَبـــاً وجعلتم لكم نـــسباً ، فوضـــعتم نسبي ورفعتم نسبكم ، قلتُ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وأبيتم إلاَّ فلان بن فلان ، فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسَبي، أين المتقون ؟ فينصب للمتقين لـــواء فيتبعـــون لواءهم فيدخلون الجنة بغير حساب**) (١) .

قال الإمام أبو العزائم : " فكأن النسب الحقيقيّ الَّذي به الإكرام من الله والكرامة هو نسب التقوى ، ومن هذا ينتج أن نجعل الفخر لأهل التقوى ، وألاَّ نلتفـــت إلـــى الفخر بالآباء والأجداد والأمَّهات ، وأن نترك النعرة بالنسَب الجاهلي ، ويكون كـــل مؤمن تقيّ أحبَّ إلينا من أنفسنا وأموالنا وآبائنا وأبنائنا حُباً لله ولرسوله ﷺ " (٢) .

وعلاج من يعتريه الكبر من جهة النسب أن يداو قلبه بمعرفة أمرين:

أحدهما : أن هذا جهلٌ من حيث أنه تعزَّز بكمال غيره ، ولذلك قيل :

لئن فخرتَ بآباء ذوي شرف   لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا (٣)

قال " **مسكويه** " : وأما المفتخر بنسبه فأكثر ما يدعيه إذا كان صـــادقاً أن أبـــاه كان فاضلاً ، فلو حضر ذلك الفاضل وقال : إن الفضل الذي تدعيه لي أنا مستبد به دونك ، فما الذي عندك منه مما ليس عند غيرك ، لأفحمه وأسكته .

الألباني ، صحيح أبي داود (٤٢٦٩) والترمذي (٣٩٥٥) واللفظ له وقال : حديث حسن غريب ، وعبية الجاهليـــة : أي تخونها وكبرها وأصلها من العبء وهو الثقل .موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرســـول الكـــريم ﷺ ، المجلد الحادي عشر ، ص ٥٣٧٤ .

(١) الحاكم في المستدرك ٥٠٣/٢ حديث ٣٧٢٦ ، ورواهُ الطبراني في (الأوسط) و (الصغير) ، والبيهقيُّ مرفوعـــاً ، وهو حَسَنٌ صحيح .

(٢) الإسلام نسَب . مرجع سابق . صـــ ١١٥ .

(٣) سبق ذكره مِـــن قول المتنبي .

ويُحكى عن مملوك كان لبعض الفلاسفة أنه افتخر عليه بعض رؤســاء زمانــه فقال له : إن افتخرت عليَّ بفرسك فالحسن والفراهة للفرس لا لك ، وإن افتخــرت بثيابك وآلاتك فالحُسن لها دونك ، وإن افتخرت بآبائك فالفضل كان فيهم دونك [1] .

قال الشيخ أحمد الرفاعيّ : (أي أخي) : تفتخر بأبيك آدم – عليــه الــسلام – الصفوة الأولى ، كفر أكثر أولاده ، وكذلك أكثر أولاد الأنبياء والمرسلين ، تفتخــر بعلمك ، إبليس حلَّ كل عويص ، حلَّ وقرأ صحاف الموجودات ، تفتخــر بمالــك ، قارون هلك بماله ، تفتخر بملكك ، لم يغن ملك فرعون عنه من ربه شيئاً ، ما هلك إبراهيم عليه السلام بعد أن تجرد إلى ربه ، ما ذلَّ موسى عليه السلام بعد أن فرش بساط ذلِّه بين يدي خالقه ، ما ضاع شأن يونس عليه السلام بعد أن قــال بــصدق الالتجاء ﴿ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَـٰنَكَ ﴾ ، ما خاب يوسف عليه السلام بعــد أن استــسلم لقضائه معتمداً عليه ، هكذا المرسلون ، هكذا الصديقون ، هكــذا الــصالحون ، لا تبديل لكلمات الله [2] .

الثاني :- أن يعرف نسبه الحقيقي فيعرف أباه وجدَّه ، فان أباه القريــب نطفــةٌ قذرة ، وجَده البعيد ترابٌ ذليل .

روي أن عيسى عليه السلام سُئل : أيُّ الناس أشرف ؟ فقبض قبضتين مــن تــرابٍ، وقال : أيّ **هاتين أشرف** ؟ ثم جمعهما وطرحهما وقال : **الناس كلهم من تــراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم**[3] .

---

(1) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ص ١٦٧ .

(2) البرهان المؤيد ص ٥٨

(3) روى بلفظ عن سعيد المقيري قال : (**سأل رجُلٌ عيسى ابن مريم : أي الناس أفضل ؟ فأخذ قبضة من تراب فقال ، أي هاتين أفضل ، الناس خلقوا من تراب فأكرمهم أتقاهم**) ، انظر تاريخ دمشق لابــن عــساكر ٤٥١/٤٧ ط دار الفكر بيروت .

قال الإمام عليّ ﷺ :

أيها الفاخر جهلاً بالنسب إنمـــا الناس لأمٍّ وأب

إنما الفخــر لعقـــلٍ ثابت وحياءٍ وعفافٍ وأدب (١)

وقال أيضاً ﷺ :

ولو صيغ من فضةٍ نفسٌ على قــدرٍ لعـــاد مــن فضلــه لمّا صفا ذهبا

مـا للفتـــى حســبٌ إلا إذا كمُـلت أخلاقه وحـــوى الآداب والحسبا

فاطلب فديتك علماً واكتسب أدبا تظفر يداك به واستعجل الطلبا

لله درُ فتـــى أنســـابــه كـــــرمٌ يا حبّذا كــرمٌ أضحى له نسبا

وقال أيضاً ﷺ :

الناس من جهة التمثال أكفاءُ أبوهــــم آدم والأم حـــــواءُ

نفسٌ كنفسٍ وأرواحٌ مشاكلةٌ وأعظمٌ خُلقت فيها وأعضاءُ

وإنمـــا أمهـــات النـــاس أوعيةٌ مستودعاتٌ وللأحساب آباءُ

فإن لــم يكن من أصلهم شرفٌ يفاخرون به فالطين والماءُ(٢)

وقال الشاعر :

إنما الناس جميعاً كلهم أبناءُ جنس

وقد رُوي أنه افتخر قومٌ مِن العرب عند سيدنا سلمان الفارسي ، ثــم ســألوه : مَــن أبوك ، فقال : أنا ابن الإسلام ، فبلغ ذلك سيدنا عُــمر بن الخطاب ﷺ فبكى وقال : وأنا والله ابن الإسلام .

---

(١) ديوان الإمام عليّ ، مرجع سابق ص ٣٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٧٤ ، ورُوِي صدر البيت الأخير بلفظ : **فإن يكن لهم من أصلهم شرف**

وعندما سأل خالدُ بن عبد الله القشيريّ واصلَ بن عطاء عن نـسبه ، قـال : **نسبي الإسلام الذي من ضيَّعه فقد ضيـَّع نسبه ، ومن حفِظه فقد حفظ نسبه** [1] .

ومما ورد على لسان بعض العرب قوله :

أبـي الإسلام لا أب لـي سواهُ إذا افتخروا بقيسٍ أو تميمِ[2]

---

(1) المُستطرف للأبشيهي . مرجع سابق صـ ٢٨٣ .

(2) وقد نسبه البعض إلى سيدنا سلمان الفارسي ﷺ .

مُجانبة العُجب بكثرة العدد

إن الناظر يَجد أنَّ بعض المُرشَّحين يعجب بكثرة أتباعهِ ، ويغتر بمُساندتهم لـــهُ ولو على الباطل .

وأقول لهُ ما قالهُ الإمام الحارث بن أسد المُحاسبيّ **في كتابه (الرعاية لحقــوق الله) :** " قلت : **فالعجب بكثرة العدد مــن الولــد والخــدم والمــوالى والعــشيرة والأصحاب والأتباع ؟**

قال : الاستكثار بهم ، والاتكال عليهم بالتحرُّز بهم ، والغلبة لغيرهم ، والتــزين بهم ، والاتكال على عددهم ، ونسيان الاتكال على الله عزَّ وجلَّ ، كما فعل بعــض أصحاب النبي ﷺ يــوم حُنــين ، فــأنزل الله – عــزَّ وجــلَّ – ﴿ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ ، إذ قال قائلهم : لن نُغلب اليوم من قلة ، فاتكل على الكثــرة وأغفــل ذكر الله عزَّ وجلَّ ، فعوتبوا على ذلك وعلى الافتخار بالكثرة والعــزة بهــم ، وقــد يكون ذلك من المؤمنين ومن الكافرين ، كما قال الكـــافرون ﴿ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا ﴾ ، فيستطيل المُعجب بالكثرة على الناس ، ويجترئ على المشاتمة والقتال والضرب لغيره ، مُتكلاً على كثرتهم لينصروه ويمنعوه ، ويحمله ذلك على جحــد الحقوق ، والجور والظلم بالاتكال على الكثرة ، وبالعُجب ظلــم أكثــر مــن ظلــم واستطال .

قلت : فبم أنفي ذلك ؟

قال : بمعرفتك بضعفك وضعفهم ، وأن من لم ينصره الله عزَّ وجلَّ فلا ناصــر له ، ومن لم يَقِهِ الله عزَّ وجلَّ فلا واقي له ، وأن الاتكال عليهم دون الاتكال علـــى الله عزَّ وجلَّ يستأهل به صاحبه الخذلان من الله عزَّ وجلَّ ، حتى لا ينفعه جمعهــم ولا كثرتهم ، وقد يعجل ذلك له ، فإن لم يعجل ذلك لم يغترّ ، وتوقع ذلك سريعاً

إن لم يُقِلْها أهل حنين ، وهم خيرُ عصابةٍ على وجه الأرض ، وكيف يُقلها العاصي الظالم المُسرف على نفسه .

وبمعرفتـه أن الجمع سيتفرق عنه وأنه سيخلو بنزع الموت وحده ثـم يمـوت فيسلمُونه إلى البلى ، ولا يُغنون عنه من الله عزَّ وجلَّ شيئاً ، وأن كُـلَّ من استعان بهم فأعانوه عليه، أو استطال أو ظلم بقوَّتهم أن ذلك كُـله مثبت عليه ، مجزي به ، حين يفرّ المرء من أخيه و أمِّه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، ومن يعجب بهم جميعـاً ، بل يتمنى يوم القيامة إن لم يعف الله عزَّ وجلَّ عنه ، وإنه فداؤه مـن النـار ، وأن الشكر عليه فيما أعطاه من كثرة ، وجعله من أهل الكثرة ، وأنه من ضـيّع الـشكر أغضب الله عزَّ وجلَّ بذلك ، ولم يغنوا عنه من المال شيئاً ، ولم يدفعوا عنـه مـا قُدِّر في دينٍ ولا دنيا **فإذا** ألزم قلبه هذه المعرفة زال عنه العُجب بـذلك ، واهـتمّ بالعمل ، وخاف المقدور ، واتكل على الربّ عزَّ وجلَّ على غيره " (١) .

وقال أحد العلماء : **لقد ذمَّ القرآن الأكثرية إذا كان أصحابها ممن لا يعقلون أو لا يعلمون أو لا يؤمنون أو لا يشكرون ، كما نطقت بذلك آيات وفيرة من كتاب الله** ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ ، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾ ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ . ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ ، ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾ ﴿ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ .

---

(١) الرعاية لِحقوق الله . للحارث المُـحاسبي . صـ ٣١٨ ، ٣١٩ .

في حين مدح القرآن القلة المؤمنة العاملة الشاكرة ، كما فـــي قولـــه تعـــالى :
﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْۗ ﴾ ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ ﴿ فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ ﴾ ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾ .

وقد مكث سيدنا نوح عليه السلام يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً فما آمن معـــه إلا قليل ، مع أنه من أولي العزم ، وأن سيدنا يونس بقي ثلاثين عاماً لم يؤمن بهِ إلاَّ رجُلان ، ثم آمن به في قليل مائة ألف .

ولهذا فليس المهم أن يكثر عدد الناس ولكن المُهم أن يكثر عدد الصالحين منهم .

وقد قال ﷺ : **(الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحِلة)** [1] .

دلالة على ندرة النوع الجيِّد في الناس كندرة الراحلة الصالحة للسفر والركـــوب والحمل في الإبل ، حتى إن المائة لا يكاد يوجد فيها واحدة من هذا النوع .

والتفاوت في بني الإنسان أكثر منه في جميع الفصائل والأنواع الأخرى ، حتى جاء في الحديث **(ليس شيء خيراً من ألف مثله إلاَّ الإنسان)** [2] .

وقال الشاعر :

ولم أر أمثال الرجال تفاوتاً — لدى المجد حتى عُدَّ ألفٌ بواحدِ [3]

---

(1) متفق عليه عن ابن عُمَر رضي الله عنه ، ففي مسلم ١٩٢/٧، رقم ٦٠.

(2) الطبراني في المعجم الكبير ٢٣٨/٦ حديث رقم ٦٠٩٥ وهو حديث حَـــسن ، ورواه (ضخ) عن سلمان ، وصححه صاحب جوامع الكَـــلِـــم .

(3) ساعة مع العارفين ص ٢٤ .

ولقد أدرك الشاعر العربيّ الجاهليّ أهمية النوع على الكم فقال :

تعيِّرنا أنَّـا قليـلٌ عديـدنا فقلت لها : إن الكرام قليلُ

وما ضرَّنا أنَّـا قليلٌ وجارنا عزيزٌ وجار الأكثرين ذليلُ

ويقول الشيخ مُحَمَّد زكي الدِّين إبراهيم : إن كثرة الأتباع لا تدل في ذاتها على فضلٍ ولا خيرية ، فرزق تاجر المُــخدرات مثلاً أضــعاف رزق تــاجر الــدقيق ، وليس معنى هذا أن تاجر المُــخدرات أفضل مِن تاجر الدقيق .

ثم انظر بعد هذا إلى كثرة التراب وقلة التِــبر ، وإلى كثرة النحاس وقلة الــذهب وحفنة الملاليم لا تساوي درهم فضة واحد ، وألف صفر لا تساوي الواحد الصحيح **ولا تنس أن** إبليس أكثر خلق اللهِ أتباعاً ، وأن سيدنا يونس بقي ثلاثــين عامــاً لــم يؤمِن بهِ إلاَّ رجُلان . **ولهذا يقول أشياخنا :** " اسلك طريق الهُدى ، ولا تضرك قلة السالكين ، واترك طريق الردى ، ولا تغرك كثرة الهالكين " (١) .

وهو في كلام الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ بلفظ : الزم طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين وإياك وطريق البدعة ولا يضرك كثرة الهالكين(٢) .

وقد قيل : صدق الفكرة لا يُــقاس بعدد معتنقيها .

---

(١) الدليل إلى الطريقة المُحَمَّدية . الإمام الشيخ / مُحَمَّد زكيّ الدِّين إبراهيم . صــ ١٧٩ .

(٢) لطائف المنن والأخلاق صــ٨ . وتأمل هذه الآيات : **{وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُــؤْمِنِينَ }{وَمَــا يُــؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ } { بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } {وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ }{بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ } {لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ } {وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ } { وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاء رَبِّهِمْ لَكَــافِرُونَ } {وَمَــا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ } {أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَــذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ } .**

وقلت في خواطري : حكم غالبية الناس على حــدث لا يُــــعدّ دائمــاً معيــاراً مضطرداً ؛ إذ قد يكون لأكثرهم هوى [١] .

إن العُجب بالكثرة مذموم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآلــه وسلَّم .

قال عز وجل عن اليهود : ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ﴾ فرد عليهم بإعجابهم بحصونهم وشروكتهم .

قال جامعه : وتأمل فعل الله مع مَــن قال لــصاحبه ﴿ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ حيث ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾

وتأمل كذلك معاملته سبحانه للمسلمين حين قال قــائلهم فــي غــزوة حُــــنين مُــعجباً بكثرة عددهم " لن نهزم اليوم مِــن قلة " تلك الغزوة التي نزل فيهــا قولــه تعالى ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾

ثم تأمل معاملته تعالى لسيدنا موسى عليه السلام في التيه ، مكافأة لقولــه ﴿ لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ﴾ [٢] .

ولذلك كان من دعاء الحبيب المُــصطفى ﷺ إذا غزا: "**بك أحول وبك أصول**"[٣]

---

(١) وقد انتخب أكثر الألمان في القرن الماضي الحزب النازي ، وكاد الفرنسيون ينتخبون رئيساً عنصرياً .

(٢) ص ١٦٤ حال أهل الحقيقة مع الله .

(٣) هو حديث عن أنس رضي الله عنه ، بلفظ : كان رسول الله إذا غزا قال : " **اللهم أنت عضدي وبصري بك أحول وبك أصــول وبك أقاتل** " رواه أبو داود في السنن – ٢ / ٣٤٦ حديث رقم ٢٦٣٤ وقال : صحيح .

وأكثر مَـن يُـعجب بالكثرة يجهل أنه قد لا ينتفع بهم وقد يضرونه ، وقد قال الإمام عليّ – كرم الله وجهه – في صفة الغوغاء: "هم الَّـذين إذا اجتمعوا ضرُّوا ، وإذا تفرقوا نفعوا " [1].

بل إن أمثال هؤلاء كما قال القائل " كلما كثر الجراد طاب لقطـه وكلما كثر الذباب هان قتله " .

كما أنه لا نفع لهم ؛ وذلك على حد قول القائل "أسمعُ جعجعة ولا أرى طحناً ".

(١) نهج البلاغة ، صـ ٤٣٩ .

الاختيـــــار

قال الإمام العز بن عبد السلام في قواعده : " اعلم أن تقديم الأصلح فالأصــلح ودرء الأفسد فالأفسد مركوز في طبائع العباد نظراً لهم مــن ربِّ الأربــاب ، فلــو خيـّرت الصبيّ الصغير بين اللذيذ والألذ لاختار الألذ ، ولو خُيِّــر بــين الحَــسَن والأحسن لاختار الأحسن ، ولو خُــيِّــر بين فِلس ودرهم لاختار الدرهم ، ولو خُيِّر بين درهم ودينار لاختار الدينار ، ولا يقدم الصالح على الأصلح إلاَّ جاهل بفــضل الأصلح ، أو شقيّ مُتجاهل لا ينظر إلى ما بين المرتبتين من التفاوت " .

وقد سُــئل الإمام عليّ – كرَّم الله وجهه – : صف لنا العاقل ، فقال : **هو الذي يضع الشيء موضعه** ، فقيل : صف لنا الجاهل ، فقال : **قد فعلت** ؛ يعني أنه الــذي لا يضع الشيء موضعه[1] .

فالعاقل الحازم يتوقف حتى يرى ويُبصر، ويترقب ويتأمل ، ويُعيد النظر ويقــرأ العواقب ويُقدِّر الخطوات، ويُبرم الرأي ، ويحتاط ويحذر لئلا يندم.

لا يأخذ بالبوادر ولا يتعجل الحُكم، وإنما يُمَحِّص ما يــسمع ، ويُقلِّــب النظــر، ويُحادث الفكر، ويُشاور العقلاء ، فإن الرأي الخمير خيرٌ من الــرأي الفطيــر[2] ، وبهذا يُحسن الاختيار .

وفي الحديث : " ما تشاور قوم قط إلا هُدوا لأرشد أمرهم " [3].

وقد قيل : " **لا خاب مَــن استخار وما ندم مَــن استشار** " [4] .

---

(١) نهج البلاغة صـــ ٤٤٣ .

(٢) لا تحزن . د / عائض القرني . صـــ ٢٨٨ .

(٣) مصنف ابن أبي شيبة – كتاب الأدب باب المشورة (١٠/٩) رقم٢٦٨٠٠ .

(٤) المعجم الصغير للطبرانيّ ٢ / ١٧٥ ، وقال الهيثميّ : ضعيف – مجمع الزوائد ٨ / ١٨١ .

وإذا كان المرء يُمَحِّص الاختيار في امرأةٍ يتزوجها ، أو ســيارة يــشتريها ، أو أثاث منزلٍ أو أدواته ، بل وفي قميصٍ أو جَوربٍ يرتديه ، ويُكثر تقليب الأمر على وجوهه حَذراً من الخطأ ، أفيليق به ألاَّ يفعل ذلك عند اختيار من سيُمثله لمدة تطول أو تقصر؟! ، ولو اقتصر الأمر على هذا فحسب فلربما هان ، ولكنه سيُقر قــوانين ويُصدِّق على معاهدات، ويفحص تقارير ويراقب ميزانيات تتعلق بجميع الــشعب ، ويُحاسب مسئولين ، لا ريب أنه إن لم يُحسِن اختيارهُ : لم يكن ذلك جريمة في حق نفسهِ فحسب ، بل وفي حق عموم الشعب ، بل وجميع الأمَّــة .

السلبيـــة

قبل أن نتحدث عن أسباب السلبية فإننا ابتداء نلاحظ ارتفاع نسبة التصويت في الريف عن المدن ، فما سبب ذلك ؟ .

هناك تفسيرات محتملة ، **أولها** : أن هذا الارتفاع في نـسبة التـصويت غيـر حقيقي ، بسبب قدرة السلطة على التدخل في العملية الانتخابية ورفع نسبة المشاركة في التصويت – بمعرفتها – حيث تزداد صعوبة ذلك في المدن نتيجة لتركيز أجهزة الإعلام فيها أكثر من الريف .

أما التفسير الآخر ، فهو قدرة العلاقات القبلية في الريف على حشد عـدد مـن المواطنين " وتعبئتهم " للتصويت بالجملة لصالح العصبية والقبلية الأقوى . وهو ما يؤكد الارتفاع الكبير في نسبة التصويت في محافظات الحدود ذات التراث القبلـي . هذا برغم فشل أغلب قوى المعارضة من الامتداد بعملها السياسى إلى هناك ، بـل وعدم تمكن بعضها من إعداد قوائم له في هذه المحافظات . (١)

أما أسباب السلبية فمنها :

١ – الجداول الانتخابية والتي تُـعَدُّ أحـد الأسـباب الرئيـسية وراء ضـعف المُـشاركة السياسية .

وإن أهم مظاهر المُـشكلة هو إحساس المواطن بافتقاد مصير صوته ، وكثـرة الأخطاء الواردة في أسماء الناخبين ، وخلو الجداول من بعض الأسـماء ، الأمـر الذي يؤدي إلى حرمان الناخب من الإدلاء بصوته ، وقد مكثت أحداهن أكثـر مـن

---

(١) الانتخابات البرلمانية في مصر ، درس انتخابات ١٩٨٧ ، الطبعة الأولى ، ص ٤٧ .

أربع ساعات متصلة تنقلت خلالها بين أكثر مِــن سِـــت لجــان ، وعــادت دون الإدلاء بصوتها [١] .

ناهيك عن قيد اسم الناخب في أكثر مِن جدول ؛ مما يستتبع ظاهرة التــصويت المُــتكرر ، وعدم وجود عقاب على القيد المُــتكرر في الجداول . وهو ما يــؤدي إلى إحباط المواطن لفقدهِ حقاً مِن حقوقهِ الدستورية .

٢ – عدم إحساس البعض بأهمية رأيه ، واعتقادهِ أن النتيجة محسومة سَلفاً لصالح مُــرشح بعينه ؛ وبالتالي فإن صوتهُ لن يُــغير مِن الأمر شيئاً ، ولعل ذلك هو الذي يؤدي بعدد كبير من المواطنين إلى عدم المشاركة لمعرفتهم بأن التوازن السياسي في البلاد محسوم لصالح أحد الأحزاب (وهو عادة حزب السلطة التنفيذية) وأن كل ما تقوم به الأحزاب الأخرى هو محاولة تحسين أوضاع الأقلية في مواجهة الأغلبية[٢].

وأن الانتخابات شكلية وصورية وأن من تريد الدولة إنجاحه فسوف ينجح ، وأن الصناديق التى يدلي فيها بصوته يتم استبدالها بصناديق أخرى[٣] .

٣– ضآلة زمن الحملة الانتخابية واتساع الــدوائر الانتخابيــة بمــا لا يــسمح بالمعرفة الكاملة للمُــرشحين .

٤ – أحياناً يكون سبب السلبية هو أن الأسماء المطروحة للترشيح غير جديرة بثقة الناس .

٥ – ويعللها البعض بأنهُ لم يتعلم أهمية إبداء الرأي .. ولم يهتم أحد بتنمية ملكة التعبير عن الذات ولا القدرة على الاختيار بين البدائل المختلفة داخله ، فأصبح غير

---

(١) جريدة الجمهورية الصفحة الخامسة ١٥ من أغسطس ٢٠٠٥ م .

(٢) الانتخابات البرلمانية في مصر مرجع سابق ص ٤٧ .

(٣) مجلة التصوف الإسلامي صــ٢٣العدد٦ سنة ٢٢–جمادى الأخر ١٤٢١–سبتمبر ٢٠٠٠م .

مُــبالٍ ولا مُهتم بضرورة أن يكون له مواقف واضحة قاطعة مِن كل ما حوله مـــن أحداث وأشخاص وأفكار وأطروحات ، وأن من الناس مَن يجهل أبسط الأمور عـــن الانتخابات ، فكثير من النسوة سيما العجائز – مع كامل التقدير لهن – يطلبن مـــن القضاة الاختيار لهم ، وقد حدثني أحد القضاة وأقسم لي أنه في إحدى الانتخابات في القرن الحادي والعشرين سأل عجوزاً مُــسنة : مَن تنتخبين ، فقالت : جمـــال عبــد الناصر !!! ، وسأل مثله مثلها في انتخابات **برلمانية** عن مَــن تختــار ، فقالــت : " سيادة الريس " !!! ، ومنهن مَــن ظلت تنظر مَــلِـيــــــّـــاً إلى ورقة الترشـــيح وهي مغلقة ، رافعة إياها مقابل ضوء نافذة اللجنة ، ثم قامت بالتأشير مقابــل رمــز المرشح على ظهر ورقة التصويت !!! ، ناهيك عن أن كثيراً مِــن الناس يختــار – عن جهل – أكثر أو أقل من العدد المطلوب اختياره قانوناً في الانتخابات البرلمانيـــة مما يُبطل صوته ، أو يقع في إحدى حالات بطلان الصوت .

ويضيف البعض أنه مع هذا الخلل التربوي توجد هموم المعيــشة وضــغوطها وعدم توافر الوقت اللازم مما يمنع الناس في أحيان كثيرة مـــن القيـــام بواجبـــات يعرفون أهميتها [١] .

٦ – يُــعلل البعض ذلك بأن المشاركة السياسية سلوك حضاري راق ، فكيــف يُمكن ممارسته في مناخ تسوده والغوغائية والهمجية والانتهازية والابتزاز والتزوير والتسويد وشراء الأصوات [٢] ، كما أن سيادة البلطجة سواء مِــن الأفراد أو مِــن المُــنظمات تحول دونه والإدلاء بصوته ، ويتساءل هل يذهب إلى لجنة الانتخابات

---

(١) جريدة الجمهورية الصفحة الخامسة ١٥ من أغسطس ٢٠٠٥ م . وجريدة الأهرام المسائي الصفحة الأولى . العـــدد ٥٢٨٦ .

(٢) جريدة الجمهورية الصفحة الخامسة ١٥ من أغسطس ٢٠٠٥ م .

ليلقى مصرعه بطلقة طائشة أو يُطعن بمطواة أو سـكين[١] ، أو يُـضرب بعـصا كهربائية أو يُؤخذ إلى مكان لا يعلمهُ أحد .

٧ – وهناك مَن يرى أن انخفاض مستوى المشاركة في الانتخابـات البرلمانيـة يرجع بصفة أساسية إلى أن جزءاً كبيراً من " الأغلبيـة الـصامتة " لا تـرى فـي الأحزاب القائمة سواء الحزب الحاكم أو أحزاب المعارضة – أنهـا تعبـر عنهـا . ويربط هذا الرأي بين إطلاق حرية تكوين الأحـزاب الـسياسية ورفـع مـستوي المشاركة السياسية بشكل عام – ونسبة التصويت في الانتخابات بشكل خاص.[٢]

٨– وهناك مَـن يرى أن سبب ضعف المشاركة السياسية يعود إلـى ضـعف التنظيمات الوسيطة من جمعيات تطوعية وأندية ونقابات مهنيـة وعماليـة ، بعـد وضعها تحت وصاية الدولة ، وتحييدها سياسياً بشكل يكاد يكون كاملاً وذلـك مـن خلال انتخاب وزير أو وكيل وزارة أو أحد المنتمين الموالين للحزب الحـاكم نقيبـا لكل منها [٣] .

٩ – بعض النواب السابقين سبب سلبية الناخبين ؛ إذ أن مـنهم مَـن تعامـل مـع الانتخابات على أنها صفقة تجارية لا بُـدَّ أن يخرج منها رابحاً حتى لـو اضـطره الأمر للكذب والتدليس والتحايل[٤] ؛ فعدد كبير منهم خدعوا أبناء دوائرهم وسـرقوا أصواتهم ، وعندما جلسوا على المقعد الوثير تحت القبة اختفوا عن الأنظار وأداروا ظهورهم للجميع .. وبتكرار هذا الأمر أكثر من مرة فقد الناخب الدافع وعزف عن المشاركة[٥] ، خاصة مع تكرار عدم إمكانية وصوله إلى النائب ، فأرقام الهواتـف

---

(١) المرجع السابق .
(٢) الانتخابات البرلمانية في مصر ، مرجع سابق ص ٤٨ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٤٩ .
(٤) جريدة الجمهورية الصفحة الخامسة ١٥ من أغسطس ٢٠٠٥ م .
(٥) المرجع السابق .

التي كان يحملها خلال الحملات الانتخابية والتي كان يحرص على الرد عليها مهما قلَّ شأن المتحدث هذه الهواتف تتغير أرقامها بعد إعلان النتائج ولا يعرف الأرقـــام الجديدة إلا المقربون وأهل الحظوة [١] ، والمقار الانتخابيـــة التـــي كانـــت تـــضج بالحركة والنشاط أما إن تغلق أبوابها أو يبقى بها موظف هزيل عدم وجوده أفـــضل من وجوده ، وفي بعض الأحيان يكون النائب مقيما في مدينة خارج نطاق الـــدائرة التي يمثلها وهنا تتضاعف معاناة أهل الدائرة ولا يكون أمامهم سوى الندم ، مع أنه ﷺ قد قال : **(لا يُـــلدغ المؤمن مِـــن جُـــحر مرتين)**[٢] .

١٠ – يأس البعض مِن المُـــــستقبل ، ممـــا أدى إلـــى تفـــشى روح الـــسلبية واللامبالاة[٣] .

ولذلك يعزف البعض عن المُـــشاركة بل عن الثقافة السياسية لعـــدم جـــدوى أو أهمية الثقافة السياسية مِن وجهة نظره وذلك إما لسطحية تفكيره وإما لأنهُ لا يـــرى أي جدوى مِـــن الثقافة السياسية لعدم قدرتهِ على تغيير أيّ شيء فتتحوّل السياسة – مِـــن وجهة نظره – إلى مجموعة مِـــن مشاعر الإحباط والألم .

كتب نجيب محفوظ في إحدى الصُحف : قال الشاب إنك تحثُّني علـــى تـــسجيل اسمي في جدول الانتخابات ، باعتباره حقاً لي وواجباً عليَّ في آنٍ واحد ، فما معنى الانتخابات ، وما معنى الحقوق وما معنى الواجبات ؟ كلامٌ في كلام فـــي كـــلام ،

---

(١) **طرفة حقيقية** : خطب أحدهم في إحدى مؤتمرات الدعاية – وكان نائباً في السابق – فقال بحماس : " يجب أن يكون النائب مثل سيارة الإسعاف ؛ متى تطلبه تجده " ، فأجابه أحد الحضور بدهشة : وهل طلبت أيهـــا النائـــب ســـيارة الإسعاف مرة ، فقيل لك : الهاتف الذي طلبته غير متاح ؟ !! .

(٢)(حم ق د هـــ) عن أبي هريرة (صح) قاله ﷺ لمَّـــا جاءه رجُـــل في الأسر واشتكى إليه ضعفه وأولاده فعفا عنه على أن لا يقاتله مرة أخرى ، ثم قاتله مرة أخرى وجاء مأسوراً ، فأخذ يشتكي إلى رسول الله ﷺ فقالـــه . انظـــر جوامع الكلم ص ٤٠٠ .

(٣) جريدة الأهرام المسائي الصفحة الأولى . العدد ٥٢٨٦ .

إني يائسٌ تماماً ، متشائمٌ حتى النهاية ، لا ثقة لي في قولٍ أو فعــلٍ أو رجُــل ، أو حاضر أو تاريخ ، تعلَّمنا تعليماً ناقصاً ، وألحقت بعملٍ لا خير فيه لنفسي ولا للناس .. أو هو بطالةٌ مُقنَّعة كما تقول بصدق ، ولي مُرتبٌ لا يُشبع ولا يُغني ، ولا يحقق لي الاستقلال عن أسرتي المطحونة ، وأنا محرومٌ من مطالــب الحيــاة الأساســية كالزواج والمسكن ، وأعيش بلا أمل في عالمٍ كئيبٍ مُحاصرٌ بالقــذارة والــضجيج والانتهازيين واللصوص من جهة ، وبأصحاب الملايين العابثين من جهةٍ أخــرى ، في مجتمعٍ ظالمٍ باغ ، يُنادي بلسانٍ كاذبٍ بسيادة القانون والعدل ، ويمارس التفرقــة بين أبنائه بالمحسوبية والامتيازات ، هذا هو حالنا نحن الشباب، ولا يُستثنى منه إلاَّ من سانده الحظُّ بأبٍ غنيّ أو أم غنية ، أو من وجد في الخارج فرصة عمــل تغيــر موازينه ، فلا تُحدِّثني عن الانتخابات والحقوق والواجبات والغد الموعــود بالأمــل والفلاح[1] .

ويُــرجع بعضهم أسباب السلبية في المشاركة السياسية من جانب المــؤهلين الصالحين للترشيح إلى :

١ – تفضيل أهل الثقة على أهل الخبرة عند اختيار الكوادر الحزبية[2] .

٢ – عدم شعورهم بوجود تغيير كُــليّ في شكل ومــضمون العمــل الــسياسي يجعل مُــشاركتهم مؤثرة .

٣ – عدم إحساسهم بوجود مُرشحين أقوياء يحترمون أنفسهم ويحترمون عقليــة الناخب ، فلا يُــرشح أحدهم نفسهُ حتى يشعر أن العملية الانتخابية تتم في جوّ مِــن الحيدة والنزاهة ، وحتى تسود روح المنافسة الإيجابية والتسابق السياسي الــشريف

---

(١) جريدة الأهرام ١٦ من رمضان ١٤٠٧ هــ – ١٤/٥/ ١٩٨٧ م . عمود وجهة نظر .

(٢) جريدة الجمهورية الصفحة الخامسة ١٥ من أغسطس ٢٠٠٥ م .

بعيداً عن الممارسات التي لا تليق بمن سيكونون صوت الشعب حال نجــاحهم[١] . والذين لا همَّ لهم إلا سرقة أصوات الناخبين بأي طريقة دون أدنى اعتبار لا للقــيم ولا للأخلاقيات ولا حتى للقوانين[٢] فلهم أساليب بديلة يلجئون إليها بهــدف كــسب أصوات الناخبين ، بدلاً مِن الاعتماد على فكــر مُــــنظم ورؤيــة سياســية ثاقبــة للأوضاع السياسية والاقتصادية ، ومِن هذهِ الأساليب التعويــضية تظهــر ســلبيات الانتخابات ؛ مِن إثارة تصل إلى حدّ العنف ، ومِن عنف يصل إلى حدّ العدوان على حياة الأبرياء ، ومن افتراءات وأكاذيب إلى اتهامات مُــرسلة تستبيح كُــلّ قيمة مِن قيم المُــجتمع[٣] .

كما بدأ دخول مفردات جديدة إلى القاموس الانتخــابي فــي مــرات الانتخــاب الأخيرة لا يعرفها ولا يفهمها مَــن يصلح للترشيح مثل البلطجة والتــسويد وشــراء الأصوات وغيرها [٤] .

مما أكد للصالحين للترشيح بالتجربة العلمية أنه لا مكان لهم في هــذا الميــدان الذي يدار بأساليب لا تنسجم مــع تــركيبتهم النفــسية ولا تتناســب مــع مكــانتهم المرموقة[٥] .

يقول " جيفن أزلر " : إن كل هذه الأسباب تمثل في جوهرهــا حالــة مزاجيــة تعكس واقع انعدام الثقة في الحاضر واليأس من المستقبل[٦].

---

(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق .

(٣) جريدة الأهرام ص١ ، عن مقال لــ أ / أسامة سرايا ، ٢٥ مِن رمضان ١٤٢٦ هــ . ٢٨ مِن أكتوبر ٢٠٠٥م .

(٤) المرجع السابق .

(٥) المرجع السابق .

(٦) جريدة الأهرام المسائي الصفحة الأولى عن مقال ا /مرسي عطا الله . العدد ٥٢٨٦ .

لذلك فالعزوف ناتج عن إجمالي تضافر هذهِ العوامل مع بعضها البعض ، فعــدم شعور المواطن بالأمان أو الثقة أو المصداقية أو الشفافية في الانتخابات[١] . وغير ذلك يجعله عازفاً عن المشاركة .

لذلك نقول إننا بحاجة إلى رؤية جديدة من أجل تأمين العملية الانتخابية ؛ لأننــا إذا كنا نشكو من استمرار ظاهرة العزوف الجماهيري عــن المُـــشاركة بالنــسبة اللائقة والمُــرضية فإن علينا أن نوفر ضمانات كافية لأمن المواطن علـــى حياتــهِ وحريتهِ وممتلكاته مِن خلال قبول وتوافق بأن الدولة – والدولة وحدها – هي التـــي ينبغي أن تتحمل – بحكم ما تملكهُ مِن هيبة وسُــلطة – مسئولية التصدي لكــل مــا يعكر الاستقرار ويفتح الثغرات والمنافذ لبعض مظاهر الخــروج علــى الــشرعية والنظام العام .

كما يجب أن تطهر وسائل الإعلام من جميع مصادر الإفساد وأن توجــه نحــو التوعية الجادة للمواطنين ، وأن يتم إفساح مجال كاف للعلماء والــدعاة مِــن أجــل إصلاح الأمَّــة ، وأن يُــعاد النظر في التعليم عامة ، وفي التعليم الــديني بــصفة خاصة ، وأن يتم الضرب بيد مِن حديد على كُــلِّ رؤوس ومصادر الفــساد ، فــإن الَّــذي يستفيد مِن أخطائهِ تقلّ عثراته[٢] .

وكما يقول أحد الكُــتاب فإن العبرة في النهاية ليست بالشكل والإطار القــانوني والدستوري الذي ينظم عملية الانتخابات ، بقدر ما هو في المــشاركة الجماهيريــة التي هي وحدها المقياس الحقيقي لإرادة الاختيار الصحيح الذي يعبر عــن نــبض الناس وحقيقة توجهاتهم .

---

(١) أخبار البحيرة والأقاليم صــ ٣ .

(٢) الأهرام المسائي . الصفحة الأولى مقال أ/ مرسي عطا الله – العدد ٥٣٣٨ .

وإننا نؤكد على أنه يجب على المواطن أن يشارك مشاركة فعالة في التــصويت واختيار مُمَــثليه الأكثر تعبيراً عن مشكلاته وعلى تقديم الحلول العملية لها ؛ إذ أن مشاركة المواطن الفعالة في العملية الانتخابية تزيد مِن دوره ومُــشاركتهِ في صنع القرار بما يتخذه البرلمان مِن سياسات وتشريعات تؤثر على مجريات حياته(١) .
وقد قيل : " **مَــن عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل** " (٢) .

ولا شك أن تقاعس المجتمع عن ممارسة حقوقه السياسية يؤدي إلى نتائج سلبية عديدة أخطرها صدور تشريعات وقــرارات لا ترضـــي القاعــدة العريــضة مــن الجماهير (٣).

قال أفلاطون : إن مَن يعزف عن المشاركة السياسية فسيعاقب بمَــن هم غيــر مؤهلين وبمَــن لا يراعون مصالحه .

كما أن السلبية والتقاعس والتخلف عن الإدلاء بالتصويت الانتخابي هــي التــي تعطي الفرصة للتزوير والتلاعب بصوت المواطن ، ولا شك أنهُ مُحاسَب على هذا يوم الدين .

ولا يلومن حينها إلا نفسه ، وليس له بعد ذلك أن يشكو مِــن مرير الواقع أو أن يتحسر على رغدٍ مضى ؛ ومَن يختار اللافعل فلا يتوقع أن يستجيب أحد لمطالبه ، وفي المثل : بدلاً من أن تلعن الظلام أشعل شمعة .
قال أبو المهوش الأسدي :

لا أعرفنكَ بعد الموتِ تندبني ... وفي حياتي ما زودتني زادي(٤)

---

(١) أخبار البحيرة والأقاليم .مقال ا عبد اللطيف الفضالي – العدد ١٧٥ .
(٢) قيل إنه من قول الإمام السري السقطي رَحِمَهُ اللَّهُ .
(٣) جريدة الجمهورية الصفحة الخامسة ١٥ من أغسطس ٢٠٠٥ م .
(٤) حكايات الأمثال العربية ص ٧٥ .

فكثيراً ما يكون الحياد أو اللا موقف محسوباً على الشخص أكثر مِن الانحيـــاز نفسه .

قال جامعه : " مَــن لم ينتخب فسوف ينتحب " .

وهناك حكمة قديمة تقول " استأسد الحمل ... لما استنوق الجمل " – أي أن الحمــل الوديع الصغير الضعيف يستأسد ويتحول إلى أسد إذا ما رأى الجمل العملاق يتحول إلى " ناقة " وهى أنثى الجمل .

وقد قيل : إذا اجتمعت الفاكهة المعطوبة والسليمة أتلفت الأولى الثانية ولم تصلح الثانية الأولى .

ولا يستقيم فرش سجاد على أرض موجلة ، أو وضع عطر على ثوب عفــن – سيما إذا اتسع الرتق على الراتق – .

طرفة كويتية : ذهبَ رجُــلٌ لِــيشتري سَــمَــكاً ، فكان يشمُّ ذيــل الــسمك ، فسألهُ البائع : لِمَ تشمُّ الذيل ، والمُــفترض أن تشمّ الرأس لتعرف ؛ إذ الرأس هـــي التي تبيِّــن الفاسد مِن غيره ؟! . فقال : أنا أعرف أن الرؤوس كُــلَّـــــها فاســدة ، ولكني أشمّ الذيل لأعرف إلى أين وصل الفساد !! (١) .

قال جامعه : هذا على حدّ قول قائلهم :

وليلٌ يقول الناس مِن ظلماتهِ ... سواءٌ صحيحات العيون وعُورها (٢)

وقال المتنبي :

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره ... إذا استوت عنده الأنوار والظلم

---

(١) **وقد قيل** : ربما يضطر المرء أحياناً لاستئصال جزء من جسده ليظلّ حياً .

(٢) البيت مذكور في تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٢٠١ .

وقال المتنبي أيضاً :

مَن يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميتٍ إيلامُ

فالحق أنه لن ترقى شعوبنا إلى مصاف الأمـــم المتحــضرة إلاَّ إذا شـــاركت جماهيرنا في سياسة أوطانها ، ولم تبع أمورها لحفنة من الناس يلعبون بمـــصائرها كما يشاءون وهى بمعزلٍ عمَّا يجري ، كما قال الشاعر عن (تـــيم) :

ويقضى الأمر حين تغيب تَيم ولا يُستاذنون وهم شهودُ [1]

ولما كان من المعلوم يقيناً أن الكثير من الواجبات الشرعية يتوقف على إقامـــة خليفة أو إمام ، " **وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب شرعا** " ؛ لأن فـــي نـــصب الإمام (الرئيس) دفع ضرر ، وإزالة الضرر واجب شرعي على المسلمين ، يأثمون بعدم القيام به ، كما أن فيه أيضا جلب منافع للأمة الإسلامية ، وهو أيـــضاً واجـــب شرعى حتمى ، على الأمة كلها السعى لإدراكه[2] ، ومن أهم وسائل ذلك المبـــادرة إلى الاختيار الصحيح لأعضاء المجلس النيابيّ والذين سيختارون الإمام أو يراقبونه وعدم النكوص عن هذا الواجب الشرعي .

وإن آية : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ لا ترسي فقط قاعدة الشورى كأساس لكل مظاهر الحياة السياسية ، بل تعتبر الشورى جزءاً لا يتجزأ من أسلوب الحكم

(١) الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي . د / يوسُف القرضاوي صـــ ١٧٩ .

(٢) من معالم النظام السياسي في الدولة الإسلامية ، دراسة تاريخية حضارية مقارنة ، للدكتور/ صابر محمد دياب ، ص ٩٣ .

نفسه . وعلى ذلك فإن مهمة سن القوانين في الدولة ، لابد أن تُسند إلى مجلس شورى (تحت أي اسم كان) تنتخبه الأمَّــة [١].

أما امتناع المواطن عن الاختيار مُطلقاً بحجة عدم صلاحية جميع المُرشحين – مِن وجهة نظره – ، **أو مَن يقول** : لم ينفعني أحد ، فلن أذهــب ، فهــذا مَــثـــله مَثــل مَن يقول له خاطفي ابنه : إمَّا أن نقطع يده أو نقتله، فلو حدَّثتنا قطعنــا يــده فقط ، وإن لم تفعل قتلناه ، فيقول: لن أحدِّثهم ، وليكن ما يكون ، فلا شــك أن هــذا شديد الحمق .

وكذا مثله كمَثل من يُــقال له سوف يُحرق قيراطٌ من شمال أرضك أو فدانٌ من الجنوب ، ولِزرّ الإطفاء جهة واحدة ، أو سوف تغرق أرضك أو يُحرق زرعــك ، فأيهما ضررُّك أكثر فأمامك زرّ لمنع ما تختار منهما ، فلا يفعل ، ويقول : ليكن مــا يكون ، فهذا أيضاً لا شك في حُمقه .

وما أعظم قول الإمام عليّ – كرَّم الله وجهه – " ليس العاقل الذي يحتال للشرّ بعد أن يقع فيه ، ولكن العاقل الذي يحتال للشرّ ألاَّ يقع فيه " [٢] .

وعن هشام بن عروة عن أبيه : ليس الرَّجُــل الَّذي إذا وقع في الأمر تخلَّــص مِنه ، ولكن الرَّجُــل يتوقى الأمور حتى لا يقع فيها

وعن سُــفيان بن عيينة قال : ليس العاقل الَّذي يعرف الخير والــشرّ ، ولكــن العاقل الَّــذي يعرف الخير فيتبعه ويعرف الشرّ فيجتنبه[٣] .

---

(١) " محمد أسد منهاج الحكم في الإسلام ص ٨٩ " ، انظر : من معالم النظام السياسي في الدولة الإسلامية ، مرجــع سابق ص ١٢٠.

(٢) انظر المجالسة وجواهر العلم لأبى بكر الدينورى ١٤٦/١ حديث ٦٧٠ وعزاه لزياد .

(٣) العقل وفضله . مرجع سابق ص ٥١ .

وكما قيل في الأمثال فإن " الواقية خير مِن الراقية " [١].

ذلكَ أن من الأصول والقواعد الشرعية : **دفع الضرر ، ودفع الــضرر الأشــد بالضرر الأخف أو ارتكاب أخف الضررين .**

ولذلك قال بعض أئمة الصوفية : إن العارف هــو العــارف بزمانـــه، ولـــيس العارف هو الَّـــذي يُـــمَـــيِّـــز بين الخير والشرّ ، إنما العارف هو الَّـــذي يُمَـــيِّـــز بين أي الخيرين شرّ ، وأي الشرَّين خير .

ولعل هذا القول مأخوذ مِن قول عمرو بن العاص ﷺ :

" ليس العاقل الَّذي يعرف الخير من الشرّ ، وإنما هو من يعرف خير الشرَّين ".

وقد قال طُرفة بن العبد : " بعض الشرّ أهون من بعض "[٢] ، فإن لم يفعل فهو كالمستغيث من الرمضاء بالنار .

ونحن إذا نظرنا إلي نظام الانتخاب أو التصويت، فهو في نظر الإسلام **شـــهادة للمُرشَّح بالصلاحية ، ومَـــن تخلَّـــف** عن أداء واجبه الانتخابيّ حتى رسب الكفء الأمين ونجح من لا يستحق ممن لم يتوافر فيه وصف(القـــويّ الأمـــين) فقـــد كـــتم الشهادة أحوج ما تكون الأمَّة إليها ، وقد قال تعـــالى ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾ ، وقال ﴿ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾ [٣]

---

(١) حكايات الأمثال العربية مرجع سابق ص ٢١ .

(٢) وكما يقول أنيس منصور : نوعان مِن الناس : نوع يرضى بنصف الرغيف حتى يجيء الرغيف ، ونـــوع يُـــــريد الرغيف كاملاً وإلا فلا ! .

(٣) فتاوى مُعاصرة . د/ القرضاوي . مرجع سابق صـــ ٦٤٣ ، ٦٤٤ .

فلا تكتم الشهادة ولو وصلت يوماً أن تقول : **إن البقر تشابه علينـا** ، فـاختر أصلحها ، إذ **لا خير في الصمت عن الحُـكم ، كما أنه لا خير في القول بالجهـل ، كما أن** مُباشرة الحقوق السياسية واجب **لأن** اختيار الأكفأ واجب ، ولا يكون ذلك إلا بالتصويت ، و**ما لا يتم الواجبُ إلاَّ به فهو واجب** ، وقد رُوي (**مَـن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم)** [١] .

كذلك فلا شك أن هناك قتلٌ بالترك ، والمؤمن إيجابيّ ومبادر ، لا يرضى أن يكـون إمَّـعة .. ولا أن يكون في محل الدعة .

أما أن يقول شخصٌ : وهل صوتي هو الذي سيؤثر ، أو يقول إن الفـساد قـد باض وفرَّخ ، ولا أمل في أيّ إصلاح .

فأردُّ عليهِ بقولي : إن طغيان الفساد ليس مُسوغاً للهروب ، بل أدعى للمواجهة وكما قيل " ما لا يُـدرَك كُلُّه لا يُتـرَك كُلُّه " ، وتحويل الأرض السبخة أو كثيـرة الحشائش إلى أرضٍ طيبةٍ يستلزم جهداً كبيراً ولكنه يأتي بفائدةٍ ولو بعد مدة ، ولـو اخترنا الاختيار الصحيح لعُدم الفساد ، لأن مُمَـثـلي الشعب سـيحاربونه ، ولـو حِيل بينهم وبين الإصلاح بحلّ المجلس النيابي مثلاً ، لأجريـت انتخابـات جديـدة ولانتُخب نفس الأشخاص أو أمثالهم ، ومِـن ثم لا يجد أعداء الإصلاح بُـدّاً مـن الإصلاح ، قال تعالى ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ .

أما ترك الفساد على حاله ، والشكوى من الواقع ، والقول بأنه لا أمل فـي أي إصلاح ، فهذا عجزٌ وهوانٌ ويأس لا يليق بالمؤمن .

روى الإمام أبو داود بسنده عن عوف بن مالك رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قضى بـين رجلين ، فقال المقضي عليه لما أدبر : حسبي الله ونعم الوكيل ، فقال النبي ﷺ **(إن**

(١) الطبرانى في المعجم الأوسط عن حذيفة ٧/٢٧٠ ، حديث ٧٤٧٣ .

الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس[١] **، فإذا غلبك أمر فقل : حسبي الله ونعم الوكيل)** [٢].

فقد أنكر النبيُّ على الرَّجُل قوله (حسبي الله) مع أنه ذكرٌ لله ، ولكنَّها في هـــذا المقام لا تدل إلاَّ على العجز واليأس ، والمؤمن لا ينبغي أن يعجــز أو ييـــأس[٣] ، وفي الحديث الصحيح (**المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المـــؤمن الـــضعيف وفي كلٍ خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز**) [٤].

ونحن نرى أن علاج السلبية [٥] يكمن في أمرين رئيـــسين : **أولهمـــا** : زيـــادة الوعي الديني والثقافي المجتمعي ، **وثانيهما** : تحرير محاضر مُـــخالفات للامتنـــاع عن التصويت بدون عذر ، وتوقيع العقوبة المالية المُـــقررة لها بصورة تلقائية[٦] ؛ باعتبار هذا النكول في عمل وطني عام أمر ذو انعكاسات ضارة على صحة العملية الانتخابية وصدقها في التعبير عن إرادة الأمَّـــة ، فضلاً عن كـــون هـــذا الجـــزاء المادي أو الأدبي بمثابة علاج قانوني مشروع للظاهرة المؤسفة المُـــسَمَّاة بالامتناع عن التصويت [٧] و" **إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن** " [٨] .

(١) أي الفطنة وحُسن التصرف .

(٢) أبو داود في السنن ، ٣٤٨/٣ حديث ٣٦٢١ ، سنده ضعيف .

(٣) فتاوى مُعاصرة د / القرضاوي . مرجع سابق ج ٣ صـــ ٣٨١ .

(٤) مسلم ، ٥٦/٨ حديث ٦٩٤٥ .

(٥) لعل مقاطعة الانتخابات لتحقيق غرض سياسي تحتاج إلى مزيد نظر وتأمل .

(٦) ولا بُـــدَّ من الأمرين معاً ، وإلا لو اكتفينا بتطبيق الغرامة فحسب ، لحضر بجسمه فقط وأُـــبطل صوته ؛ ومن ثم يفوت المقصود من حضوره .

(٧) العملية الانتخابية في الدول الديمقراطية والمذاهب السياسية والاقتصادية والاجتماعية المُـــعاصرة . د / مُـــصطفى محمود عفيفي ص ٥٥ .

(٨) عن عُـــمر بن الخطاب ﷺ قال : " **لما يزع الله بالسلطان أعظم مما يزع بالقرآن** " رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٤ / ١٠٧ ط ابن كثير .

وقد نص المرسوم بقانون رقم ١٢٤ لسنة ٢٠١١ م بتعديل بعض أحكام القانون رقم ٧٣ لسنة ١٩٥٦ م بتنظيم مباشرة الحقوق السياسية على أن :

مادة ٤٠ : (يعاقب بغرامة لا تجاوز خمسمائة جنيه من كان اسمه مقيدا بقاعدة بيانات الناخبين وتخلف بغير عذر عن الإدلاء بصوته فى الانتخاب أو الاستفتاء) .

ويقيني أنه لو طُبِّقت الغرامة على من يتخلف عن مباشرة الحقوق السياسية لما تخلَّف أحد – إلا ما ندر – ؛ لِما سيلحقهُ من ضرر ، أما من يعضه الباطل لفساد مُمثله فلا يبالي من يكون ولا ماذا يفعل ، فالحق أن مثل هذا شيطانٌ أخرس ، وهو محاسبٌ يوم القيامة على ذلك .

ذلك أن السلبية كما بيَّــنا جريمةٌ كبرى وطامةٌ عظمى .

كما السلبية تجُــرّ الوبال على الأمَّة كلها ؛ لأنهـــا تـــؤدي إلـــى تـــولِّي غيـــر المُـــستحق ، مما ينذر بعقوبة عامة ، **قال تعالى** ﴿ **وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً** ﴾ .

وهذه السلبية هي التي عانى منها الإمام عليّ– كرَّم الله وجهه– ويبـــين ذلـــك مِـــن قوله في إحدى خطبه :

" أما والذي نفسي بيده ليظهرن هؤلاء القوم عليكم ، ليس لأنهم أولـــى بـــالحق منكم ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم ، وإبطائكم عن حقي ، ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رُعاتها ، وأصبَحتُ أخاف ظلم رعيتي ... أيها الشاهدة أبدانهم ، والغائبة عقولهم ، المختلفة أهواؤهم ، المبتلى بهم أمـــراؤهم ، صـــاحبكم يطيـــع الله وأنـــتم

تعصونه، يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها ، كلما جُمعت من جانـــبٍ تفرقـــت مـــن جانب آخر "[١] .

وقال في خطبةٍ أخرى: " **أيها الناس لو لم تتخاذلوا عن نصر الحق ولم تهنو عن توهين الباطل لم يطمع فيكم من ليس مثلكم ، ولم يقوَ من قوى عليكم** " .

وقد ضجر الإمامُ عليّ – كرَّم الله وجهه– من هؤلاء السلبيين ، فقال في إحدى خُطَبه :

" اللهم أيما عبد من عبادك سمع مقالتنا العادلة غير الجائرة ، والمُـصلحة فـــي الدِّين والدنيا غير المُفسدة ، فأبى بعد سمعه لهـــا إلاَّ النكـــوص عـــن نُـــــصرتك ، والإبطاءُ عن إعزاز دينك ، فإنا نستشهدك عليه بأكبر الشاهدين شهادة ، ونستـــشهد عليه جميع من أسكنته أرضك وسماواتك ، ثم أنت بعدُ المُغني عن نصرته ، والآخذ له بذنبه "[٢] .

كذلك فقد عانى منها ولده الحسين بن عليّ ﷺ حين قيل له : "القـــوم قلـــوبهم معك ولكن سيوفهم عليك " [٣] .

والسلبية لها وجهٌ آخر : وهو أن يستشيرك أحد الناس فيمن هو أجدر بـــصوته وأكفأ لاختياره فلا تجيبه خوفاً من أن يغضب أحـــد منـــك أو عليـــك ، أو لـــشبهة عرضت لك لظنك أن الحق يحاسبك عن نفسك فحسب ، أو أن كل أحد حـــرٌّ فـــي اختياره ، أو لكراهيتك للغيبة .

(١) نهج البلاغة . مرجع سابق صـــ ١٣١ ، ١٣٢ .
(٢) المرجع السابق صـــ ٢٨٨ .
(٣) قيل إنه من قول الفرذدق له .

فأجيبك فضلاً عمَّا سبق ، بما قاله الإمام أحمد بن إدريس في العقد النفيس،عن ما رُوي (**ثلاثة لا تحرم عليك أعراضهم : المجاهر بالفسق ، والمبتدع ، والإمــام الجائر)** (١) :

قال : المُراد أن لا يتخذ الناس أعراضهم فاكهة يتفكهون بها ، ولكن إذا أحــوج الحال إلى ذلك كأن يستشيرك المُستشير فتقول له مثلاً : لا تزوج فلاناً ، فإن بحــث وراجعك لأي شئ أشرت عليه ألاَّ يُزوجه فتقول : هو يفعل كذا ، لقــول النبــي ﷺ حين استشارته امرأة من الصحابة أن قد خطبها فلاناً وفلان ، فقال ﷺ **(أمَّــا فــلان فصعلوك وأمَّا فلان فإنه لا يضع عصاه عن عاتقيه)** (٢) .

وأعظم من ذلك خطراً – فيما أرى – اختيار مَــن يُمثــلــك وأهل دائرتك .

ولا شك أن هذا دلالة على الخير ، و(**الدال على الخير كفاعله**) كما قال **اللجيج بن سيف اليربوعيّ** .

كذلك فإن إعطاء الصوت لمُرشح ما: شهادة بأنه رجلٌ صــالحٌ ، قــويٌّ أمــين، **ومن شهد لغير صالح بأنه صالح** ، فقد ارتكب كبيرة شهادة الزور، وهي مِن أكبــر الكبائر نهى اللهُ تعالى عنها وحرَّمها في كتابهِ الكريم مع نهيهِ عن عِـبادة الأوثــان فقال﴿ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴾ فقرنها بالشرك بالله .

وروى البخاريُّ ومُــسلِم عن أبي بكرة قال : قال رســول اللهِ ﷺ **(ألا أنبــئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : الإشراك بالله وعقوق الوالــدَين ،**

(١) الإمام ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الغيبة والنميمة ١٠٤/١ حديث ٩٧ عن الحسين مرفوعا .

(٢) حديث صحيح رواه الإمام أحمد ح ٢٧٣٧٤ بلفظ **(أمَّا مُعاوية فعائل لا مال له ، وأمَّا أبو جهم فإنهُ رجُــل لا يضع عصاهُ عن عاتقه)** .

وكان مُـــتكئاً فجلسَ وقال : ألا وقول الزور وشهادة الزور ، فمـــا زال يُـــــكررها حتى قلنا : ليتهُ سَــكت)[1] .

دلَّ الحديث على أن شهادة الزور مِن أكبر الكبائر ، ولذلك اهتمَّ الرسول ﷺ بها فجلسَ بعدَ أن كان مُـــتكئاً تعظيماً لِحُـــرمتها وتأكيداً لِقبحها ؛ ذلك لأن شهادة الزور أسهل وقوعاً على الناس ، والتهاون بها والتعاطي لها أكثر ممَّـــا ذكر معهـــا مِـــن الكبائر الأخرى ؛ فإن الإشراك ينبو عنهُ قلب المُـــسلم ، والعقوق ينـــصرف عنـــهُ الطبع ، أمَّـــا الزور فالحوامل عليهِ كثيرة ؛ كالعداوة والحِقد والحَسَد وغيرها فاحتاج إلى الاهتمام به ، وليس ذلك لِعِظمهِ بالنسبة إلى ما ذكر معهُ مِن الشِـــرك قطعـــاً ، بل لكون مفسدتهِ مُـــتعدية إلى الغير ، بخلاف الإشـــراك فإن مفسدتهِ مقصورة عليهِ غالباً [2] .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ : قال الإمام أحمد بـــن إدريس " يعني لا يشهدون في إبطال حق أو إحقاق باطل "[3] .

ومن شهد لمُرشح بالصلاحية لمُجرد أنه قريبه أو ابن بلده ، أو لمنفعة شخصية يرتجيها منه ، فقد خالف أمر الله تعالى ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ﴾ ، وقوله سبحانه: **{ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى }** .

والإسلام كما ينهى المُسلم أن يكون ظالماً ، ينهاه أن يكون عوناً لظالم ، ومـــن أعان ظالماً كان شريكاً له في الإثم ، قال تعالى ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ .

---

(1) البخارى ٥/٢٢٢٩ ، حديث ٥٦٣١ .

(2) أدلة الإثبات في الفقه الإسلامي ص ٢٦٧ بتصرف يسير .

(3) العِقد النفيس . مرجع سابق صـــ ٤٨ .

فاعتبر مجرد الركون – أي الميل إلي الظالمين – سبباً لِمَسِّ النار وعذاب النار، وحرمان الولاية والنُصرة من الله تعالى ، فما بالكم بمن يعطي صوته للظالم الجبار مؤيداً له ومعيناً له على النجاح والله تعالى يقول ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ وهو يسعى في فلاحهم ، والله يقول ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ، ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ وهو بالتصويت له يعلن عن حُبِّــه وتأييده لهم [1] .

(١) فتاوى مُعاصرة . د / القرضاوي . مرجع سابق ج ٣ صـــ ٦٨١ .

قاعــدة جليلــة

يجوز نصب المفضول مع وجود الفاضل خوف الفتنة وألاَّ يستقيم أمر الأمَّــة ، ويدل لذلك عِلم عُمَر وسائر الأمَّــة بأن السِتة منهم فاضلٌ ومفضول ، وقد أجاز العقد لكل واحد منهم إذا أدى المصلحة إلي ذلك واجتمعت كلمتهم عليه من غير إنكار أحدٍ عليهم .

وفي المثل : " مَن أخصب تخيَّر " وفي لفظ " تحيَّر " .

قال جامعه : وإذا لم يوجد إلاَّ المُفسدين اخترنا أقلهم فــساداً ، لأن هــذا هــو المتاح ، قال تعالى ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾.**ومن القواعد الكُــليَّــة قاعدة : درء أعظم المفسدتين وجلب أعظم المصلحتين .**

ولذلك قال بعض السلف الصالح " **خذ ما صفا ودع ما كدر**" .

ويشهد لذلك أن أول ما قدَّم به عُمَر بن عبد العزيز وُلاته للناس هــذه الكلمــات الأمينة :-

" إني قد ولَّيتُ عليكم رجالاً ..لا أقول إنهم خياركم ، ولكنِّي أقول إنهم خيرٌ ممَّن هم شرٌ منهم **!!** "(1).

ويصدق ذلك قول الشاعر :

ومَن ذا الّذي ترضي سجاياه كلها ... كفى بالمرء نبلاً أن تعدَّ معايبه (2)

---

(1) خلفاء الرسول . مرجع سابق صـــ ٥٥٩ .

(2) أدب الدنيا والدين ص ١٧٤ مشار إليه بموسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ ، المجلد السادس، ص ٢٣٦٤ . ورُوي أن القائل هو : بشار بن بُرد ، ولفظ البيت :

ومَــن في الناس تصفو مشاربه ... كفـــى بالمرء نبلاً أن تعد معايبه

ورُوِي بلفظ : **إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ... ظمئت وأي الناس تصفو مشاربـــه**

ولم يُسَم قائله .

وقال النابغة الذبياني :

ولست بمستبقٍ أخا لا تلمه   على شعثٍ أي الرجال المُهذبُ [١]

وقد قال الإمام الذهبى :

" الكمال عزيز ، وإنما يُمدح العالم بكثرة ما له مـن الفـضائل ، فـلا تـدفن المحاسن لورطة ، ولعله رجع عنها ، وقد يُـغفر له باستفراغه الوسع فـى طلـب الحق ، ولا قوة إلا بالله " [٢] .

فالعاقل لا يؤاخذ بسبب زلة ، سيما إذا كانت يسيرة أو كانت صادرة من شخص له فضل ؛ قال الشاعر :

وإذا الحبيـب أتى بذنب واحـد   جـاءت محاسنه بألف شفيعِ

وقال آخر :

فإن يكن الفعل الذي ساء واحد   فأفعاله اللاتي سررن ألوف [٣]

وقال ثالث :

في وجهه شافع يمحو إساءته   من القلوب ويأتي بالمعاذيرِ [٤]

---

(١) ذات المرجع السابق .

(٢) راجع نزهة الفضلاء ١١٧٨ ، السير ٢٨٣/١٦-٢٨٥ من ترجمة القفال الشاشى) مجلة التصوف الإسلامي صـ ٢٤ العدد ٢٩٨ السنة ٢٥ – شوال ١٤٢٤- ديسمبر ٢٠٠٣

(٣) زهور من بستان الحب ، مرجع سابق ص ٥٠ .

(٤) ساعة مع العارفين ص ٣٧ .

ولذا نجد الفقهاء يُجيزون للفرد المسلم والمجتمع المسلم النزول للضرورة مـــن الأعلى إلي الواقع الأدنى حتى لا تتعطل مصالح الخلـــق ، ولا تـــضيع حقـــوقهم ، ويذهب دينهم ودنياهم ،

مثال ذلك: إجازة شهادة الفاسق إذا لم يوجد العدل الذي هو الأصل في الـــشهادة وإجازة ولاية القاضي المُقلِّـــد إذا لم يوجد القاضي المُجتهد الذي هو الأصـــل فـــي تولِّـــي القضاء ، **ومثله** الإمام (رئيس الدولة) ، فالأصل فيه أن يكون مُجتهـــداً ، ولكنهم أجازوا إمامة المُقلِّـــد ، بل الجاهل على أن يستعين بأهل العلم ، **قـــال فـــي بدائع السلك** : " جرياً على قاعدة مُحمد بن الحسن: إذا ضاق الأمـــر اتسع " .

وكذلك إجازة الجهاد مع البارّ والفاجر ، مع أن الأصل هو البارّ الصالح ، سُئل الإمام أحمد عن أميرٍ قويّ ولكنَّه فاجر ، وآخر صالح ولكنَّه ضعيف ، مـــع أيِّهمـــا يُجاهد ؟ ، فقال ﷺ " أمَّا القويّ الفاجر ففجوره على نفسه وقوَّته للمـــسلمين ، وأمـــا الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين ، يُجاهد مع القويّ وإن كان فاجراً " وهي نظرةٌ واقعية من هذا الإمام (١) .

وقال بعض العلماء : إذا لم نجد في جهةٍ إلاَّ غير العدول أقمنا أصلحهم وأقلهـــم فجوراً للشهادة عليهم ، ويلزم مثل ذلك في القضاة وغيرهم لئلا تـــضيع المـــصالح وتتعطل الحقوق والأحكام ، فإن التكليف مـــشروطٌ بالإمكـــان ، وإذا جـــاز نـــصب الشهود فسَقة لأجل عموم الفساد جاز التوسع في الأحكام السياسية لأجل كثرة فـــساد الزمان وأهله ، وقد قال عُمَر بن عبد العزيز : " **يحدث للناس أقـــضية بقـــدر مـــا أحدثوا من الفجور** " ، **قال القرافيّ** : ولا نشك أن قضاة زماننا وشهودهم وولاتهـــم وأمناءهم لو كانوا في العصر الأول ما وُلُّـــوا ولا عُرِّج عليهم ، وولاية هؤلاء فـــي مثل ذلك العصر فسوق ، فإن خيار زماننا هم أراذل ذلك الزمان ، وولايـــة الأراذل

---

(١) فتاوى مُـــعاصرة د/ يوسف القرضاوي . مرجع سابق . ج ٣ صـــ ٤٣ .

فسوق ، فقد حسن ما كان قبيحاً ، واتسع ما كـان ضيِّـقاً ، واختلفـت الأحكـام باختلاف الأزمان [(١)] .

وصدق رسول الله ﷺ **(إن الله ليُؤيدُ هذا الدِّين بقومٍ لا خَلاق لهم)** [(٢)] .

كذلك قال ﷺ **(إن الله ليُؤيدُ هذا الدِّين بالرَّجُـل الفاجر)** [(٣)] .

وقد جاءت نصوص الفقهاء في المذاهب السُنِّـية الأربعة بجواز شهادة الفاسق إذا ما تعذر توفر شروط العدل في قومٍ أو طائفة .

يقول الكمال بن الهُمام الحنفي : إن العدالة بمعناها الحقيقي قل أن تتحقق فـي شخصٍ في هذا الزمان ، فتتعطل الأحكام وينسدُّ باب الحكم لو لزم اعتبارها ، وفـي هذا حرجٌ ومشقة ، فيجب أن يكون ذلك بحسب الإمكان إذا وُجد العدل .

ويقول القرافي المالكي في الذخيرة في باب السياسة الشرعية : نـصَّ بعـض العلماء على أنه إذا لم نجد في جهةٍ إلاَّ غير العدول أقمنا أصلحهم وأقلَّهـم فجـوراً للشهادة عليهم ، ويلزم ذلك في القضاة وغيرهم لئلا تضيع المصالح ، **قـال** : ومـا أظن أحداً يُخالف في هذا ، فإن التكليف شرط في الإمكان ، هذا كله للضرورة لـئلا تُهدر الأموال وتضيع الحقوق وتتعطل الحدود .

ويقول الرمليّ الشافعيّ في نهاية المحتاج : اختار جمعٌ من الـشافعية أنـه إذا فقدت العدالة وعمَّ الفسق قضى الحاكم بشهادة الأمثل فالأمثل للضرورة .

ويقول ابن القيِّم الحنبليّ : إذا كان الناس فُسَّاقا إلاَّ القليل النادر قبلـت شـهادة بعضهم على بعض ، ويُحكم بشهادة الأمثل فالأمثل ، وهذا هو الصواب الذي عليـه العمل .

---

(١) المرجع السابق . ج ١ صـ ٥٩٢ .

(٢) أخرجه النسائى في السنن الكبرى من حديث أنس بإسنادٍ جيِّـد ٥/٢٧٩ ، حديث ٨٨٨٥ .

(٣) متفق عليه من حديث أبي هُريرة ، ففي البخاري ٣/١١١٤ ، حديث ٢٨٩٧.

واجب الاختيار الصحيح

قال الإمام عز الدِّين بن عبد السلام في قواعده : " الضابط في الولايات كلهــا تقديم الأقوى لجلب مصالحها ودرء مفاسدها ، فيُقدَّم الأقوى بأركانها وشرائطها على الأقوى بسُنَنها وآدابها " (١) .

فواجب صاحب الصوت أن يُدلي بصوته ، وأن يمنح صــوته للأكفــأ والأكثــر إخلاصاً، فهذه بداية الإصلاح ، أما إعطاء الصوت لمن لا يستحق فهو كفرٌ بالنعمة؛ إذ أن مقدرة الشخص على الإدلاء بصوته نعمة ، وقد قال الإمام علــيّ– كــرَّم الله وجهه– " **أقل ما يلزمكم لله أن لا تستعينوا بنِعَمه على معاصيه** " ، وقــال الإمــام الجُــنيد: " **الشكر أن لا يستعين العبد بنِعمته تعالى على معصيته** " (٢).

وتأمل : قول أبو بكر الصدِّيق ﷺ وهو يجودُ بنفسهِ : أجلسوني ، فــأجلس ﷺ فقال : لئن سألني ربِّــي عن تفويضي أمــور المُــسلِمين إلــى عُمَــر لأقــولن : استخلفت على أهلك خير أهلك (٣) .

بل قد يكون طريق النجاة لبعض المُقصرين باستعمال التقاة ، كما قال مُحمد بن عليّ بن شافع : " **إني لأرجو أن يُدخل الله سليمان بن عبد الملك الجنة باســتعماله عُمَر بن عبد العزيز** " .

---

(١) بدائع السلك في طبائع الملك ج ٢ صـــ ٥٣ .

(٢) البرهان المؤيد للإمام الشيخ أحمد الرفاعيّ ص ٢٦ . و ذكره أبو الحسين بن أبي يعلى في طبقات الحنابلة ١٢٧/١ .

(٣) رواه ابن أبى شيبه في مصنفه ، بلفظ : لما حضرت أبا بكر الوفاة أرسل إلى عُــمر ليستخلفه ، قال : فقــال النــاس أتستخلف علينا فظاً غليظاً ، فلو ملكنا لكان أفظ وأغلظ . ماذا تقول لربك إذا أتيته وقد اســتخلفته علينــا ، قــال : " **تخوفونني بربي ، أقول : اللهم أمَّــرت عليهم خير أهلك** " ٣٥٨/٦ ، حديث ٣٢٠١٣ ، وانظر خلفاء الرســول ج ١ صــ١٠٣ ، ١٠٤، ورواها بعضهم بلفظ : أن الناس قالوا له : ماذا ستقول إذا سألك اللهُ عن استخلافك عُــمَر علينا ، وقد ترى غِــلظتهُ وأنت فينا؟ فقال ﷺ : " **أجلسوني ، أبالله تخوفوني ؟! خابَ مَن تزوَّدَ في أمركم بظلم ، أقــول : استخلفتُ عليهم خير أهل الأرض** " .

إن الاختيار الخاطئ يجعلنا نُفرِّق بين المُسلم الذي يحمله الإسلام والمُسلم الــذي يحمل الإسلام ، فمسلموا اليوم يحملهم الإسلام عبئاً على ظهره ، بينما المسلم هــو الذي يحمل الإسلام فكرة واضحة في رأسه وعقيدة راسخة في قلبه ، فــلا يعطــي صوته لمن لا يستحق لعلمه اليقيني أن المُفسد يضرّه عاجلاً أو آجلاً ، في الحال أو في المآل وإن ظنَّ المُرتابون غير ذلك ، والشواهد على ذلك كثيرة ، ولكن لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد .

وإنني أؤكد أن الاختيار الصحيح هو الطريق الوحيد للإصلاح ولــو جزئيــاً أو مرحلياً .

وهذه فرصتنا قد سنحت ، وسنُـــسئل عنها أمام الله يوم القيامة ســيما بعــد أن أصبح هناك إشرافٌ قضائيّ كامل .

الاختيار لا يكون بالمظاهر الجوفاء أو الدعاية الكاذبة

عن سهل بن سعد الساعديّ ﷺ قال : مرَّ رجلٌ على النبيّ ﷺ فقـال لرجُـل عنده جالس : **ما رأيك في هذا ؟** ، **فقال** : رجُلٌ من أشراف الناس : هذا والله حَرِيٌّ إن خطب أن يُنكح ، وإن شفع أن يُشَفَّع ، فسكت رسول الله ﷺ ، ثم مرَّ رجلٌ آخـر فقال رسول الله ﷺ : **ما رأيك في هذا ؟** فقال : يا رسول الله هذا رجلٌ مـن فقـراء المسلمين ، هذا حَرِيٌّ إن خطب أن لا يُنكح ، وإن شفع أن لا يُـشَّـفع ، وإن قـال أن لا يُسمع لقوله، فقال رسول الله ﷺ : "**هذا خيرٌ من ملء الأرض مثل هذا** " !! . مُـتفق عليه [(١)] .

أخي القارىء : يلفت النبيّ ﷺ نظرنا في هذا الحديث إلى جوهر الأشياء دون ظواهرها ، ويزن الأشياء بميزان التقوى ، كما قال في حديثٍ آخر صحيح : " **رُبَّ كاسيةٍ في الدنيا ، عاريةٍ يوم القيامة** " [(٢)].

وهذان رجُلان : **أحدهما** : شريفٌ في قومه ، مُنعَّـمٌ في الدنيا ، له كلمة ومكانة عند الناس ، **والآخر** : عكسه : وضيعٌ في قومه ، فقير الحـال ، رَثّ الهيئـة ، لا يُؤبهُ له ، **والميزان عند الناس** : أن قيمة المرء تكون : في حسبه، في نسبة ! ، في منصبه ، في ماله ، في جماله وأسماله ، **أما الميزان عند الله** : فإن قيمـة المـرء تكون في : تقواه وإيمانه ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾

(١) البخاري ٥ / ١٩٥٨ ح ٤٨٠٣ – الفتح ١١ (٦٤٤٧) ، موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ ، المجلد الحادي عشر ، ص ٥٣٧٤ .

(٢) البخارى ، ٢٢٩٦/٥ حديث ٥٨٦٤ .

وقد قال الإمام عليّ– كرَّم الله وجهه – : " **قيمة كل امرئ ما يُحسنه** " [1] .

كما قيل فإن : قيمة المرء تعلو ليس بثيابه ، بل بثوابه ، ولــيس باختيالــه بــل بأفعاله[2] .

ومِن هنا فإنَّ عِلم كُل إنسان أو أدبه أو عبادته أو كرمه أو خُلُقه هو في الحقيقة قيمته ، وليست صورته أو هندامه أو أرضه ﴿ وَلَعَبۡدٌ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٌ مِّن مُّشۡرِكٍ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ ﴾ .

وفي الحديث : " **إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم** " [3] .

وفي رواية : (**إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم**) [4] .

---

(1) شذرات الذهب لابن العماد ٦٤/٢ . وقد رُوي عنه ﷺ شعراً :

وقدر كل امرىء ما كان يحسنهُ	**وللرجال على الأفعال أسماءُ**
وضدُّ كل امرىء ما كان يجهلهُ	**والجاهلون لأهل العلم أعداءُ**

انظر ديوان الإمام عليّ ، مرجع سابق ص ٧٤ .

(2) مجلة الرسالة ، ص : ٦١ ، السنة السابعة ، العدد : ٢٦ .

(3) أخرجه السيوطيّ ورمز إليه بالصحة بعد أن عزاه إلى مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة (انظر الجــامع الــصغير : حديث ١٨٣٢ ، ١١٤/١ ، وانظر أيضاً نوادر الأصول : ٩٥/٤) ، ونقله الغزاليّ بلفــظ : " **فــإني لا أنظــر إلــى صوركم ولا إلى محاسنكم ، ولكن أنظر إلى قلوبكم** " (انظر المواعظ في الأحاديث القدسية : ص ١٠٠) بيان فضل خيار الناس ص ٩٣ وهامشها .

(4) أخرجه مسلم (٤٦٥٠) ، والإمام أحمد في مسنده (٤٩٣) ، والطبراني في الكبير (٣ / ٤٧٨) ح ٣٣٧٨ ، وفي مسند الشاميين (١٦٥٢) والبيهقيّ في الشعب (١٠٠٨٨) ، وابن حِــبَّــان في صحيحه (٢ / ٢٧٨) ح ٣٩٥ . انظر نثر الدر وبسطه في بيان كون العلم نقطة ، هامش صفحة ٤٦ .

وعن أنس ﷺ أن رجُــلاً من أهل البادية اسمه زاهر كان يهدي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ... وقال عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم : **زاهر باديتنا ونحن حاضرته** ، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجهزه إذا أراد الخروج إلى البادية وكان زاهر دميم الخلقة فأتاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يبيع شيئا له في السوق فاحتضنه من خلفه ، فقال له : مَن هذا ؟ أرسلني ، والتفت فعرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : **من يشتري مني هذا العبد** ؟ وجعل هو يلصق ظهره بصدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويقول : إذا تجدني كاسداً ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : **ولكنك عند الله لست بكاسد**(١) .

وقال عن سيدنا جُليبيب ﷺ والذي كان فقيراً وفي وجهه دمامة - : " **غير أنــك عند الله لست بكاسد** " ، وبعد أن كان خرج في غزوة وفُــقِد ، قال ﷺ : **ولكننـــي أفقد جُليبيبا .. فقوموا نلتمس خبره** ، فقاموا وبحثوا عنه في ساحة القتال وطلبــوه مع القتلى ثم مشوا فوجدوه في مكان قريب إلى جنب سبعة من المشركين قد قــتلهم ثم غلبته الجراح فمات ، فوقف النبي ﷺ على جسده المقطع ثم قال : " **قتلــتهم ثــم قتلوك أنت مني وأنا منك ، أنت مني وأنا منك** " (٢) .

---

(١) ابن حجر العسقلاني في الإصابة: ٥٤٢/١ والحديث صحيح .

(٢) ذكره الألباني في " أحكام الجنائز " وقال ": أخرجه مسلم .. والسياق له ، والطيالسي ... ، وأحمد .. ، والبيهقــي ."
وتفصيل القصة قال أنس بن مالك ﷺ : كان رجل من أصحاب النبي ﷺ يقال له جُليبيب ، كان في وجهــه دمامــة وكان فقيراً ويكثر الجلوس عند النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ ذات يوم : **يا جُليبيب ألا تتزوج يا جُليبيب؟** فقــال : يــا رسول الله ومن يزوجني يا رسول الله؟! فقال رسول الله ﷺ : **أنا أزوجك يا جُليبيب.** فالتفت جُليبيب إلــى الرســول فقال: إذاً تجدُني كاسداً يا رسول الله.. فقال الرسول ﷺ: **غير أنك عند الله لست بكاسد** ، ثم لم يزل النبي ﷺ يتحين الفرص حتى يزوج جُليبيا فجاء في يوم من الايام رجلٌ من الأنصار قد توفي زوج ابنته فجاء إلى النبي ﷺ يعرضها عليه ليتزوجها النبي ﷺ فقال له النبي : **نعم ولكن لا أتزوجها أنا !!** فرد عليه الأب : لمن يا رسول الله! فقال ﷺ: **أزوجها جُليبيبا** .. فقال ذلك الرجل: يا رسول الله تزوجها لجُليبيب ، يارسول الله إنتظر حتى أستأمر أمها!! ثم مضى إلى أمها وقال لها أن النبي رسول الله ﷺ يخطب إليك ابنتك قالت : نعم ونعمين برسول الله ﷺ ومن يَــرُدّ النبي ﷺ .. فقال لها : إنه ليس يريدها لنفسه!!... قالت : لمن ؟ قال : يريدها لجُليبيب!! قالت : لجُليبيب لا لعمر الله لا أزوج

ولكن ما أعجب الشأن اليوم :

عن حُــذيفة عن النبيّ ﷺ : **(إن الأمانة نزلت في جَــذر قلوب الرجــال ثــم علِموا من القرآن ثم علِموا من السنة)** ، وحدَّثنا عن رفعها فقال **(ينـــامُ الرَّجُــل النومة فتُــقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوَكت ، ثــم ينـــامُ النومـــة فتقبض فيبقى أثرها مثل المَجل ، كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتـــراه منتبـــرا وليس فيه شئ ، فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحدهم يؤدي الأمانة فيُقـــال : إن في بني فلان رجلاً أميناً ، ويُـــقال للرَّجُــل : ما أعقله ، وما أظرفه ، ومـــا فـــي قلبه مثقال حبة خردلٍ من إيمان)** [1] .

حديثٌ عظيمٌ يكشف مخبوء الإنسان ويستخرج مكنونه السيئ ، ويُـــسقط القنـــاع الكاذب ، ويُحارب التدين المغشوش ، ويبين مدى تعلق الناس بالمظاهر ، والتفـــافهم حول أفجر الناس ، تنطق ألسنتهم بالثناء عليه : **ما أعقله ! وما أظرفه !**

يمدحونه ويُـــثنون عليه ، وما في قلبه مثقال حبة خردلٍ من إيمان **!!!**

جُليبيب وقــد منعناهـــا فـــلان وفـــلان ، فـــاغتم أبوهـــا لـــذلك ، ثـــم قـــام ليـــأتي النبـــي ﷺ فـــصاحت الفتـــاة من خدرها وقالت لأبويها : مَـــن خطبني إليكما؟؟ قال الأب : خطبك رسول الله ﷺ قالت : أفتردان على رسول الله ﷺ أمره ، ادفعاني إلى رسول الله فإنه لن يضيعني ! قال أبوها : نعم.. ثم ذهب إلى النبي ﷺ وقال : يا رســـول الله شأنك بها ...فدعى النبي ﷺ جُليبيبا ثم زوجه إياها ورفع النبي ﷺ كفيه الشريفتين وقال: **اللهم صب عليهما الخيـــر صباً ولا تجعل عيشهما كداً كداً!!** ثم لم يمضي على زواجهما أيام حتى خرج النبي ﷺ مع أصحابه في غزوة وخرج معه جُليبيب ، فلما انتهى القتال اجتمع الناس وبدأوا يتفقدون بعضهم بعضاً ، فسألهم النبي ﷺ وقال: **هـــل تفقـــدون مِـــن أحد** ، قالوا : نعم يا رسول الله نفقد فلان وفلان كل واحد منهم إنما فقد تاجر من التاجر أو فقد ابن عمه او أخاه ...فقال ﷺ : **نعم ومن تفقدون** ، قالوا : هؤلاء الذين فقدناهم يا رسول الله.. فقـــال ﷺ: **ولكننـــي أفقـــد جُليبيبـــا .. فقوموا نلتمس خبره**ثم قاموا وبحثوا عنه في ساحة القتال وطلبوه مع القتلى ثم مشوا فوجدوه في مكان قريـــب إلـــى جنب سبعة من المشركين قد قتلهم ثم غلبته الجراح فمات. فوقف النبي ﷺ على جسده المقطع ثم قال : **قتلتهم ثـــم قتلوك أنت مني وأنا منك ، أنت مني وأنا منك** .. ثم تربع النبي ﷺ جالسا بجانب هذا الجسد ثم حمل هـــذا الجـــسد ووضعه على ساعديه ﷺ وأمرهم أن يحفروا له قبراً .. قال أنس : فمكثنا والله نحفر القبر وجُليبيب ماله فراش غير ساعد النبي ﷺ قال أنس : فعدنا إلى المدينة وما كادت تنتهي عدتها حتى تسابق إليها الرجال يخطبونها .

[1] رواه البخارى ، ٢٥٩٦/٦ حديث ٦٦٧٥ ، ومسلم ، ٨٨/١ حديث ٣٨٤ .ورواه أحمد . و" **الجَـــذر** " : أصل الشيء ، و " **الوَكت** " : أثر الشيء ، و " **المجل** " : أثر العَمَل في الكف.

وجاء هذا الزمان ، فقد أقبل الناس على المسيء وأعرضـــوا عـــن المحـــسن ، عظَّموا أهل الفساد ، وشوهوا أهل الصلاح !! تبدلت الموازين وتبانيت الأفكار، مع أن الدِّين والخُــلُق لا يتجزآن ، فقد يكون الشخص كثير الصدقات والخـــدمات ، أو ذكياً ، أو ودوداً ، وهو أفجر الناس ، أفيُختار مثل هذا !! .

ولقد ضرب ذو الرُمَّة مثلاً بالماء فيما حسن ظاهره وخبث باطنه فقال :

على وجه مَيٍّ مسحةٌ من ملاحةٍ وتحت الثياب العار لو كان باديا

ألـم تـر أن المـاء يخبـث طعمهُ وإن كـان لون الماء أبيض صافيا

فلا تكتف أخي القارىء في معرفة الناس والحُــكم عليهم بالمظاهر العابرة بـــل بالتجربة الذكية .

يقول يحيى بن كثير : " لا يُـــعجبـــك حِـــلمُ امرئ حتى يغـــضب ، ولا أمانتـــهُ حتى يطمع ، فإنك لا تدري على أيِّ شِقيهِ يقع " (١).

وقد قيل في الأمثال : شهادات الفِعال خيرٌ مِن شهادات الرِّجال(٢) .

وقيل : الأفعال تتحدث أعلى من الأقوال (٣) .

لذلك فإن على المُسلم أن لا يغترّ بالمظاهر الجوفاء أو الدعاية الكاذبة فيعطي صوته لمن لا يستحق ، فربُّما كانت المبالغة في الدعاية دليل خواء صاحبها ، **إذ كما قالوا** فإن البرميل الفارغ يُحدث رنيناً أعلى من البرميل الممتلئ .

(١) والموعد الله ص ١٢٠ .
(٢) رياض المُـتقين ص ١٦٠ .
(٣) **(مثل أمريكي)** .

ومن أجل هذا فإنه يجب بعد سماع الوعود الانتخابية لكُــل مُرشح أن نقوم بتحليل الواقعي والممكن مِنها مِن ناحية ، والوعود الزائفة مِن ناحية أخرى .. لأن إمكانية التنفيذ ليست بالكلام .

كما أن بعض العروض ليست فقط غير قابلة للتنفيذ ، ولكنها تشكل خطراً علـــى خطوات الإصلاح الاقتصادي السياسي ، وتعود بنا إلى أخطاء الماضي التي ما زلنا نجتر مرارتها وآلامها .

كذلك فقد تحول الهالة التي تُحيط بالشخص دون معرفة قدراته الحقيقة ، كما أن هناك الكثير ممَّا استفاض خطؤه (١) .

لذلك فلا بُدَّ أن تبحث عن الحقيقة بنفسك ولا تتبع أحداً ، وترى خلفيات المشهد

كذلك فليس كُل من رفع شعار الدِّين أهلٌ لصوتك ، فقد حُــكي أن رئيساً عربياً كان يحضر وبعض رؤساء الدول حفلاً لعرض قوات بلاده العسكرية ، وعندما حان وقت الصلاة أمر بإيقاف العرض وأمر باعتلاء أحد الجنود لظهر إحـــدى الـــدبابات ليؤذن ، ثم دعا كبار الضيوف لأداء الجماعة في ساحة العرض !! ، وذلـــك علـــى الرغم مِـــن كل ما فعله مع بعض أبناء وطنه من إبادة بالأسلحة البيولوجيـــة ومـــع الدولة الشقيقة جارته بعد ذلك مما لا يخفى على أحد .

وقبله بأكثر من سبعين سنة كان أتاتورك يدخل المساجد ليُحَرِّض الشعب التركيّ على نصرته صارخاً بجموع المُـــصلِّين وفي يمينه نسخة من القرآن الكريم : " أيها

(١) قال الشيخ مُـــحَـــمَّـــد زكيّ الدين إبراهيم : إن طول الخطأ وتداوله لا ينقلهُ إلى رتبة الصواب ، بل ينقلهُ إلى مجال الخطيئة المُـــوبقة صـــ ٣٠٩ أصول الوصول .

المسلمون انهضوا للدفاع عن هذا القرآن .. " فما هو إلا أن وجـد الفرصـة التي يترقب حتى أهوى على الخلافة فهدمها ، وثنَّى بلغة القرآن فطمسها[1] .

وأنت تشاهدُ بنفسك أخي القارىء أصنافاً مِـن البـشر يـراءون النـاس ولا يذكرون الله إلاَّ قليلا . كبعض الباعة الَّذين يملأ الآذان صوت القرآن مِن أفـواههم أو مِن مذياعهم ، فإذا عاملتهم وجدتهم من أسوأ الناس ، وعندما سُئل أحـدهم : لِـمَ تفعلُ هذا ؟ قال : **لِيظن الناس فيّ الصلاح ، فيقبلون عليَّ ، فأبيعُ فأربح .**

وقد تشاهدُ أيضاً أخي القاريء تاجراً لا تفارق المِسبحة يدهُ وتملأ لِحيتهِ وجههُ ، **ومع ذلك** تجدهُ أبعد الناس عن مباديء الإسلام .

ولن تعدم أخي القاريء مُرشَّحاً يطمعُ أن يخدعك ، فخُـذ حـذرك ، ولا تغتـرّ بشعارات أو لُحى أو وعود ، وإنَّما لك عقلك الذي يحكم في إطـار قواعـد دينـك وتعاليمه وإشاراته .

ولذلك رُوي عن سيدنا عُمَر بن الخطاب أنه قال : " لستُ بالخِب ولا يخـدعني الخِب ".

روى ابن كثير في الإرشاد والبيهقيّ : أنه شهد عند عُمر رَجُـلٌ ، فقـال لـه عُمَر : لست أعرفك ولا يضرّك أن لا أعرفك ، ائت بمن يعرفك ، **فقال** رجـلٌ مـن القوم: أنا أعرفه ، **فقال:** بأي شيء تعرفه ؟ **فقال** : بالعدالة والفضل ، **فقـال** : هـو جارك الأدنى الذي تعرف ليله ونهاره ومدخله ومخرجه ؟ **قال** : لا ، **قال** : فعاملـك

(١) الطريق السوى إلى وحدة المسلمين ، د/ محمد المجذوب ص ٢٢٤ .

بالدينار والدرهم اللَّذين يُستدل بهما على الورع وتــُقطع فيهما الرَّحم؟ ، **قــال** : لا ، **قال** : فرفيقك في السفر الذي يُستدل به على مكارم الأخلاق ؟ ، **قال** : لا ، **قــال** : لست تعرفه ، **ثم قال للرَّجُل** : ائت بمن يعرفك [١] .

ذلك أن عُمَر رضي الله عنه يضع الناس في ميزانٍ ذكيّ قويم فيقول : " أحبكم إلينا قبل أن نراكم أحسنكم سيرة ، فإذا تكلمتم فأبينكم منطقاً ، فإذا اختبرناكم فأحسنكم فعلاً ".

وصدق من قال : " لسان التجربة أصدق " .

يقول خالد مُحَــمَّد خالد عن سيدنا عُــمَــر بن الخطاب رضي الله عنه :

والمظاهر العابرة لا تكفي عند عُمَر رضي الله عنه لِتكوين أحكام عن الآخرين ، فقد سمع واحداً يُطري آخر ويمتدحه ، فبادره قائلاً : هل سافرت معه يوماً ؟ فقال الرجــل : لا ، فسأله : هل كانت بينكما خصومة يوماً ؟ فقال : لا ، فسأله عُمَر : هل ائتمنتــه يوماً على شيء ؟ ، فقال : لا ، فيقول عُمَر : " **إذن لا علم لك به .. لعلــك رأيتــه يرفع رأسه في المسجد ويخفضه** " [٢] .

هذا إمامٌ من أئمة التقى والورع والهُدى ، لا يرى رفع الــرأس وخفــضه فــي المسجد كافياً للثقة بمن يفعل هذا ، لا تهويناً لشأن العبادة ، ولكن إحاطــة بأســرار النفس الإنسانية وحُسن فهم لتياراتها الخافية[٣] .

وقد قيل : الرَّجُــل يُعرف من ثلاثة : جيرانه في الحضر، ورفقائه في السفر ، ومعاملوه في الأسواق .

---

(١) سنن البيهقيّ (١٠/١٢٥– ١٢٦) ح ٢٠١٨٧ عن خرشة بن الحُــرّ ، وذكــره الألبــانيّ فــي الإرواء (٨/٢٦٠) برقم٢٣٦٧ وقال : صحيح ، ورواية ابن كثير نقلتها عن أدلة الإثبات في الفقه الإسلامي . مرجع سابق صــ٢٤٧ .

(٢) إحياء علوم الدين ٢ / ٣٨٩ . وفي رواية أنه قال له : (**لعلك رأيته قائماً في المسجد يهمهم بالقرآن يرفع رأسه تارة ويخفضه تارة**) .

(٣) خلفاء الرسول. مرجع سابق . صــ ١٩٧ ، ١٩٨ .

وقد حدث أن رجُلاً ظهر في جبهته كركية الجمل . جاء وطلب من أبي جعفــر المنصور الخليفة العباسيّ ، أن يُوَلِّيه قضاء العراق . فقال لــه الخليفــة : إن كنــتَ أردتَ الله بأثر السجود هذا لا ينبغي أن نشغلك عنه . وإن كنت أردتنا فما ينبغي أن ننخدع لك . ولم يُــوله القضاء ولم يُعطه مناه[1] .

فاستفت قلبك في الاختيار : (استفت نفسك ولو أفتاك المفتون) [2] **(البِــرّ مــا اطمأنت إليه النفس)**[3] ، ولكن ليس كُــل قلبٍ يُستفتى، وإنما يُستفتى القلب السليم ، إذ **المؤمن يرى بنور الله** [4] ؛ **قال** ﷺ **(اتقوا فراسة المؤمن فإنــه ينظــر بنــور الله)**[5] ، وقال تعالى : ﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾.

قال ابن جرير الطبري في تفسيرها : أي فرقاناً يُفرق في قلــوبهم بــين الحــق والباطل حتى يعرفوهُ ويهتدوا بذلك الفرقان .

ولعلَّه مما يومىء لاختياره الاستفاضة بعد التحري ، قياساً على قبول الــشهادة بالتسامع والاستفاضة فيما تتعذر معاينته ؛ **وقد قال** ﷺ **(لا تجتمــع أُمَّـــتي علــى ضلالة)** [6] ، وفي الحديث " **المؤمنون شهداء الله في الأرض** " [7] .

---

(١) مجلة التصوف الإسلامي صـــ٥٥ العدد ٨ السنة ٢٠ شعبان ١٤١٨هـــ ديسمبر ١٩٩٧م .

(٢) (تخ) عن وابصة ، وحسنه صاحب جوامع الكَــلِــم ، وهو خاص بأصحاب النفوس الكاملة . انظر جوامع الكَــلِــم ص ١١٩ .

(٣) أحمد في المسند ٢٢٨/٤ ، حديث ١٨٠٣٥ وسنده ضعيف ، ورواه الدارمي (٢٥٣٣) ، وأبي يعلى (١٥٨٦) .

(٤) عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : " **اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ، ثم قرأ** : " **إن في ذلك لآيات للمتوسمين** " رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه وقد رُوي عن بعض أهل العلم. ح رقم ٣١٢٧ ، ورواه الطبراني في الأوسط ح رقم ٧٨٤٣ ، وحتى قوله " ... **بنور الله** " فقط ح رقم ٣٢٥٤ .

(٥) (تخ ت) عن أبي سعيد (طب عد) عن أبي أُمامة ، وحسنه صاحب جوامع الكَــلِــم .

(٦) (حم طب) عن أبي نضرة الغفاريّ (حل ك ضياء) عن ابن عمر ، وحسنه صاحب جوامع الكَــلِــم .

(٧) رواه البخاري ح رقم ٢٤٩٩ ، ورواه ابن حبان ح رقم ٣٠٢٥ ، والبيهقي في السنن الكبرى ، ورواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه بلفظ قوله للصحابة " أنتم شهداء الله في الأرض " انظر الترغيب والترهيب ح رقم ٥٣٣٦ .

ولذلك كانت هناك نصوص شرعية ، تأمر المسلمين أن يهتموا برؤية المــؤمنين للأشياء والوقائع والأشخاص ، فإن رؤيتهم معتبرة عند الله وعند الناس ، كما قــال الله تعالى: **{وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}** ؛ فجعل رؤيــتهم للعمل مقارنة لرؤية الله ورسوله .

وقال في آية أخرى : **{كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا}** ؛ فجعل مقــت الــذين آمنوا وسخطهم بجوار مقت الله تعالى .

وقد صحَّ عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : **(ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حَسَن ، وما رآه المسلمون قبيحا، فهو عند الله قبيح)** [١] .

قال الإمام أحمد زرّوق في قواعده (قاعدة ١٥٩): "**ألسنة الخلق أقلام الحق** " ؛ فثناؤهم عليهِ بما يرتضيهِ الحق ثناءٌ مِن الحق عليهِ بذلك [٢].

ولذلك قال الإمام عليّ– كرَّم الله وجهه ورضي عنه–: " اتقوا ظنون المؤمنين ، فإن الله تعالى جعل الحق على ألسنتهم " [٣] .

وقد قيل في الأمثال : " الناس أحاديث " .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣٦٠٠) عن ابن مسعود موقوفا ، وقال محققوه : إسناده حــسن ، والطيالــسي فــي المــسند (٣٣/١) ، والبزار في المسند (٢١٢/٥) ، والطبراني في الكبير (١١٢/٩) ، والحاكم في المستدرك كتــاب معرفــة الصحابة (٨٣/٣) ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائــد : رواه أحمــد والبزار والطبراني في الكبير ورجاله موثقون (٤٢٨/١) ، وقال الذهبي : صحح بلفظ : " **ما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن** " .

(٢) قواعد التصوف صــ ٨٣ ، وباقيه : فإن كان فيهِ فالثناء منهُ وإلاَّ فهو تنبيه ، إن شكَــرهُ بالقيامِ بحقهِ أتمَّــهُ عليــهِ وزادهُ منه وإلاَّ سَــلَــبَــهُ عنه .

(٣) نهج البلاغة . مرجع سابق . صـــ ٤٥٧ .

ولن يحسُـــن الحديث إلا بالعمل ؛ كما قال أبو بكر الطرطوشي :

والناسُ أكيسُ مِن أن يمدحوا رجُلاً حتى يروا عِندهُ آثار إحسان

وقال آخر :

وما شرفٌ أن يمدح المرءُ نفسهُ ولكن أعمالاً تذمُّ وتمدحُ [1].

وقد قالوا: " شهادات الفعال أعدل من شهادات الرجال " .

وليس المُسلم مُطالباً أن يُنقب عن قلوب الناس ، وإنما يحكم عليهم أفـــراداً أو مُنظمات وفقاً لاتجاهاتهم العامة وشعاراتهم المرفوعة وراياتهم المنصوبة ، وبياناتهم المُعلنة ، وأما النيَّات الخفية والبواعث الباطنية لدى كل فرد فأمرها موكولٌ إلـــى الله تعالى .

أخرج عبد الرَّزاق عن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال : ســـمعتُ عُمَـــر بـــن الخطاب ﷺ يقول : " إنما نأخذكم الآن بما ظهر من أعمالكم ، فمن أظهر لنا خيـــراً أمناه وقرَّبناه ، وليس إلينا من سريرته شئ ، الله يحاسبه في سريرته ، ومن أظهـــر لنا شراً لم نأمنه ولم نُصدقه ، وإن قال إن سريرته مُحسنة " [2] .

ولا يُقال : قد يتظاهر بعض الناس بالعدالة ويتصنع المـــروءة وفـــؤاده هـــواء وباطنه خراب ، فهو يقول ما لا يفعل ، ويُسرّ ما لا يُعلن شـــأن المنـــافقين الـــذين يخادعون الله والذين آمنوا .

---

(١) أدب الدنيا والدين مرجع سابق ص ١٧٦ .

(٢) كذا في الكنز (٣ / ١٤٧) وأخرجهُ البيهقي (٨ / ٢١) وقال : رواهُ البخاري في الصحيح . مشار إليه فى كتاب حياة الصحابة للكندهلوي ج ٢ صـــ ٦٤ ، ولفظ البخاري : " **إن أناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ، وإن الوحي قد انقطع ، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم ، فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقرَّبنـــاه ، ولـــيس إلينا من سريرته شئ ، الله يحاسبه في سريرته ، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأخذ منه ولـــم نُـــصدقه ، وإن قـــال إن سريرته حسنة** " ٩ / ١١٨ رقم ٢٤٤٧ .

فالواقع يقول : إن الزيف لا بُدَّ أن ينكشف ، والنفاق لابـد أن يفتـضح [1] ؛ قـال سبحانه : ﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ﴾ وقال أيـضاً : ﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾ .

ولذلك قال الإمام عليّ- كرَّم الله وجهه : " **غش القلوب يظهر علـى صـفحات الوجوه وفلتات الألسنة** " .

وقيل : المرء مخبوء تحت لسانه ، فإذا تكلم ظهر .

وقال أرسطو : **تحدث حتى أراك** .. تأمل .. لم يقل حتى أسمعك .

ولا عَـجَـب ؛ فقد قال سيدنا عثمان بن عفان ﷺ : " **مَـن عمل عملاً كـساه الله رداءه ؛ إن خيراً فخير وإن شرّاً فشرّ** " [2].

وقال سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ : ما أسرَّ عبدٌ سريرة إلا ألبسه الله رداءهـا علانية ، إن خيراً فخير وإن شرَّاً فشرّ [3] .

وقال الشاعر :

ثوب الرياء يَشِف عمًّا تحته   فإذا اكتسيت به فإنك عار [4].

---

(1) ما لم يكن الناظر مطموس القلب ، وإلا لصدق فيه قول الشاعر :

فلو لبس الحِمار ثياب خز   لقال العُمي يا لك مِن حِمار

(2) رواه ابن أبي شيبة ح رقم ٣٥٤٢٠ . ولفظ : " **مَـن أسرّ سريرة ألبسه الله رداءها** " إسناده حَـسَـن : قال الحافظ العجلوني : رواه ابن أبي الدنيا في الإخلاص عن عثمان بلفظ : " **ما مِـن عبد يسر سـريرة إلا رداه الله رداءهـا علانية إن خيراً فخير وإن شرّاً فشرّ** " ، ورواه أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني وأبو نعيم عن أبي سعيد بلفظ: " **لو أن أحدكم عمل في صخرة صماء لا باب لها ولا كوة لأخرج الله عمله كائناً ما كان** " قال الـنجم : وسنده حَـسَـن . انظر كشف الخفاء (٢ / ٢٦٩) برقم ٢٣٧٥ . وعزاه الحافظ الهيثميّ للطبرانـي فـي الكبيـر والأوسط وفيه حامد بن آدم وهو كذاب . انظر مجمع الزوائد (١٠ / ٢٢٥) .

(3) وهم بعضهم في أنها حديث،وليست كذلك ففيه حامد بن آدم ، قال الهيثميّ : كذاب ، هامش البرهان المؤيد ص٨٢

(٤) وروي عَـجُزه بلفظ : **فإذا التحفت به فإنك عار** .

وقبله قال زُهير في مُعلقته :

ومهما تكن عند امرئ من خليقةٍ وإن خالها تخفى على الناس تُعلمُ [(١)]

وكان الإمام بشر الحافي يُـنشد البيتين التاليين مُـبيناً أن ما في القلوب يظهر على الجوارح مهما حاول الإنسان تغطيتهُ عن أعين الناس :

وليـس مَـن يروق لي دينه يغرنـي يـا صـاح تبريقه

مَن حقق الإيمان في قلبهِ يوشك أن يظهر تحقيقه [(٢)]

وقد قال الإمام عليّ رضي الله عنه :

والعين تعلم مِن عيني محدثها إن كان مِـن حِـزبها أو مِن أعاديها

وفي المثل : (**لا مُـداراة للقبيح**)[(٣)].

ويقول الإمام عبد الله بن المبارك :

الصمـت أزيـن بالفتـى مِن منطقٍ في غير حينه

والصدق أجمل بالفتـى في القول عندي من يمينه

وعلى الفتـى بـوقــاره سمــة تلـوح على جبينه

فمَن الذي يخفى عليك إذا نظرت إلى قرينـه [(٤)]

---

(١) فتاوى مُعاصرة د/القرضاوي ج٢ صـ٣٤ ، وانظر قوانين حكم الإشراق ص ٣٨ ، و نثر الدر وبسطه ص ٥٠

(٢) بشر بن الحارث الحافي . الإمام عبد الحليم محمود ص ٧٩ .

(٣) أول مَـن قال هذا المثل هو الإمام عليّ بن أبي طالب – كرَّم اللهُ وجهه – في خطبة له حيث قـال : " **لا مُـداراة للخُـلُـق السيىء القبيح ، كالشجرة المُـرة لو طُـلـيت بالعسل لم تُـثمر إلا مُـرّاً ، أو كذنَـب الكلب لو أدخلته القالب سنين لعاد إلى اعوجاجه** " . انظر حكايات الأمثال العربية ص ٧٧ .

(٤) أعلام الصوفية ص ١٣٩ نقلا عن حلية الأولياء (٨ / ١٧١) بزيادة بيتين وهما :

رُبَّ امرئ مُـتيقن غلب الشقاءُ على يقينه

فأزالـهُ عن رأيهِ فابتـاع دنياهُ بدينه

ورُوي أن الإمام الشافعي رحمه الله قال :

لا خير في حشو الكلام إذا اهتديت إلى عيونه

والصمت أجمل بالفتى مِن منطقٍ في غير حينه

وعلى الفتى لطباعه سمة تلوح على جبينه

انظر ديوان الإمام الشافعي ، مرجع سابق ص ٩ .

ويُروى عن الكرار أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه شِــعر منه :

يُقـاس المــرء بالمرء إذا ما هـو ماشاهُ

وللشيء على الشيء مقاييسٌ وأشباهُ (١)

وللقلب على القلب دليل حين يلقاه (٢)

قال في قوانين حِــكم الإشراق: لما تطابقت الأرواح وافق شنها طبقة الأشباح، لذلك كان من علامة هذا التذوق ودليله ، دلالة الأخ على أخيه وخليله :

وإذا أردت ترى فضيلة صاحب فانظر بعين البحث عن ندمائه

فالمـرءُ مَطـويٌّ على علاتـه طـيَّ الكتاب وصحبه عنوانه (٣)

وقال الشاعر :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينهِ فكُلُّ قريــنٍ بالمُقارن يقتـدي (٤)

فإن كـان ذا شر فجانبه سُرعة وإن كان ذا خير فقارنه تهتدي(٥)

وقيل في الأمثال : " **ما الدخان على النار بأدلّ مِن الصاحب على الصاحِب** " .

وقد قيل : " **مَــن جالس جانس** " .

---

(١) النظام الخاص لأهل الاختصاص . للإمام أحمد الرفاعيّ ص ٣٩ .

(٢) شرح الحِــكم الصوفية ص ٢٢١ بزيادة بيتين قبل الثلاثة أبيات ، وهما :

لا تصحب أخا الجهل وإيــــاك وإياه

فكم جاهـــلٍ أزرى خليلاً حين آخاه

ورُويت الأبيات هكذا :

فكم من جاهلٍ أردى حليماً حين آخاهُ

وللشيء من الشيء مقاييسٌ وأشبـاهُ

وفي العين غنى للعين أن تنطــق أفــواهُ

انظر ديوان الإمام عليّ ، مرجع سابق ص ٧٠ .

(٣) قوانين حكم الإشراق ص ٧٠ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٩ ص ١١٢ .

(٥) التنوير في إسقاط التدبير ص ٦٨ .

وهذا يُـــذكرني بقول الشاعر : **شبيهُ الشيء مشدودٌ إليهِ .**

وقد قيل : الصاحب ساحب .

وفي المثل العامي : " **مَـــن عاشر القوم أربعين يوماً أصبح منهم** " .

وكل ما سبق مِـــن أقوال مَـــرَدُّهُ إلى قول المصطفى ﷺ : (**المرء علـــى ديـــن خليله** [1] **فلينظر أحدكم مَـــن يُـــخالل**) [2] .

وما أصدق ما قيل : " **صاحب العقلاء تنسب إليهم وإن لم تكن منهم** " .

قال الشيخ مُحَـــمَّـــد خليل الخطيب النيديّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

مَن عاشر الأشراف عاش مشرف ومعاشر الأنذال غير مشرف

أو مـا رأيت الجلـد أقبـل باسمــاً بالثغر لما صار جلد المصحف[3]

---

(1) الحاكم فى المستدرك ، ٤/١٨٩ حديث رقم ٧٣٢٠ ، قال الزهرى : صحيح .

(2)(د ت هق) عن أبي هريرة ، وحسنه صاحب جوامع الكَـــلِـــم ، وبلفظ : (**الرجل على دين خليله فلينظـــر أحـــدكم مَـــن يخالل**) رواه (د ت) عن أبي هريرة ، وصححه صاحب جوامع الكَـــلِـــم .

(3) وروي صدر البيت الثاني بلفظ : **أو ما ترى الجلد الوضيع مقبلاً** . انظر نفحة القبول في سيرة شاعر الرسول ﷺ للشيخ الإمام محمد خليل الخطيب ص ٧٢ . وتأمل : كيف أن كلباً كرُم بصحبته لقومٍ صالحين ؛ وهو كلب أصحاب الكهف ، حتى ذُكر في آية واحدة ثلاث مرات .

الاختيار بالقســط

في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾ قال الإمام القشيريّ الحُكم بين الناس بالعدل : تسوية القريب والبعيد في العطاء والبــذل ، وألاَّ تحملك مُخامرة حقدٍ على انتقامٍ لِنفس .

وفي قوله تعـــالى ﴿ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ قـــال الإمـــام القرطبيّ : "المعنى : أتممت عليكم نعمتي فكونوا قوَّامين لله ، أي لأجل الله ، فقوموا بحقه واشهدوا بالحق ، من غير ميلٍ إلى أقاربكم وحيف على أعدائكم " [١] .

وفي قوله تعالى ﴿ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ قال الإمام القشيري : أصل الدِّين إيثار حق الحق على حق الخلق ، فمن آثر على الله سُبحانه أحداً : إمَّا والداً أو أُمَّـــاً أو ولداً أو قريباً أو نسيباً أو ادخر عنه نصيباً فهو بمعزلٍ عن القيام بالقسط [٢] .

وقال الإمام القشيريّ في قولـــه تعـــالى ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ **يُقال** إذا دعته الوساوس إلى متابعة شيطانه وصيَّـــرته الهـــواجس إلـــى موافقة النفس فالحق يُـــثبته على موافقة رضاه ، **ويُقال** : إذا دعته دواعي المحبـــة من كُـــل جنس ، كمحبة الدنيا أو محبة الأولاد والأقارب والأموال والأحباب أعانه الحق على اختيار النجاة منها ، فيترك الجميع ولا يتحـــسس إلاَّ دواعـــي الحـــق – سُبحانه – ، كما قيل :

إذا ما دعتنا حاجة كي تردَّنا   أبينا وقلنا: مطلب الحق أولا [٣]

---

(١) لطائف الإشارات للقشيري . مرجع سابق . ج ٤ صـــ ١١٠ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي . مرجع سابق . ج ١ صـــ ٦٠ .
(٣) لطائف الإشارات للقشيري ج ٣ صـــ ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

وقد أخرج ابن عساكر أنَّ جعدة بن هبيرة جاءَ إلى عليّ ﷺ فقال : يـــا أميـــر المؤمنين يأتيك الرجلان أنت أحَبُّ إلى أحدهما من نفسه ، أو قال من أهله ومالـــه ، والآخر لو يستطيع أن يذبحك لذبحك ، فتقضي لهذا على هذا ، قال: فلهزه عليّ ﷺ وقال : " إن هذا شيء لو كان لي فعلت ، ولكن إنما ذا شيء لله " (١).

وقد رُوِيَ أن ابن القاضي شريح جاءه يسأله عن شيء حدث بينه وبين آخرين ؛ قائلاً له : انظر يا أبت في ذلك ، فإن كان لهم الحق ساومتهم ، وإن كان لي الحـــق قاضيتهم ، فقال له : ارفع أمرك للقضاء ، فجاءه فحكم عليه ، فلقيه ابنه بعدُ فقال له بدهشة وحسرة : فضحتني .. ، فردَّ عليه القاضي شريح : والله يا بني لأنت أعـــزُّ عليَّ مِـــن ملء الدنيا مِـــن مثلهم ولكن الله أعزّ عليَّ منك .

فالمؤمن الحق إذا رضي لم يـــُدخله رضاه فـــي الباطـــل ، وإذا غـــضب لـــم يـــُخرجه غضبه عن الحق ، وإذا شهد شهد بما يعلم ، لا تأخذه في الله لومة لائم .

وفي الحديث : (**وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب**)(٢).

وقال سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ : ثلاث مَـــن كُـــن فيه كَـــمل : (**إذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق ، وإذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل ، وإذا قدر عفا وكفي**)(٣).

---

(١) ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٨٨/٤٢ ط دار الفكر ، وكذا في الكنز . نقلا عن حياة الصحابة . مرجع سابق . ج ٢ صـــ ٨٠ وروي بلفظ آخر : أن الناس قالوا له : (**يا أمير المؤمنين نرى الرجُـــل يحبك أكثر من نفسه وماله وولده ، والرجل الآخر يبغضك بغضاً لا يقف أمامه شيء وتحكم له على محبيك ، فقال رضي الله عنه : ليس ذلـــك لي وإنما لله عز وجل**) انظر موازين الصادقين ص ٨٧ .

(٢) رواه النسائيّ في السنن الكبرى (٣ / ٦٢) رقم ١٣٠٤ .

(٣) اللطائف في الحكم والمعلومات والطرائف ، مرجع سابق ص ٢٦.

وقد كان الشافعيّ ﷺ قد آخى مُحمد بن عبد الحكم وكان يُــقربه ويُــقبل عليه ويقول : ما يُــقيمني بمِصر غيره ، فاعتلَّ مُحمد ، فعاده الشافعيّ رَحِمَهُ اللَّهُ فقال :

مرض الحبيب فعُدته فمرضت من حذري عليه
وأتى الحبيب يعودني فبرئت مـن نظري إليه (١)

وظن الناس لصدق مودتهما أنه يفرض أمر حلقته إليه بعد وفاته ، فقيل للشافعي في عِلَّــتهِ الَّــتي مات فيها ﷺ : إلى من نجلس بعدك يا أبا عبد الله ؟ فاستــشرف له مُحَمَّد بن عبد الحَــكَم وهو عند رأسه ليومىء إليه، فقال الشافعيّ : سُبحان الله ! أيُــشك في هذا ؟! أبو يعقوب البويطي ، فانكسر لها مُحمد ومــال أصــحابه إلــى البويطي ، مع أن مُحمداً كان قد حمل عنه مذهبه كله ، ولكن كان البويطي أفــضل وأقرب إلى الزهد والورع ، فنصح الشافعي لله وللمسلمين وترك المُداهنــة ، ولــم يؤثر رضا الخلق على رضا الله تعالى .

ويا ليت الناس يفعلون كالشافعي ويتبعون أمر الله تعالى في أن يكــون الحــق إمامهم ليجدوا الحق أمامهم .

ولكن مع الأسف وكما قيل في منثور الحِكَم : **ما أكثر مَــن يعــرف الحــق ولا يُعطيه** (٢) .

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ٢٣٨/١ .

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٩٠ .

مُجانبـــة الهـــوى فى الاختيـــار

يا صاحب الدنيا لو أردت حفظ شيء أتعطيه لفاسق؟! أم تضعه عند أمينٍ ورِع؟ فكذلك مِـــن صَالِـــحِـــك - إن كنت تفقه - أن تعطي صـــوتك للـــورِع ، فمنفعتـــه عليك عائدة وإنه لم تُـــرد أو تشعر ، أمَّا الفاسق فضرره عليك وإن لم تشعر ، فـــي الحال وفي المآل .

ولكن الواقع أن الناس تختار بالهوى مع أن الله تعـــالى يقـــول ﴿ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ ﴾ ويقـــول كـــذلك : ﴿ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ ﴾ وقال ﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ﴾ ، فهناك من تختلف معه ولكن لا تختلف عليه .

أما الهوى فإنه يُعمي ويُصِمّ ، **قال تعالى** : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾.

واتباع الهوى وإن كان يطمس على حواس الأفراد فهو على المجتمعات الضالة يضرب ليلاً طويل الظلام ، بارد الأنفاس بَعيد الفجر .

وكما قال القشيريّ : من جنح لِمنحرفٍ في دينه أو داهن مبتدعاً فـــي عهـــده : نزع الله نور التوحيد من قلبه ، فهو في خيانته جائرٌ على عقيدته ، وسيذوق قريبـــاً وبال أمره .

وهذا يصدق فيه ما رواه ميمون بن مهران عن عُمَر بن عبد العزيز أنـــه قـــال لِجُلسائه : أخبروني عن أحمق الناس ، قالوا : رجلٌ باع آخرته بدنياه ، فقـــال لهـــم عُمَر: ألا أنبئكم بأحمق منه ، قالوا : بلى ، قال : **رجُـــلٌ باع آخرته بدنيا غيره**(1).

---

(1) سيرة عُمَر بن عبد العزيز لابن الجوزي صـــ ٢١٥ . كما رويت من قول الإمام أبي حازم الأعرج (ســـلمة بـــن دينار) لسليمان بن عبد الملك في نصيحته له : **رجُـــل انساق مع هوى غيره وهو الظالم فباع آخرته بدنيا غيره** .

وقد قلت في خواطري : لا تركن إلى أجهل الجهال ؛ وهو مَـــن يترك الدنيا لغيره وقد حملها إليه بوزره .

قال الشيخ مُحَمَّد زكي الدِّين إبراهيم : " الملاحــظ أن فـــي النـــاس داءً خبيثـــاً مُـــنكراً هو حبس كل اهتمامهم في السؤال عن وظيفة الرجل وأعوانه ومدى نفـــوذه وسلطانه وعدده ، ولا يسألون عن علمه وتقواه وصلته بمولاه ، ولا مدى كفايته .

وهذه وثنية عقلية ، وأثرٌ من بقايا الذل القديم والاستعمار والعبودية ، وظـــاهرة من آثار النفعية والوصولية والمواريث المادية البهيمية ، لقد قال الكفار ﴿ **وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ** ﴾ فقـــــــال الله ﴿ **أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ** ﴾ ، وقبلهم قال فرعـــون ﴿ **فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ** ﴾ فقال الله ﴿ **إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ** ﴾ .

وكذلك كان اليهود من قبل حينما بعث الله لهم طالوت ملكاً ﴿ **قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ** ﴾، وهما: أي **العلم والجسم** : علاوة المجاهد ، **فبالعلم** يُصرِّف شئون الدنيا والدِّين ، **وبالجسم** يتحمل أعباء الدعوة وأذى خلق الله ، ولا يشترط بعدهما شئ ، وهكذا كُـــلَّما جاء أمة رسولها كذبوه ، وقالوا ﴿ **مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا** ﴾ وما كان يكفهم أن عامة أنبياء الله كانوا من الفقراء المغمورين والضعفاء المطمورين ، قال الله عنهم ﴿ **مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ** ﴾، لا من أهل الجاه والغِنى ، ولا أصحاب الوظائف والألقاب ، ليقطع بذلك لسان الطعن على فقره ، وذكر أن هذه بدعة الكفار والمشركين ، والفراعنة واليهود وبقية من جهل الجاهلية وتلك الأخلاف والعقول في العصور الأُول ، تجدد عند انتكاس الزمن وارتكاس الناس ، وقد أُنسوا أنه لا حرج على فضل الله [١] .

---

(١) الدليل إلى الطريقة المُحَمَّدية . مرجع سابق صـــ ١٨٣ ، ١٨٤ .

واليوم لا يوجد تقييم موضوعي للمرشح :

فعند بعضهم : إن قام المرشح بتعيينه في وظيفة اختاره وتعـصب لـــه ودعـــا لمبايعته وتأييده وحارب مَـــن خالفه ، وإن لم يقم بتعيينه أقـــام الـــدنيا عليـــه ولـــم يُـــقعدها ، وانطلق لسانه بتنقيصه في المجالس وأرغى وأزبد وأيَّـــد خصومه ودعم معارضيه .

بل إن بعض الناس قد يُـــوَطِّـــن نفسه على اختيار أحد المُـــرشحين قبل غلق باب الترشيح لمُجرد سبق خدمته له ، ولا يرجع عن ذلك وإن تقدم للترشيح أفضل منه ، وكأن هذا المُـــرشح قد استعبده بها للأبد .

وهناك من يختار أكثرهم عزاءً في المآتم ، أو من تُـــغَـــلَّب عنـــده المـــصلحة الفردية على المصلحة العامة ، فيفضل النائب الخدمي المتملـــق الوصـــوليّ علـــى النائب السياسي الرقابي ، **وهناك من يقول** : "مَـــن تعرفه أحسن ممَّـــن لا تعرفـــه"، **وكُـــلٌّ هذا مُهلك .**

بل إنني سمعت أحدهم يقول بصوتٍ عال بعد أن سقط مُرشَّح صـــاحب مـــصنع حلويات كبير : " الله يخرب بيوتكم .. كان سيوزع علينا (حلاوة) " !! .

ألهذه الدرجة!! .. بملئ فم يبيع صوته ويخون أمَّته ، ويبيع آخرته بدنيا غيره ، فهو أسوأ الناس ، وقياسه كالسارق الذي رُوي **فيـــه (لعـــن الله الـــسارق يـــسرق البيضة فتُقطع يده ويسرق الحبل فتُقطع يده)**[1] .

وهناك من هو كبير عائلة أو بلدة أو قبيلة يجتمع ليلة الانتخابات ليُقـــرر مَـــــن يختاره وتابعيه ، وكأن الشخصيات تنقلب ليلتها ! ، ودائماً ما تتحكم الأهواء ، ويـــا ويل من لم يتملَّـــقه ويبذل له غاية الوُدّ .

(1) شرح السنة للبغوى ٥/٢٧٢ .

بل إن هناك مَــن يدعم مرشحاً في البداية ويتحالف معه ويقسم له على الوفــاء ثم يغدر به ، وقد قال ﷺ : **(لِكُلِّ غادرٍ لواءٌ يوم القيامة يُعرف به)** (١) وفي لفــظ **(إن الغادر يُــنصبُ له لواءٌ يوم القيامة** (٢) **فيُــقال : ألا هذه غدرة فلان)** (٣) .

وعن أنس ﷺ أنه قال : ما خطبنا رسول الله ﷺ إلا قال : **(لا إيمــان لمــن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له)** (٤) .

وقال ﷺ **(إنما الحلف حنث أو ندم)**(٥) ، وقال **(إن شر الناس ذو الــوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه)**(٦) ، وقال : **(إن أخوف ما أخــاف علــى أمتي ، كل منافق عليم اللسان)** (٧) .

وهناك مَن يحارب أحد المُرشَّحين لأنهُ لم يخدمهُ ، أو لم يُساندهُ فــي انتخابــات أحد المجالس الشعبية المحلية ، أو لأنهُ يخشى أن ينجح فيشمت فيهِ أنصاره ، ولهذا يظل مع المُبطل على الباطل .

بل كم شَهدنا آلافاً أعطوا أصواتهم لمُرشَّح نكاية في عضو مجلس نيابي آخر .

---

(١) رواه البخارى ، ٢٥٥٥/٦ ، رقم ٦٥٦٥ ، ورواه مسلم ، **وبلفظ (لكل غادر لواء يُــعرف به يوم القيامة)** رواه (حم ق) عن أنس (حم م) عن ابن مسعود (م) عن ابن عمر ، وصححه صاحب جوامع الكَــلِــم ..

(٢) رواه (ت ق ن) عن ابن عمر ، وصححه صاحب جوامع الكَــلِــم .

(٣) جامع العلوم والحِكم في شرح خمسين حديثاً مِن جوامع الكَلم . لابن رجب الحنبلــي. صـــــ ٤٣٣ . ورواه أحمــد (٤٨/٢) رقم (٥٠٨٨) ، وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح (٧ / ١١٢) والمرفوع منه في الصحيحين كما في البخاري (١٠ / ٤٦٤) ومسلم (١٧٣٥) تفسير ابن كثير ، مشار إليه فى موسوعة نضرة النعيم في مكــارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ ، المجلد الحادي عشر ، ص ٥٦٣٧ .

(٤) أحمد (١٣٥/٣) . ومكارم الأخلاق للخرائطي (٤٨) برقم (٧٥) . وذكره المنذري في الترغيب والترهيــب (١١/٤) واللفظ له .وقال : رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط وابن حبان فى صحيحه ، مشار إليه فــى موســوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ ، المجلد الحادي عشر ، ص ٥٦٣٦ .

(٥) (هــ حب) عن ابن عمر ، وصححه صاحب جوامع الكَــلِــم .

(٦) الراوي: أبو هريرة : صحيح البخاري: ٧١٧٩

(٧) الراوي: عمر بن الخطاب: السيوطي في الجامع الصغير: ٢١٩١والحديث صحيح

وقد أُخبرتُ أن مُرشحاً أوصى أتباعهُ وهم كثرة كاثرة – بعد سقوطهِ في الجولة الأولى – أن يوجهوا أصواتهم لغير الأكفأ بحجة واهية ؛ وهي أنهُ لو نجـــح الأكفـــأ فلن يتمكنوا مِن إسقاطهِ بعد .

قال الشيخ محمد الخطيب النيديّ – رحمه الله ورضي عنه – في مثل ذلك :

ألم يَعن مَن ظَلَما على الذي قد ظُلِما ؟

ألم يُؤخر مُقدَّما ؟ ألـم يُقدِّم مُحجما ؟

ألـم يُـولِّ المنصبا العـادمـين السببـا ؟

وأيُّ أمــرٍ استنـــد لغيــر أهلـــهِ فســد[1]

وسبب هذا في الحقيقة إنما هو الحسد [2] :

قال في حياة القلوب : سبب الحسد هو كراهة حصول النعمة لغيرك ومحبـــة زوالها عنه ، ولهُ أسباب كثيرة مِنها : أن يكون عدواً لهُ أو مبغوضاً له ، ومِنهـــا أن يكون قبول الناس لهُ أكثر ومحبتهم لهُ أقوى ، ومِنها أن يكون موصوفاً عِند النـــاس بزيادة في العِلم والفضل فيحسدهُ على ذلك ، ومِنها كثرة المال والجاه ، إلـــى غيـــر ذلك مِن الأسباب[3].

(١) حِـــكمة الرجز أو (صورة المُـــجتمع) للإمام الشيخ / مُـــحَـــمَّـــد خليل الخطيب ص ٤٢ .

(٢) والذي قد يكون سببه من أيام الآباء والأجداد .

(٣) حياة القلوب صـــ٧١

وقيل : مِن دواعِي الحَسَد اثنين :

الأول : بُغض المحسود ، فيأسى عليهِ بفضيلةٍ تظهر ، أو منقبةٍ تشكر ، فيُـثير حَسَداً قد خامر بُـغضاً .

والثاني : أن يظهر مِن المحسود فضلٌ يعجز عنه ، فيكره تقدُّمهِ فيه ، واختصاصهِ به ، فيُـثير ذلك حَسَداً لولاهُ لكفَّ عنه .

قال الماوردي : وحقيقة الحسد : شدة الأسى علـى الخيـرات تكـون للنـاس الأفاضل ، وهو غير المُـنافسة [1] .

واعلم أنهُ بحسب فضل الإنسان ، وظهور النعمة عليه ، يكون حسد الناس لـه ، فإن كثر فضلهُ كثر حُـسَّـاده ، وإن قلَّ قلّوا ، لأن ظهور الفضل يثيـر الحـسد ، وحدوث النعمة يُـضاعف الكمد .

ولذلك **قيل : (استعينوا على قضاء الحوائج بسترها ، فـإن كُـل ذي نعمـةٍ محسود)** [2] .

وقال عُمَر بن الخطاب ﷺ : **ما كانت نعمة اللهِ على أحدٍ إلاّ توجّه لها حاسـد ، فلو كان الرجُـل أقوم مِن القدح لمَا عَدِمَ غامزاً** ، وقد قال الشاعر :

إن يحسدوني فإني غير لائمهم ... قبلي مِن الناس أهل الفضل قد حُسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم ... ومـات أكثرنـا غيظـاً بما يجدُ [3]

قال الإمام الغزالي في إحياءه : وغالب الحسد يكون في المُـتزاحمين علـى مقصودٍ واحد يضيق عن الوفاء بالكُـل .ولهذا ترى الناس لا يتحاسدون على النظر

---

(١) أدب الدنيا والدين صـ ١٩٨ .

(٢) بلفظ : " **استعينوا على إنجاح حوائجكم بالكتمان** " اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي٢/٦٨ .

(٣) أدب الدنيا والدين صـ ١٩٩ .

إلى زينة السماء لأن السماء لِسعة الأقطار وافية بجميع الأبصار ، فلم يكــن فيهــا تزاحم ولا تحاسد أصلاً [1] .

أمَّا المنافسة فليست بحرام ، بل هي إمَّا واجبة وإمَّا مندوبة وإمَّا مُباحة .

وقال بعض السلف : الحسد أول ذنب عُصي اللهَ بهِ في السماء ، يعني حسد إبليس لآدم عليه السلام على رتبتهِ فأبى أن يسجد له ، وأول ذنب عُصي الله بهِ في الأرض ، يعني حسد ابن آدم لأخيهِ حتى قتله.

ولو لم يكن مِن ذم الحسد إلاَّ أنهُ خُــلُــق دنيء ، يتوجه نحو الأكفاء والأقارب، ويختص بالمخالط والمصاحب ، لكانت النزاهة عنهُ كرماً ، والسلامة منهُ مغنمــاً ، فكيف وهو بالنفس مُــضرّ ، وعلى الهمّ مُــصر ، حتى ربَّما أفضى بصاحبهِ إلـــى التلف مِن غير نكاية في عدوّ ، ولا إضرار بمحسود .

قال بعض الأدباء : ما رأيتُ ظالماً أشبهُ بمظلومٍ مِن الحسود ، نَــفَــسٌ دائــم ، وهمّ لازم ، وقلبٌ هائم .

وقد قال مُعاوية رضي الله عنه : ليس في خصال الشرّ أعدل مِن الحسد ، يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود .

وقال بعض الحكماء : يكفيك مِن الحاسدِ أنهُ يغتم في وقت سرورك . وقيل فـــي منثور الحِكم : عقوبة الحاسد مِن نفسه .

الحسود قلبهُ مُــظلم وعقلهُ ضالٌ مأفون ونفسهُ مُــقفرة مِن ضياء اليقين ونـــور الإيمان ، فلا يتأمل في حُــكم ولا يُــفكر في تدبير ، لأن الحــسد أعمـــى بـــصرهُ وبصيرته [2] .

---

(١) إحياء علوم الدين ج ٣ صـــ٢٨٣ .

(٢) سمير الصالحين ج ٢ صـــ١٠١ .

وقال الماوردي : اعلم أن الحسد خُــلُــق ذميم ، مع إضراره بالبدن ، وإفــسادهِ للدِّين ، حتى لقد أمر اللهُ بالاستعاذة مِن شرّه . فقال تعالى : ﴿ **وَمِن شَـرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَـدَ** ﴾ . وناهيك بحال هذا شراً .

عن ابن الزبيرﷺ أن رسول اللهِ ﷺ قال : (**دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم : الحَسَد والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة ، ليس حالقة الشعر ولكن حالقــة الــدِّين**)[١] ، وقال ﷺ (**لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا**) [٢]

فأخبر ﷺ بحال الحسد ، وأن التحابب ينفيه[٣] .

وقال صاحب كتاب (لا تحزن) : الحَسَد كالأكلة المِلحَة تنخر العظم نخراً ، إن الحسد مرض مُزمِن يعيث في الجسمِ فساداً ، وقد قيل : لا راحة لحسود ، فهو ظالم في ثوب مظلوم ، وعدوٌّ في جلباب صديق ، وقد قالوا : للهِ درٌّ الحسد ، ما أعدلــه ، بدأ بصاحبِهِ فقتله .

إنني أنهى نفسي ونفسكَ عن الحَسَد رحمة بي وبك ، قبل أن نرحم الآخــرين ، لأننا بحسدنا لهم نطعم الهمَّ لحومنا ، ونسقي الغمَّ دماءنا ، ونوزع نوم جفوننا علــى الآخرين . والحسد داء لا يبرأ ، ثقيل لا يضعهُ حامله .

إن الحاسد يُــشعل فرناً ساخناً ثمَّ يقتحم فيه . التنغيصُ والكدرُ والهمُّ الحاضــرُ أمراضٌ يُولِّدها الحَسَد لِتقضي على الراحة والحياة الطيبة الجميلة . بلية الحاسد أنــهُ خاصم القضاء ، واتهم الباري في العدل ، وأســاء الأدب مــع الــشرع ، وخــالف صاحب المنهج .

---

(١) رواهُ البزار بإسنادٍ جيِّــد. الترغيب والترهيب ح / ٤٠٨٤ . ورواهُ البيهقي ، والترمذي ح / ٢٥١٠ ، وأحمد ، وأبي يعلى ٦٦٩ ، والطيالسي ، وعبد بن حميد . و (ضخ) عن الزبير بن العوام وصححه صاحب جوامع الكَــلِــم .
(٢) (طب) عن حمزة بن ثعلبة ، وصححه صاحب جوامع الكَــلِــم .
(٣) أدب الدنيا والدين ص ١٩٧ .

يا للحسد مِن مرض لا يؤجر عليهِ صاحبُه ، ومِن بلاءٍ لا يُــثابُ عليهِ المُبتلــى به، وسوف يبقى هذا الحاسد في حرقةٍ دائمةٍ حتى يموت أو تذهب نعم الناس عنهم، كُــلٌ يُــصالح إلاَّ الحاسد ، فالصُــلحُ معهُ أن تتخلّى عن نعــم الله وتتنــازل عــن مواهبك ، وتلغي خصائصك ومناقبك ، فإن فعلت ذلك فلعلَّهُ يرضى على مضض ، نعوذ باللهِ مِن شرِّ حاسدٍ إذا حَسَد ، فإنهُ يُــصبح كالثعبان الأسود السَّــام لا يَـــقر قرارهُ حتى يُفرغ سُــمَّـــهُ في جسمٍ بريء .

فأنهاكَ أنهاكَ عن الحَسَد ، واستعذ باللهِ مِن الحاسد فإنهُ لكَ بالمرصاد[1] .

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ :

وداريتُ كُلَّ الناس لكن حواسِدي مُداراتهــم عــزَّت وعزَّ منالها

وكيف يُداري المرءُ حاسِدَ نِعمــةٍ إذا كانَ لا يرضيهِ إلاَّ زوالها [2]

وقال الإمام أبو العزائم رَحِمَهُ اللَّهُ : الجاهل حقاً مَن يُبغض أخاهُ لأجل المـــال أو الجاه ، وأجهل مِنهُ مَن يسعى في أذية أخيهِ لينال مالاً أو جاهاً ، ومَن عمــل ذلــك أضاع الجاه والمال مِن نفسهِ ومِن أخيه . وأنتَ يا أخي إذا كانَ لكَ أخ غنـــي أو ذو جاه فأنت الغني ذو الجاه ، لأن مال أخيك مالك ، وجاه أخيك جاهــك ، والواجــب عليكَ أن تسارع في زيادة مالهِ ، وتأييد جاههِ ، لأنكَ شريكهُ في كُــل شـــيء ، إلاَّ إذا عاداك لشيطان الهوى والحظ .

أعوذ باللهِ مِن طمع يزيل الخير ، ومِن حسد يوقع في نار جهنم .

---

(١) لا تحزن صــ٣٢ .

(٢) ديوان الإمام الشافعي ، مرجع سابق ص ١٤ .

اللهُ أعلمُ حيث يجعلُ نعمته ، كما أنهُ أعلمُ حيث يجعل رسالته ، قال اللهُ تعالى : ﴿ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (١) .

وهناك مِن الناس مَن تداخلت عليه الأمور فهو يتخبط في الظلمات ؛ **فمِن قائلٍ** سأدعو الناس لانتخابه ، ولكن لن أعطيه صوتي ، **وآخر يقول** : سأعطيه صوتي ، ولكن لن أدعو الناس لانتخابه .

كما نجد قراءة الفاتحة في الانتخابات التزاماً بتأييد مُرشح معين ، وكيف ذلك والقلوب تتقلب ، والمواقف قد تتبدل .

وقد تعطي عائلة كبيرة أصواتها لمن لا يستحق لنظرهم إلى انتخابات قادمة يَردّ هو لهم فيها ما قدَّموه مِن (قرضٍ صوتيّ) !! .

وهناك مَن يقول لأحد المُرشحين : نقسم البلد نصفين ، سأعطيكَ جزءاً مِن الأصوات ، وأعطي المُرشح الآخر جزءاً ، لئلا يغضب أيّ منكما . وكل ذلك لمجرد إرضاء أحد الناس بسخط الله .

وفي الحديث " **مَن التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى الناس عنه ، ومَن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس** "(٢) .

---

(١) الإسلام نسب صـ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٢) صحيح ابن حبان ح رقم ٢٧٦ .

وفي رواية " **مَن أسخط الله في رضا الناس سخط الله عليه وأسخط عليه مَن أرضاه في سخطه ، ومَن أرضى الله في سخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه من أسخطه في رضاه ...** "[1].

ثم .. ألم يسمع هذا المخذول ما رُوي مرفوعاً (**مَن التمس محامد الناس بسخط الله عاد حامدهُ مِن الناس ذاماً**) [2] .

وفي مُسند ابن الجعد عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : (**مَن أرضى الناس بسخط الله وكله اللهُ إلى الناس ، ومَن أسخط الناس برضا الله كفاهُ الله الناس**) [3] .

وقد قلت في خواطري : كن فطناً ، فافعل ما يرضي الله لا ما يرضي الناس ، ولا تشتري الثاني بالأول فإنك عندهم مهما فعلت مَلوم .

والحق أن مِثل هذا المخذول موكولٌ إلى من أرضاه ، هيِّن عند مولاه ، إذ بدَّل ما كان يعرف .

رُوي أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ذهب إلى حُذيفة بن اليمان رضي الله عنه وهو يحتضر، فقال له : أوصني ، فقال له حُذيفة رضي الله عنه "الضلالة كل الضلالة : أن تُنكر ما كنت تعرف ، أو تعرف ما كنت تُنكر ، وإياك والتلَوُّن ، فإن دين الله واحد"[4] .

([1]) رواه الطبراني بإسناد جيِّد قويّ . انظر الترغيب والترهيب ح رقم ٣٤٠٤ .

([2]) ورد بلفظ عن هشام بن عروة عن أبيه عن السيدة عائشة – رضي الله عنها – أن النبى ﷺ قال : (**من أراد سخط الله ورضاء الناس عاد حامده من الناس ذاما**) الزهد الكبير للبيهقى ٢٤٠/٢ ، ورواه ابن لال عن السيدة عائشة مرفوعاً كما في كشف الخفا (١ / ٢٤)

([3]) ح رقم ١٥٩٣ .

([4]) البيهقى في السنن الكبرى ٤٢/١٠ .

وصدق من قال :

نُرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقعُ

وقد سبق قريباً ذكر المَــثل القائل : ما أكثر مَن يعرف الحق ولا يُعطيه (١) .

ودعني أقول لك : كيف يتوقع المرء – ولا سيَّما إذا كان لهُ رأي وموقف – ألاَّ يكون لهُ مُــخالف ، وأن يرضي جميع الناس ، مع أن المعلوم كمــا قــال الإمــام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ أن " **رضا الناس غاية لا تدرك** " .

ومعنى هذا القول أن الإنسان إذا جعل علاقته بالناس غايتها أن يُرضــيهم فلــن يستطيع تحقيق ذلك مهما أوتي مِن مالٍ أو جاه ، فإن هو أرضى بعــضهم أغــضب الآخرين ، وإن وقف بجانب الحق أغــضب أتبــاع الباطــل ، والنــاس بطــبعهم مُــختلفون في الغايات وفي الميول وكلٌ يسعى لتحقيق مصلحته وقــضاء حاجتــه ، وكذلك بواعث الرضا عِندهم مُــتنوعة مُــتباينة (٢) .

لذا فإن على المرء ألاَّ يُبالي برضا الناس إذا كان مِن ورائهِ سَــــخط اللهِ عَجَلَّ، فإن الناس يختلفون أشد الاختلاف في أذواقهم ومواقفهم، وتفكيرهم وميولهم وأهدافهم ومطالبهم . ومُــحاولة إرضائهم غاية لا تدرك ، ومطلبٌ لا يُــنال .

وفي هذا قال الشاعر :

ومَن فِي الناس يُرضي كلَّ نفسٍ وبين هوى النفوس مدىً بعيد

وقال الآخر :

إذا رضيــت عنــي كرامُ عشيرتي فــلا زال غضبــاناً عــليَّ لِئامها

---

(١) أدب الدنيا والدين صـــ ٩٠ .

(٢) كتاب ليس مِن قول النبي صلَّى الله عليه وسلَّم صـــ ١٠٧ .

ولو أرضى اللئام لأغضب – بلا ريب – الكرام .

والمُــخلص الفطن مَن أراح نفسهُ مِن عناء هذا كُــلهِ وكان شِعارهُ مع الله (١) .

فبحسبهِ أن يجهد جهدهُ لإرضاء مولاهُ تبارك شأنهُ وتعالى جــدُّه ، فــإذا ظفــر برضا الله فلا يُبالي بسخط الناس وخصوصاً إذا كانوا مِن النصف الَّــذي قال فيــهِ الشاعر قديماً :

لقد زادني حُبًّا لِنفسي أنني بغيضٌ إلى كُل امرئ غير طائلِ

وأني شقيٌّ باللئـــامِ ولا ترى شقيــاً بهم إلاَّ كريمَ الشمائلِ (٢)

وأقول : إن من يختار رجلاً بهواه على خلاف الحق وإن كان مِــــن قرابتــه ، فإنما يستمطر بهذا غضب الله عليه ، ولن ينفعه ذلك القريب ، قال تعــالى : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ .

وقال جل شأنه : ﴿ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴾.

إنني أنصح كثيراً في هذا الباب رغم عِلمي بأن المفتون بحظهِ وشهوته ، السابح في نهر بهيميته ، المُسترسلُ في غلوائه لن ينتهي ، وقد ينكر عليَّ ، ولكني والحمدُ للهِ لا أخاطبُ حيواناً يرتعُ في غيضته ، ويجهلُ ما لهُ وما عليهِ ، وإنَّما أخاطبُ الإنسان بمعناه (٣) .

---

(١) النية والإخلاص . د / القرضاوي صــ ٧٧ ، ٧٨ .

(٢) فتاوى معاصرة د / القرضاوي ج ٣ ص ١٩.

(٣) الإسلام نسَب . مرجع سابق ص ٤٨ بتصرف يسير يتناسب مع البحث .

الاختيـــار بالهـــوى خيانـــة

إن الناظر إلى الواقع يجد أن الناس لا تختار إلاَّ من سيتبع أهواءهم ، ويطـــرق سُبُلهم ، ويطيع أمرهم ، وإن كان فاجراً ، طالما أنه سيفيدهم دُنيا وإن سلبهم دِينـــاً ، على حدّ قول الشاعر :

لا يشعرون بما في دينهم نقصوا جهلاً ، وإن نقصت دنياهموا شعروا

هذا مع أن التمسك بالفضيلة واجب ، وإن كان وراءها بعض الضرر الفـــرديّ المباشر ، واتقاء الرذيلة واجب وإن درَّت بعض النفع الآني المحدود .

ولربَّما يختار أحدهم أصلح المُـــرشحين ، ثم إن حارب الفساد وخاض معـــارك مع هذا وذاك رغبة في المصلحة العامة ، وترتب على ذلك أن لم تُـــلبَّـــى طلباتـــه أو بعضها ، ثار عليه ، وقال إنه غير خدوم ، رغم أنه قدَّم أقصى ما يملك ، ولا بُدَّ من بعض التضحيات في سبيل الإصلاح إن كنا حقاً صادقين فيـــه ، جـــادِّين فـــي السعي إليه ، وإلا فسنكون قد سرنا في غير الاتجاه المنشود ، ولن يزيـــدنا طـــول السير إلاَّ بُعداً عن الهدف .

وقد حذر النبي ﷺ من مثل هذا ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قـــال النبـــيّ ﷺ : **(ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظرُ إليهم ولا يُـــزكّيهم ولهم عـــذاب ألـــيم : رجُلٌ على فضل ماء بالفلاة يمنعه ابن السبيل ، ورجُـــلٌ بايع رجُلاً على سلعةٍ بعد العصر فحلف بالله أخذها بكذا وكذا فصدَّقه ، ورجلٌ بايع إماماً لا يبايعه إلاَّ للدنيا ، فإن أعطاه منها وفى له وإن لم يعطها لم يف له)**[1] . متفق عليه .

---

(1) مسلم ١ / ٧٢ .

ورُوي الحديث بلفظ : " **ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهـم عذاب أليم : رجُل كان له فضل ماء بالطريق فمنعه مِن ابن السبيل ، ورجُل بـايع إمامه لا يبايعه إلا لدنيا ، فإن أعطاه منها رضي ، وإن لم يعطه منها سخط ، ورجُل أقام سلعته بعد العصر . فقال : والله الذى لا إله غيره لقد أُعطيت بهذا كذا وكذا ، فصدَّقه رجُل ، ثم قرأ هذه الآية ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ (آل عمران / ٧٧)** [١] .

وأخرج أحمد ، والحاكم أيضا وصحَّحه من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ **(مَن استعمل رجُـلاً على عصابةٍ وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين)** [٢] .

وعن يزيد بن أبي سُفيان قال : قال أبو بكر حين بعثني إلى الشام : يا يزيد إن لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالإمارة ، وذلك أكثر ما أخاف عليك ، فإن رسول الله ﷺ قال : **(مَن ولي مِن أمر المسلمين شيئاً فأمَّر عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يُدخله جهنم)** [٣] .

ورُوي عن النبيّ ﷺ : **(مَن ولي مِن أمر المسلمين شيئاً ، فولَّى رجلاً وهو يجد مَن هو أصلح للمسلمين منه ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين)** [٤] .

وفى رواية : **(مَن قلَّد رجلاً عملاً على عصابة ، وهو يجد في تلك العصابة مَن هو أرضى منه ، فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين)** .

وروى بعضهم ذلك مِن قول عُمَر لابن عمر رضي الله عنهما .

---

(١) البخارى – الفتح ٥(٢٣٥٨) ، موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلق الرسول الكريم ﷺ ، المجلد السادس ، ص ٢٥٠٣ .

(٢) الحاكم في المستدرك٤/٩٢، صحيح الإسناد، وفي إسناده واهٍ، إلاَّ أن ابن نمير وثقه، وحَسَّن لهُ الترمذيّ أحاديث .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ، مسند أبو بكر الصديق ٦/١ رقم ٢١ ، وأخرجه الحاكم وصححه .

(٤) رواه الحاكم في صحيحه .

وقال عُمَر بن الخطاب ﷺ : **(من استعمل رجلاً لمودةٍ أو قرابـــةٍ بينهمـــا لا يحمله على استعماله إلاَّ ذلك ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين)** [١] .

قال في حُسن السلوك : ولا يُقدَّم إلاَّ الأصلح ، فإن عدل عن الأصلح إلى غيره لأجل قرابةٍ بينهما أو صداقة ، أو مُوافقة في المذهب أو الجنس أو البلد ، أو لضغنٍ في قلبه على الأحق أو عداوة بينهما ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ، ودخل فيما نهى الله عنه من قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

بل يجب أن يكون التصرف بالأصلح للمشمول بالولاية : وقد أجمع المـــسلمون على هذا ، فإنَّ وصِيّ اليتيم وناظر الوقف ووكيل الرجل في ماله يجـــب عليـــه أن يتصرف له بالأصلح فالأصلح ، كما قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ ولم يقل إلاَّ بالتي هي حسنة ، فإذا كان الوليّ معزولاً عن غير الأصلح في مال اليتيم فمصلحة جميع المسلمين أولى بذلك[٢] .

وقال في حُسن السلوك أيضاً : " الولاة نوابُ الله على عباده ، وهـــم وكـــلاء العباد على نفوسهم، بمنزلة أحد الشريكين مع الآخر ، ففيهم معنى الولاية والوكالة ، ثم الولي والوكيل متى استناب في أموره رجلاً وترك من هو أصلح للتجارة منـــه ، أو باع السلعة بثمن وهو يجد من يشتريها بخير من ذلك الثمن فقد خان صاحبه ، لا سِيَّما إن كان بينه وبين من حاباه مودة أو قرابة ، فإن صاحبه يبغضه ويذمَّه ويـــرى أنه قد خانه وداهن قريبه أو صديقه " .

(١) موسوعة أطراف الحديث ١٧٢٩٠٢/١ .

(٢) حُسن السلوك الحافظ دولة الملوك . للموصلي . ج ١ صـــ ٨٦ .

وإنما كان ذلك لأن العدول عن الأصلح توسيدٌ للأمر إلى غير أصـــحابه ، وفـــي هذا من الهلاك ما فيه ؛ **قـــال تعـــالى** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ .

يعني اجتنبوا تلك الآثام التي وقع فيها بنو إسرائيل . لأن مـــن بـــين أخطـــائهم الأساسية أنهم كانوا وقت انحطـــاطهم يعطـــون الأمانـــات أي المناصـــب القياديـــة والزعامات الدينية والشعبية [1] إلى مَـــن لا يصلحون لها ، ومَـــن هم على خلـــق وسلوك دينيّ سيئ ، فنجم عن ذلك أن حلَّ الخراب والدمار في الشعب بأســـره فـــي ظل تلك القيادات السيئة المنحرفة . والآية تحذر المسلمين ألا يفعلوا ذلك ، بل يؤدوا الأمانات إلى أهلها أي الذين يصلحون لحمل أعبائها والقيام بها [2] .

ولذلك قال ﷺ لمن سأله : متى الساعة ؟ فقال : (**إذا ضُيعت الأمانة**) ، فقال : وكيف إضاعتها ، فقال ﷺ : (**إذا وُسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**) [3] .

قال الشيخ مُـــحَـــمَّـــد خليل الخطيب :

وإذا الأمـور لغيـر كـفـء وُسِّدَت   لـم تُـلـفِ مِن إشكالها فكَّاكا

وهناك تضطرب البلاد وتحدُث الـ   ـفوضى ويَعقبُ كل ذاك هلاكا [4]

([1]) ورد لفظ الأمانة في أحاديث النبي ﷺ للتعبير عن القيادة والرئاسة وقد رأى مترجم الكتاب أن يُنوِّه إلى هذا كـــي لا يأخذ البعض لفظ الأمانة على معناه المعروف بين العامة ، ومثال الأحاديث التي ورد فيها لفظ الأمانة للدلالة علـــى هذا المعنى قول الرسول ﷺ (**يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها (أي الولاية والقيادة) أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامـــة إلا مَـــن أخذها بحقها وأدى الذي عليها فيها**) والحديث الذى رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال { إذا ضُـــيِّعَت الأمانة فانتظر الساعة ، قيل : يا رسول الله وما إضاعتها ، قال : (**إذا وُسِّـــد الأمر إلى غير أهله فـــانتظر الـــساعة**) انظر هامش كتاب الحكومة الإسلامية ص ١١٠.

([2]) الحكومة الإسلامية ص ١٠٩ .

([3]) البخارى ، ٥/١٣٨٢ ، ح رقم ٦١٣١ .

(٤) وحي الحديث ص ٨ .

فالحق أن الاختيار بالهوى يُهلك الأمَّة .

قيل لبزرجمهر : كيف اضطربت أمور الساسان وفيهم مثلــك ؟ قــال : لأنهــم استعانوا بأصاغر العمال على أكابر الأعمال ، فآل أمرهم إلى ما آل ، **وقيــل فــي منثور الحِكَم** : " من استعان بأصاغر رجاله على أكابر أعماله فقد ضيَّــــع العمــل وأوقع الخلل " .

وذلك لأنَّ هناك تلازم بين تولية الأكفاء وبين الإتقان والإحسان في العمل ، لأن إتقان العمل لا يكون إلاَّ عن كِفاية ، فهو فرعٌ عنها(١) .

وقد قُبض في الاتحاد السوفيتيّ على عميل للبريطانيين ، فأخبر أن كل مهمتــه كانت هي وضع الشخص غير المناسب في المكان غير المناسب وبهذا تنهدم الدولة

---

(١) الإسلام نظام حياة . عبد الحميد مصطفى الشيخ صـــ ٢٨ .

اتبـــاع الحـــق لا الأشخـــاص

سبق أن بيَّـــنا أن هناك مَن يجمع تابعيه ليقرر في لحظة مَن يختار ، وهو لا ريب اختيار هوى ، وشواهده لا تخفى .

والواجب على من يُـعدُّ تابعاً له ألاَّ ينزلق في هذا المُـنزلق ، وأن يتفطن لمـا يُراد به ، ولِما سوف يجلبه عليه هذا الاختيار في الدنيا والآخرة ، وأن يعرف أنـه سيحاسب يوم القيامة وحده ولن ينفعه هذا الذي تبعه .

ولقد عاب الله على قـومٍ قـالوا ﴿ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ فبيَّـن الله ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ ،

وقد قيل : " ندر مَن ليسَ لهُ هوى "

وما أصدق قول ابن تيمية: "ليسَ أحدٌ يدور معهُ الحق حيث دار إلا مُحَمَّد ﷺ ".

فلا تذب في الآخرين ، فإن هذا هو العذاب الدائم ، إذ أنه منذ آدم إلى آخر الخليفة لم يتفق اثنان ، فأنت مختلف عن غيرك حتماً ، فلا تحشر نفسك في سِرداب التقليد والذوبان .

لكن المتأمل يجد أن المجتمع قد يقبل دون جهد أو اجتهاد بعض الأمور – أياً ما كانت طبيعتها – وكأنها حقائق عِلمية مُسَلَّم بها ، دون أي اسـتعداد ودون بـذل أي جهد حقيقي لإعادة مُـناقشة تلك المُسلَّمات ومُـناقشة مدى صحتها وواقعيتها مِـن عدمه . (١)

قال بعضهم : إن المقلِّـد بلا تمحيص على خطر ، وقبيح على مَـن أعطـي شمعة أن يُـطفئها ويمشي في الظلمة ، كما قال الإمام ابن الجوزيّ .

(١) مجلة القضاة ص ٣٩ ، من مقالة أ أميرة بهي الدين ، بتصرف .

وقال الشاعر :

أعمى يقود بصيراً لا أبا لكمُ ... قد ضلَّ مَنْ كانت العميان تهديه [(١)]

قال الإمام القرطبي ما مضمونه : " التقليد في الباطل مذموم ، أما التقليد في الحقّ فأصلٌ من أصول الدِّين ، ألا ترى أن الله سبحانه أثنى على يوسُف عليه السلام في القرآن حيث قال ﴿ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ﴾ ، فلما كان آباؤه- عليه وعليهم السلام- أنبياء متبعين للوحي وهو الدِّين الخالص الذي ارتضاه الله كان اتباعه آباءه من صفات المدح[(٢)] .

وقال ابن تيمية : " أمَّا التقليد الباطل المذموم فهو قبول قول الغير بلا حُجَّة ، قال الله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ في البقرة وفي المائدة ، وفي الصافات ﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾ ، **وقال جلَّ شأنه** ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ **الزخرف : ٢٢** ، **وقال** ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ ، **وقال** ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾ **وقال** ﴿ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ وفي الآية الأخرى ﴿ مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ﴾ **وقال** ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟

---

(١) الطريق السوى إلى وحدة المسلمين ، مرجع سابق ص ١٦٩ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي . مرجع سابق . ج ٢ صـ ٢١٦ .

أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

فهذا الاتباع والتقليد الَّذي ذمَّه الله هو اتباع الهوى : إمَّا للعادة والنسب كاتباع الآباء ، وإمَّا للرئاسة كاتباع الأكابر والسادة والمتكبرين ، وهذا يكون لمن لم يستقل بنفسه وهو الصغير " [1] .

ولقد سبق ذكر النصوص الواردة في الطاعة الواجبة ، ومنها حديث (**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**) [2] ، وحديث (**السمع والطاعة حق على المرء المسلم فيما أحبَّ وكَرِه ما لم يُؤمر بمعصية ، فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**) [3] ، وقال ﷺ كذلك : (**إنما الطاعة في المعروف**) [4] ، وقال (**لا طاعة في المعصية ، إنما الطاعة في المعروف**)[5] .

قال الإمام القشيريّ : كما لا تجوز مجاوزة الحد في وضع القدر ، لا تجوز مجاوزة الحدّ في رفع القدر ، وفي الخبر (**أُمرنا أن ننزل الناس منازلهم**) [6] .

فمن رأى من المخلوقين شظية من الإبداع أنزلهم منزلة الأرباب ، وذلك في التحقيق شِرك[7] .

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية . ج ٢٠ صـ ١٥ ، ١٦ . وقد أضفت آية { **بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ** } .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٦ / ٥٤٥ ، ح رقم ٣٣٧١٧ ، والطبراني فى المعجم الكبير ١٨ / ١٧٠ ، ح رقم ٣٨١ ، وانظر : مسند الشهاب ٢ / ٥٥ ، ح رقم ٨٧٣ . ورواه (حم ك) عن عمران والحكم بن عمرو الغفاري ، وصححه صاحب جوامع الكَلِم .

(٣) متفق عليه عن ابن عُمَر رضي الله عنه ،. البخاري في صحيحه ، جـ٦ ص ٢٦١٢ حديث رقم ٦٧٢٥ ، ومسلم في صحيحه ، جـ ٩ ، ص ٣٧ حديث رقم ٣٤٢٣ .

(٤) متفق عليه عن عليّ بن أبي طالب - كرَّم الله وجهه- .البخارى ٥٣/٢٢، حديث٦٦١٢ ، ومسلم ٣٧١/٩ رقم ٣٤٢٤ ، (حم ق) (د ن) عن عليّ ، وصححه صاحب جوامع الكَلِم .

(٥) الراوي: علي بن أبي طالب: صحيح البخاري: ٧٢٥٧

(٦) رواه مُسلم في مُقدمة صحيحه عن السيدة عائشة ، (وأبو داود ، والبزار في مسنده بلفظ : " **أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم** " ، وقال الحاكم أبو عبد الله في علل الحديث : هو حديث صحيح) ، ورواه البيهقي في الأدب ، وأبي يعلى ، والعسكري في الأمثال .

(٧) لطائف الإشارات ج ٣ صـ ٢٢ .

روى في قوله تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قال عديّ بن حاتم : سمعتُ رسول الله ﷺ يقرأها ، فقلت : يا رسول الله لم يكونوا يعبدونهم ، فقال ﷺ : **أليس يُحرِّمون ما أحل الله تعالى فيُحرِّمونه ويُحلّون ما حرَّم الله فيستحلونه** ، فقلت : بلى ، قال : " **فذلك عبادتهم** " [١] .

قال أهل المعاني : " **جعلوا أحبارهم ورهبانهم كالأرباب ، حيث أطاعوهم في كل شيء** " .

وفي الحديث " ألا لا يمنعن رجُلٌ هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه " [٢] .

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " **لا يحقرن أحدكم نفسه ، قالوا : يا رسول الله وكيف يحقر أحدنا نفسه ؟ قال : يرى أن عليه مقالا ثم لا يقول فيه ، فيقول الله عز وجل يوم القيامة : ما منعك أن تقول في كذا وكذا فيقول : خشية الناس ، فيقول : فإياي كنت أحق أن تخشى** " [٣].

وقد رُوِي : " **لا تكونوا إمعة : تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن لا تظلموا** "[٤] .

---

(١) رواهُ الترمذيّ وقال حَسَن غريب ، وانظر المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقيّ جـ١/١٩٧ ، موقع جامع الحديث

(٢) سنن الترمذي: ح رقم ٢١٩١ ، وقال: وهذا حديث حسن صحيح. وابن ماجة ح رقم ٤٠٠٧ ، وأحمد بلفظ آخر .

(٣) رواه ابن ماجه ورواته ثقات ، انظر الترغيب والترهيب ج: ٣ ص: ١٦٠ ح رقم ٣٤٨٩ ، ورواه بلفظ قريب أحمد والبيهقي والطبراني في الأوسط .

(٤)الراوي: حذيفة – خلاصة الدرجة: [إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما] – المحدث: المنذري – المصدر: الترغيب والترهيب – الصفحة أو الرقم: ٣/٣٠٨ وهو في سنن الترمذي ، وقال : : حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه – الصفحة أو الرقم: ٢٠٠٧ ، وقد ضعف الألباني إسناده في ضعيف الجامع الصغير، وكذا في تعليقه على مشكاة المصابيح، ويصح وقفه على ابن مسعود ﷺ

وعن ابن مسعود ﷺ أنه قال : " **اغد عالما أو متعلما ، ولا تكونن إمعة** "[١] .

وقال أيضاً ﷺ : **(لا يكونن أحدكم إمعة،** قالوا: وما الإمعة؟، **قال: يجري مع كل ريح)** [٢] .

ويقول أيضاً ﷺ : **(لا يتبعن أحدكم دينه رجلاً، إن آمن آمن، وإن كفر كفر، فإنه لا أسوة في الشر)**.

وقال علي بن أبي طالب ﷺ لكميل بن زياد النخعي: (يا كميل إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها للخير والناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، **وهمج رعاع أتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق** ... أفٍ لحامل حق لا بصيرة له ينقدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة لا يدري أين الحق، إن قال أخطأ وإن أخطأ لم يدر، مشغوف بما لا يدري حقيقته فهو فتنة لمن افتتن به وإن الخير كله من عرفه الله دينه وكفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف دينه) [٣] .

---

(١) الراوي: - - خلاصة الدرجة: صحيح - المحدث: ابن القيم - المصدر: أعلام الموقعين - الصفحة أو الرقم: ١٦٠/٢

(٢) (اعتلال القلوب الخرائطي) وقد ذكر ابن عبد البر بإسناده عن ابن مسعود في تفسير الإمعة أنه قال: كنا ندعو الإمعة في الجاهلية الذي يُدعى إلى الطعام فيذهب معه بغيره وهو فيكم اليوم المحقب دينه الرجال (أي يتبع دينه أقوال الرجال فيرى الدين ما رأوا هم وهو الذي يمنح دينه غيره، فيما ينتفع به ذلك الغير في دنياه، ويبقى إثمه عليه).
وقال الجوهري في صحاحه: معنى الإمعة معروف، يُقال الإمع والإمعة أيضاً للذي يكون لضعف رأيه مع كل أحد، **وقال أبو عبيد** رَحِمَهُ اللهُ أصل الإمعة هو الرجل الذي لا رأي له ولا عزم فيه، فهو يتابع كل أحد على رأيه ولا يثبت على شيء (المدخل إلى السنن الكبرى البيهقي) **ومن هذه النصوص الواردة يتضح أن معاني الإمعة تنتظم في معان محددة هي** (١): ليس له رأي خاص به (٢) ليس له موقف خاص به (٣) ليس لديه عزم على اتخاذ موقف مغاير لمن حوله. (٤) يعمل وفق منظومة الضرر للذات والنفع للجميع أو النفع للذات فقط (٥) يجيد فن إيقاع اللوم على الجميع ما عداه.

(٣) أضواء البيان الشنقيطي.

وعن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ قال : (**ليوطنن المرء نفسه على أنه إن كفر من في الأرض جميعاً لم يكفر ولا يكونن أحدكم إمعة)** ، قيل: وما الإمعة ؟ ، قال: (**الذي يقول: أنا مع الناس ، إنه لا أُسوة في الشر)** [1] .

وفي رواية قال: (**لا يَكُونُ أَحَدُكُمْ إِمَّعَةً**) ، قَالُوا: وَمَا الإِمَّعَةُ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ؟ قَالَ: يَقُولُ: (**إِنَما أَنَا مَعَ النَّاسِ إِنِ اهْتَدَوا اهْتَدَيْتُ ، وَإِنْ ضَلُّوا ضَلَلْتُ ، أَلا لَيُوَطِّنُ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ عَلَى إِنْ كَفَرَ النَّاسُ أَنْ لا يَكْفُرَ**) .

ولقد أصاب من قال:

شمّر وكن في أمور الدين مجتهداً　　　ولا تكن مثل عير قيد فانقادا

وقد يقول قائل : وأنَّى لي أن أحسن الاختيار بنفسي؟ **فأقول له** : إن معونة الله للعبد على قدر نيَّته ، وأقول له كذلك ما قاله الشيخ أحمد بن إدريس في العقد النفيس : " إذا حسنت نية العبد رأى الحق أمامه في كُل شيء ، فإذا كان أمامه الحق ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [2].

كذلك قال سُبحانه﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا ﴾ وقال كذلك ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورًا تَمۡشُونَ بِهِۦ ﴾.

---

(1) (الإبانة لابن بطة) .

(2) العِقد النفيس . مرجع سابق . صـ ١٢٢ بتصرف .

ولذلك قال الإمام عليّ- كرَّم الله وجهه ورضي عنه- : " **اتقوا ظنون المؤمنين فإن الله تعالى جعل الحق على ألسنتهم** "(١) .

ولن يكون ذلك إلاَّ بحُسن الصلة بالله واللجأ إليه .

فقد روى مُسلمٌ بسنده عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قــال : ســألتُ السيدة عائشة أم المؤمنين : بأيّ شيء كان نبي الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قــام مــن الليل؟ قالت : كان إذا قام من الليل افتتح صلاته (**اللهــم ربَّ جبرائيــل وميكائيــل وإسرافيل فاطرَ السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بــين عبــادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراطٍ مستقيم**)(٢) .

---

(١) نهج البلاغة . مرجع سابق . صـــ ٤٥٧ .

(٢) رواه مسلم ٢/١٨٥ رقم ١٨٤٧ ، دار الجيل بيروت .

مسئولية وسائل الإعلام والمُعلّمين والخطباء

إنني ألقي مسئولية كبيرة على وسائل الإعلام ، لأن دورها في توجيه الجماهير وتوعيتهم لا يُستهان به ، فتستطيع أن تكون داعي خير ، كما تملك في الوقت نفسه أن تكون داعي شرّ .

وإن ما تفعله بعض وسائل الإعلام اليوم لا يخفى على ذي عقل ، فهي تهدم ما يبنيه غيرها ، **وصدق الشاعر :**

متى يبلغ البنيانُ يوماً تمامهُ إذا كنت تبنيه وغيرك يهدمُ [١]

ولذلك يعترف عدد من علماء الاجتماع بأن الإعلام الفاسد يقف وراء كل سلوك خاطىء [٢] .

وقد قال أحد السياسيين في أيام النازية : أعطني إعلاماً بلا ضمير .. أعطيك شعباً بلا وعي .

والمطلوب من وسائل الإعلام – وأملي أن نرى ذلك – أن توجِّه الجماهير للاختيار الصحيح وتبصِّرهم بمسئوليتهم عن ذلك ، وأن تتيح الفرصة للأكفاء من المُرشحين لعرض برامجهم الانتخابية ، وألاَّ تنحاز لفاسد أو تمالئ ظالم أو تساعد مُخرِّب أو علمانيّ مغالي أو جاهل .

وإلا فقد رُوي : " **يُنادى يوم القيامة : أين الظلمة ؟ وأين أعوان الظلمة ؟ فيجمعون كلهم حتى مَن برى لهم قلما أو لاق لهم دواة ، فيجمعون ويلقون في النار** " [٣].

---

[١] البيت لصالح بن عبد القدوس . جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٣٢/٢ .

[٢] كما قال الدكتور زغلول النجار .

[٣] كتاب الورع لأحمد بن حنبل ١ / ٩٣ .

كما أنني ألقي مسئولية كبيرة على المُعلِّمين من المُدرسين وأساتذة الجامعـــات ، إذ هم آباء لمن تحت أيديهم الَّذين هم في الوقت نفسه أمانة عندهم ، فمـــن أحـــسن توعيتهم فإنما يُقدِّم بهذا أعظم خدمة للإسلام ولأمَّة الإسلام .

ومن خان الأمانة فإنما حسابه عند ربِّه ، قال تعالى ﴿ **مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْـزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا** ﴾ وقال سُبحانه ﴿ **وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَـرَهُۥ** ﴾ .

وقد قال ﷺ : (**كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته**)[1]. **والراعي** : هو الحـــافظ المؤتمن على ما يليه .

وعن الحسن ﷺ عن نبـــيّ الله ﷺ قـــال : (**إن الله ســـائل كُـــل راعٍ عمـــا استرعاه[2] حفظ أم ضيَّع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته**) [3] .

كما أن الأئمة والخطباء لهم دور كبير في ذلك ، وظني أنه ما من أحدٍ يُـسيء إلاَّ نال الخطيب المُقصر كفلاً منه ، إذ أن مسئوليته في نصح الناس لا تتكر .

بل إنني أرى أن كل مُسلم يُقتل أو يضارّ لإسلامه في أيّ بُقعـــة فهـــو مـــسئول عنه– فضلاً عن مسئوليته عن تابعيه – إن خـــان الأمانـــة فـــي صـــوته ، ولا أود

---

(1) رواه البخاري بلفظ (ألا كلكُم راعٍ وكُلّكُم مسئولٌ عن رعيته ، فالإمام الذي على الناس راعٍ وهو مسئولٌ عن رعيته ، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسئولٌ عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم وعبد الرجُـــل راعٍ على مال سيِّده وهو مسئولٌ عنه ، ألا فكُلكُم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته) ح رقـــم ٦٧١٩ ، ورواه مسلم بلفظ قريب ح رقم ١٨٢٩ .

(2) بلفظ " **إن الله تعالى سائل كل راعٍ عما استرعاه** " رواه (ن حب هق) عن أنس ، وحسنه صاحب جوامع الكَـــلِـــم .

(3) رواه ابن حبان في صحيحه ، ١٠ / ٣٤٥٠ رقم ٤٤٩٣ ، ط مؤسسة الرسالة .

التفصيل أكثر من ذلك ، فالإجمال أحياناً خير من البيان والإشارة تغني عن العبــارة والمؤمن كيِّــسٌ فطن(1) .

وإن مما يُحزن أشد الحُزن أن بعض الخطباء والمُعلِّمــين يتــشدقون بفلــسطين وغيرها ، ويبكون أو يتباكون مما يحدث ، فإذا جاءت الانتخابات منحوا أصــواتهم لمن لا يستحق ، بل يطلبون من الناس أن يفعلوا مثلهم فيحملون بذلك أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم ، سواء كان ذلك عن هوى أو عن جهل .

وقد رُوي " **اثنان من الناس إذا صلحا إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فــسد الناس : العلماء والأمراء** " (2).

إن مما يشترط في الإمام الخطيب - فيمــا أرى - (1) **العلــم.** (2) **معرفــة الواقع** (3) **الولاء لله ولرسوله ﷺ وللأمَّة .**

وصدق القائل : " إن من أخطر آفات العِلم وأهل الفتوى خاصة أمرين :

أولهما : اتباع أهواء السلاطين والحُكام والولاة وتفريخ الفتاوى تبريراً لمظالمهم وانحرافاتهم .

وثانيهما : اتباع أهواء عامة الناس وجماهيرهم والدخول في سوق المُزايــدات حسب الرائج عندهم (3) .

والعالِم الَّذي يتبع أهواء الجمهور لأشد خطراً من العالِم الَّذي يتبع هوى السُلطان فإن هذا سُرعان ما يُكشف ويفتضح أمره ، أمَّا الآخــر فظــاهره الــتحمس للــدين

---

(1) ليس بحديث . انظر مسند الشهاب للقضاعي ١ / ١٠٧ موضوع .

(2) حلية الأولياء لأبي نعيم ٤ / ٩٦ .

(3) لعله من قول د / يوسف القرضاوي أو الشيخ مُــحَــمَّــد الغزالي .

والحرص عليه فلا يُكتشف إلاَّ بصعوبة ولا يعرف زيفه إلاَّ أصحاب البصائر ، أمَّـــا العامَّـــة فهم محجوبون بظاهرِه عن حقيقته .

وبهذا تكون قد تمت سوأته وطاشت رميته .

روى الطبراني وابن خزيمة في " صحيحه " وغيرهما مرفوعاً : " **إني أخاف علـــى أمتي من الأعمال ثلاثة** ، قالوا : وما هي يا رسول الله ؟ قال : **زلة عـــالم** وحكـــم جائر وهوى متبع " (١) .

---

(١) المعجم الكبير للطبرانى بلفظ: " **إني أخاف على أمتي مِـــن بعدي مِـــن أعمال ثلاثة** " ، قالوا : ما هي يا رسول الله ؟ قال (**زلة عالم أو حكم جائر أوهوى متبع**) ١٧/١٧ رقم ١٤ مكتبة العلوم والحكم . وبلفظ : "**إني أخاف على أمَّتي من أعمال ثلاثة** " ، قالوا : وما هي يا رسول الله ؟ **قال** : " **زلَّة عالم ، وحكمٌ جائر ، وهوىً متبـــع** " رواهُ البـــزار والطبراني مِن طريق كثير بن عبد الله المزني وهو واه ، وقد احتج بهِ الترمذي وأخرج لهُ ابن خزيمة في صحيحه ، وبقية إسنادِه ثقات .

ثمـــرة الاختيـــار الصحيح

إن أمل بلا عمل لونٌ من الكذب ، وقد قيل : **لا تُــبلغ الغايات بالأماني** (١) .
وإن مَــن يخاف من الموت عنده حلّ ؛ وهو أن لا يولد .

وقد قال الشاعر :

كالعيس في البيداء يقتلها الظما   والماء فوق ظهورها محمول (٢)

ولذلك فعندما سُــئل الشيخ الشعراويّ – رحِمَه الله ورضي عنــه – لمــاذا لــم تُطبَّــق الشريعة الإسلامية حتى الآن ؟ ، **قــال** : هذا سؤال يجــب أن يَــرُدَّ عليــه الشعب نفسه ، لأنه هو الذي يختار المُشرِّعين لهذا البلد ، فهل كان في مقياسكم عند من انتخبتموه عهدٌ أن يحكم بكتاب الله ؟

واستطرد : لقد قلت إننا لا نريد من البشر أن يُعلنوا رأيهم في منهج الله ، ولكن أريد منكم أن يُعلن مجلس الشعب الذي يعطيه الدستور مُهمة التشريع في هذا البلــد أنه لا يجد في تشريعات الخلق بديلاً عن تشريعات الحق ، أريد منكم أن يكون ذلك هو الأساس الذي تُحاسبون نوابكم عليه ، ماذا أدوا لدينهم في مجلسهم التــشريعي ، وحين يوجد مثل هذا يكون النواب قد علموا أنهم اختيروا على أساس أن يُعلنــوا أن حكم الله هو الذي يجب أن يسيطر على هذا البلد ، وأن دســتوره يجــب أن يطبــق تطبيقاً عاجلاً عادلاً أ.هـــ (٣) .

---

(١) اللطائف في الحكم والمعلومات والطرائف ، مرجع سابق ص ٩ .

(٢) الطريق السوى إلى وحدة المسلمين ، مرجع سابق ص ١٦٢ .

(٣) الفتاوى للشعراوي صـــ ٢٦٥ ، **قلت** : ومن عجب أن بعض الناس ينزعج عند سماعه مَن يطالب بتطبيق منهج الله ، مع أن الله هو الذى خلق الإنسان وهو الذى وضع له القانون الذى يصلحه فى كل أموره ، ولا يستقيم حاله بدونـــه ، لأنه الأعلم به ، قال تعالى : (**أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**) .

قال جامعه : ولو صدقنا مع الله لتحقق ذلك، وصدق عامر بن الظرب في قوله: **" مَــــن طلب شيئاً ناله أو بعضه ، وإن لم يجده يوشك أن يقع قريباً منه " (١).**

وقد قال الإمام الشيخ الشعراويّ في خطبته يوم عرفه : لو أراد الحاكمون أن يتقربوا إلى هذه الشعوب المؤمنـــة ، فعليهم أن يُـــعلنوها كلمة مُـــدوية : الحُــكم مِــن الآن لله ، والدستور من الآن القرآن ، ومنهج حياتنا هو ما تركه لنا ﷺ مِـــن كتاب الله وسُـــنة نبيِّـــه ، لو تمسكنا بهما لن نضل .

نريد أن يكون لبيك شعار كل حياتنا ، كل حركاتنا في الحياة شعارها لبيك ، فإن أمَــر البشر وأمَــر الله فطاعة الله أولي بلبيك ، وإن أمَــرت القوانين الوضعية وأمَــر دستور الله في القرآن ، فلا شعار إلا لبيك . أ. هـــ . انظــر : خطبة الإمام الشيخ مُــحَــمَّــد متولي الشعراوي في يوم عرفه عام ١٣٩٦ هـــ – ١٩٧٦ م :مجلة الرسالة : السنة السابعة – العــدد (٢٦) – ذو الحجة (١٤٢٨ هـــ – يناير ٢٠٠٨ م ص ٥٠ .

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ : أسلم يقتضي مُــسلماً وهو الإنسان .. ومسلماً إليه .. ومسلماً فيه .. أنا لا أُسلم نفسي إلـــى مساوٍ من البشر .. وإنما أسلم زمامي بيدي للحق سبحانه وتعالى ، وكل عملي أوثق ما صدر مِـــن الله وصدر عـــن رسول الله ﷺ الذي هو المُـــشرع الثاني . انظر فتاوى الشعراوي ص ٤٠٧ .

قلت: وهل المطلوب أن نستورد مناهج شرقية وغربية بدلاً عن منهج الله **{أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ}** ، وكما قالت العرب : أحَــشَــفاً وسوء كيلة .

وقال الشيخ الشعراوي كذلك ما مضمونه : لعل مَـــن يخشى من أحكام الشريعة ينوي أن يسرق ويزني ويقتل ويظلم دون أن يعاقب .

قلت : إن مَـــن يختزل أحكام الشريعة الإسلامية في تطبيق الحدود إما واهم يحتاج إلى أن يُـــعلَّم أو صاحب هوى ؛ إذ هي لا تمثل إلا قرابة ٣ % من الأحكام ، كما أن معظم القوانين كالقانون المدني وغيره مأخوذة من الفقه المالكي فهي بضاعتنا رُدَّت إلينا ، والمقصود من أحكام الشريعة أعمّ ؛ إذ يشتمل قواعـــدها الكليـــة ومقاصـــدها العامـــة ، ونصوصها قطعية الثبوت وقطعية الدلالة ، كما أن الشريعة الإسلامية كانت ولا تزال ملاذاً يستنجد به أتباع الملـــل الأخرى فضلاً عن كبرائهم عند شعورهم بأي ظلم أو انتقاص مما لهم ، وقد عاش الذميون تحـــت مظلـــة الدولـــة الإسلامية وحكم الإسلام فما ظلمهم أو جار على حقوقهم أحد .

فمنهج الله هو الأولى والأصلح للتطبيق .

قال تعالى : (**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُــسِهِمْ حَرَجًــا مِمَّـــا قَــضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**) . وقال سبحانه : (**وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُـــوكَ عَـــنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ**) ، وقال جلَّ وعلا : (**لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ**) .

وقد قلت في خواطري : حالنا في الخوف مِـــن تطبيق منهج الله كحال مَـــن لم ينقذ مَـــن يغرق خشية إصابته بزكام متوهم .

لكن لا بُـــدَّ مِـــن الترفق ، وقد سأل سيدَنا عُـــمَـــر بن عبد العزيز ابنُـــه قائلاً له : لِـــم لا تحمل الناس على الحق ، فوالله ما أبالي إن غلت بي وبك القدور في سبيل الله ، فقال له : " يا ولدي . أخاف أن أحملهم على الحـــق جُـــــملة فيتركوه جُـــملة " .

(١) حكايات الأمثال العربية . مجدي كامل . صــــ ٦٥ .

وقد قيل : التمني بداية الطريق لإدراك الأماني ، **وقيل** : تفاءلوا بالخير تجدوه .
والتغيير الكَـمِّـي يُـحدثُ تغييراً نوعياً ؛ كحالة الماء الـسائل عنـدما يُـسخن تدريجياً ، فإنه يظل سائلاً قبل الغليان مباشرة ، ثم يتحول إلى بخار بعد ذلك مباشرة

إن المسلمين جميعاً مخاطبون بالشرع ، ومن أول واجبـاتهم أن يعملـوا علـى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وليس أحدهم مأموراً بأن ينظر فقط إلى نفسه وما في يده من الأمر ، وإنما عليه أن يعمل على إقامة الدين على نفـسه وعلـى غيره ، وعلى ما في يده وعلى ما في يد غيره . وإذا كان الاختيار متروكاً لفئة من الناس ، فإن من واجب الأمة كلها أن تحمل هذه الفئة على أداء واجبها وإلا شاركتها في الإثم ، بل من واجب الأمة أن تنحي هذه الفئة – إذا لم تقم بواجبها – وأن تقـدم غيرها لأن الأمة اختارتها وألقت إليها بأمرها لتمثل جماعة المسلمين ، فإن لم تـؤد واجبها سقطت عنها صفتها ، بما ارتكبت من إثم وزالت عنها صـفة النيابـة عـن الأمة ، وكان على الأمة أن تختار فئة أخرى تنوب عنها وتمثلها (١) .

ولتعلم أخي القارىء أن الإسلامَ محاربٌ في داخل بعض دول الإسلام أكثر من خارجها ، فادحر الحرب عليه في الجبهة الداخلية تُـدحر الخارجية ، وأول مفتـاح لذلك هو صوتك ، فأحسِن وضعه حيث يرضى الله ليرضى الله عنك ، وبهذا يصلح حالك وحال الأمَّة كلها .

قال الماورديّ : " فإذا اجتمع أهل الحلّ والعَـقد للاختيار ، تصفحوا في أحوال أهل الإمامة الموجودة فيهم شروطاً ، فقدَّموا للبيعة منهم أكثرهم فضلا ، وأكملهم شروطا . ومَن يُسرع الناس إلى طاعته ، ولا يتوقفون عن بيعته "(٢).

---

(١) من معالم النظام السياسي في الدولة الإسلامية ، مرجع سابق ص ١٠٩ ، بتصرف يسير .

(٢) (الأحكام السلطانية ص ٦-٧) ، وانظر المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

وصدق من قال :

إذا الشعب يوماً أراد الحيـاة فلا بد أن يستجيب الـقـدَر
ولا بُـدَّ لـلَّيـل أن ينجـلي ولا بد للقيـد أن ينكسـر

وقد قال الشاعر :

وعيش تحت ظل العزّ يوماً ولا تحت المذلة ألف عامِ

وقد تحسر الشاعر محمود غنيم على حال المسلمين ؛ فقال :

أنّى اتجهت إلى الإسلام في بلدٍ تجده كالطير مقصوصاً جناحاهُ

مدى أهمية مجلسي الشعب والشورى

إن لمجلسي الشعب والشورى أهمية كبيرة تبين مما يلي :

وسوف نتحدث عن ذلك في ظل النصوص التي كانت توجد في دستور ١٩٧١م نظراً لقلة مواد الإعلان الدستوري المؤقـت ، ولأن الغالـب والمنتظـر أن تزيـد الاختصاصات مستقبلاً بمقتضى الدستور الجديد ، ليكون البرلمـان أشـبه بمجلـس رئاسي مُـوَسَّـع .

أولاً : بعض اختصاصات مجلس الشعب :

نجد أن المادة ١٨٩ مِن دُستور ١٩٧١ م كانت تُعطي لِمجلس الـشعب حـق تعديل الدستور ، بناءً على طلب مِن ثلث أعضاء المجلس على الأقل ، وإذا وافـق على التعديل ثلثا الأعضاء ، عُرِض على الشعب لاستفتاءه فـي شـأنه ، والتـاريخ يُؤكد أن الشعب عادة ما يوافق على ما وافق عليه مُمثلوه في البرلمان .

كما أن مِن اختصاص المجلس اقتراح القوانين ، ومُـناقـشة مـشروعاتها ثـم إصدارها ، وبالنسبة للمُعاهدات والاتفاقات الدولية فإن له الحق في المُوافقة عليهـا أو رفضها أو إرجاء نظرها .

كذلك تُعرض على مجلس الـشعب مـشروعات قـوانين الخطـة والمُوازنـة والحسابات الختامية ، ولا يجوز فض الدورة العادية لِمجلس الشعب قبـل اعتمـاد المُوازنة العامة للدولة .

ولمجلس الشعب أن يطلب مِن الجهاز المركزي للمُحاسبات أية بيانات أو تقارير

كذلك لا يجوز فرض ضريبة أو عقد قرض إلاَّ بموافقة مجلس الشعب .

فالمادة ١١٩ مِن دُستور ١٩٧١ م كانت تنص في فقرتهـا الأولـى علـى أن (إنشاء الضرائب العامة أو تعديلها أو إلغائها لا يكون إلاَّ بقانون).

والمادة ١٢١ من دُستور ١٩٧١ م كانت تُـقرر أنه لا يجوز للسُلطة التنفيذيـة عقد قروض أو الارتباط بمشروع يترتب عليه إنفاق مبالغ مِـن خزانـة الدولـة إلاَّ بموافقة مجلس الشعب .

ثانياً : رقابة السُلطة التشريعية على السُلطة التنفيذية

يُجمع الفقهاء مِن أساتذة القانون الدستوري على أن هذه المُراقبة والمُحاسبة هي أهم وظائف المجالس النيابية ، نظراً لِمسئولية الحكومة سياسياً أمام البرلمان .

وتتخذ الرِقابة على أعمال الحُكومة صوراً مُتعددة : نـصَّ عليهـا الدُسـتور ، وبيَّـنتها تفصيلاً اللائحة الداخلية ، نُجملها فيما يلي :

١- الأسئلة. ٢- طلبات الإحاطة . ٣- الاستجوابات .

٤- طلبات المُناقشة. ٥- لِجان تقصي الحقائق .

أولاً : الأسئلة : طبقاً للمادة ١٢٤ مِن **دُستور** ١٩٧١ م كان لِكُـل عُضو مِـن أعضاء مجلس الشعب أن يُوجِّه إلى رئيس مجلس الوزراء أو أحد نوابه ، أو أحـد الوزراء أو نُوابهم ، أسئلة في أيّ موضوع يدخل في اختصاصهم ، للتحقـق مِـن حُصول واقعة نما عِلمها إليه ، أو للوقوف على ما تعتزمه الحُكومة في أمـرٍ مِـن الأمور .

ويجب الإجابة على السؤال ، ولا يجوز أن يتأخر الرد على السؤال أكثـر مِـن شهر .

ثانياً : طلبات الإحاطة : طِبقاً للمادة ١٩٤ مِن اللائحة الداخلية (لِكُـل عُـضو مِن أعضاء مجلس الشعب أن يطلب إحاطة رئيس مجلس الوزراء أو غيـره مِـن أعضاء الحُكومة عِلماً بأمر له أهمية عامة وعاجلة ، ويكون داخلاً في اختـصاص من يوجَّه إليه .

ثالثاً :الاستجواب : وهو أخطر أداة وضعها الدُستور في يد مجلس الــشعب ، إذ أنه يُمكن أن ينتهي إلى تقرير مسئولية رئيس مجلس الوزراء ، أو سحب الثقة مِــن الوزير المُستجوب .

وقد كان دُستور ١٩٧١م ينص على حق توجيه الاستجواب في المادة ١٢٥ مِنه.

وتجري مُناقشة الاستجواب بعد سبعة أيام على الأقل مِن تقديمه ، إلاَّ في حالــة الاستعجال التي يراها المجلس وبمُوافقة الحُكومة .

ويجوز لِسائر أعضاء المجلس الاشتراك في الاستجواب ، حتى لو عَدَلَ صاحب الاستجواب عن استجوابه .

رابعاً : طلبات المُناقشة : طِبقاً للمادة ١٢٩ مِن دُستور ١٩٧١ م كــان يجــوز لِعِشرين عُضواً على الأقل مِن أعضاء مجلس الشعب طرح موضوع عام للمُناقــشة لاستيضاح سياسة الوزارة بشأنه .

خامساً : لِجان تقصي الحقائق : طبقاً للمادة ١٣١ مِن **دُستور** ١٩٧١ م : فقــد كان لمجلس الشعب تشكيل لِجان تقصي حقائق بهدف فحص نشاط إحدى المــصالح الإدارية أو المؤسسات العامة ، أو أي جهاز تنفيذي أو إداري ، أو أي مشروع مِت المشروعات العامة ، وذلك مِن أجل تقــصي الحقــائق وإبــلاغ المجلــس بحقيقــة الأوضاع المالية أو الإدارية أو الاقتصادية ، أو إجراء تحقيــق فــي أي موضــوع يتعلق بعمل مِن الأعمال السابقة .

وتشكيل لجنة تقصي الحقائق يهدف وبالدرجة الأولى إلى الوصول إلــى أحد أمور ثلاثة :

الأول : أن يُسفر تقصي الحقائق عن عدم وجود أية أخطاء أو مُخالفــة ، وقــد جرت العادة في مِثل هذه الأحوال على أن يُصدر المجلس قراراً ، وبعــد مُناقــشته لِتقرير اللجنة باستمرار الثقة في الحُكومة .

الأمر الثاني : أن يكشف التحقيق الَّذي تُجريه اللجنة ، ويُقره المجلس عن وجود خلل في التشريعات التي تحكم أعمال الجهة التي تم فحص أعمالها ، بما يــستوجب عِلاج هذا الخلل ، وفي هذه الحالة يتولى المجلس مُهمة إجراء التعديلات التشريعية أو يطلب إلى الحُكومة التقدُم بمشروعات القوانين التي تكفل تلافي هذا الخلل أو تلك العُيوب .

الأمر الثالث : أن تتوصل اللجنة إلى نتائج تؤكد على عدم التزام الجهــة التــي أجري تقصي الحقائق في شأنها بسيادة القانون ، أو بالخطة ، أو بالموازنـــة العامــة للدولة ، ويُقرها المجلس في ذلك ، **وفي هذه الحالــة يُرتــب المجلــس مــسئولية الحُكومة** (١) .

ثالثاً : النصوص الدستورية الخاصة بمجلس الشعب :

المادة (٨٦) يتولى مجلس الشعب سلطة التشريع، ويقر السياسة العامــة للدولــة، والخطة العامة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، والموازنة العامة للدولة، كما يمارس الرقابة على أعمال السلطة التنفيذية، وذلك كله على الوجه المبين فى الدستور .

المـادة (١٠٨) لرئيس الجمهورية عند الضرورة وفى الأحوال الاســتثنائية وبنــاء على تفويض من مجلس الشعب بأغلبية ثلثى أعضائه أن يصدر قرارات لهــا قــوة القانون، ويجب أن يكون التفويض لمدة محدودة وأن تبين فيــه موضــوعات هــذه القرارات والأسس التى تقوم عليها، ويجب عرض هذه القــرارات علــى مجلــس

(١) أصول الممارسة البرلمانية. سامي عبد الصادق. المُـجلد الأول ص٤٠٦

الشعب فى أول جلسة بعد انتهاء مدة التفويض، فاذا لم تعــرض أو عرضــت ولــم يوافق المجلس عليها زال ما كان له من قوة القانون .

المــادة (١٠٩) لرئيس الجمهورية ولكل عضو من أعضاء مجلــس الــشعب حــق اقتراح القوانين .

المادة (١١٣) اذا اعترض رئيس الجمهورية على مشروع قــانون أقــره مجلــس الشعب رده اليه خلال ثلاثين يوما من تاريخ ابلاغ المجلس ايــاه، فــإذا لــم يــرد مشروع القانون فى هذا الميعاد اعتبر قانونا وأصدر. واذا رد فى الميعاد المتقدم الى المجلس وأقره ثانية بأغلبية ثلثى أعضائه اعتبر قانونا وأصدر .

المــادة (١١٤) يقر مجلس الشعب الخطة العامة للتنمية الاقتــصادية والاجتماعيــة ويحدد القانون طريقة اعداد الخطة وعرضها على مجلس الشعب .

المادة (١١٥) يجب عرض مشروع الموازنة العامة على مجلس الشعب قبل ثلاثــة أشهر على الأقل من بدء السنة المالية، ولا تعتبر نافذة إلا بموافقتــه عليهــا. ويــتم التصويت على مشروع الموازنة بابا بابا. ويجوز لمجلس الشعب أن يعدل النفقــات الواردة في مشروع الموازنة، عدا التي ترد تنفيذا لالتزام محدد علــى الدولــة. وإذا ترتب على التعديل زيادة في إجمالي النفقات وجب أن يتفق المجلس مــع الحكومــة على تدبير مصادر للإيرادات بما يحقق إعادة التوازن بينها وبين النفقات. وتــصدر الموازنة بقانون يجوز أن يتضمن تعديلا في أي قانون قائم بالقدر اللازم لتحقيق هذا التوازن. وإذا لم يتم اعتماد الموازنة الجديدة قبل بدء السنة المالية عمل بالموازنــة القديمة لحين اعتمادها. ويحدد القانون طريقة إعداد الموازنة ، كمــا يحــدد الــسنة المالية .

المــادة (١١٦) تجب موافقة مجلس الشعب على نقل أى مبلغ من باب الى آخر من أبواب الموازنة العامة ، وكذلك على كل مصروف غير وارد بها. أو زائــد فــى تقديراتها، وتصدر بقانون .

المادة (١١٧) حدد القانون أحكام موازنات المؤسسات والهيئات العامة وحساباتها .

المــادة (١١٨) جب عرض الحساب الختامي لميزانية الدولة على مجلس الــشعب في مدة لا تزيد على ستة أشهر من تاريخ انتهاء السنة المالية. ويتم التصويت عليــه باباً باباً. ويصدر بقانون. كما يجب عرض التقريــر الــسنوي للجهــاز المركــزي للمحاسبات وملاحظاته على مجلس الشعب. وللمجلــس أن يطلــب مــن الجهــاز المركزي للمحاسبات أية بيانات أو تقارير أخرى .

المــادة (١١٩) نشاء الضرائب العامة وتعديلها أو إلغاؤها لا يكون الا بقــانون ولا يعفى أحد من أدائها الا فى الأحوال المبينة فى القانون .

ولا يجوز تكليف أحد أداء غير ذلك من الضرائب أو الرســوم إلا فــى حــدود القانون .

المادة (١٢٠) ينظم القانون القواعد الأساسية لجباية الأموال العامــة وإجــراءات صرفها .

المادة (١٢١) لا يجوز للسلطة التنفيذية عقد قروض أو الارتباط بمشروع يترتــب عليه انفاق مبالغ من خزانة الدولة فى فترة مقبلة الا بموافقة مجلس الشعب .

المــادة (١٢٢) يعين القانون قواعد مــنح المرتبــات والمعاشــات والتعويــضات والإعانات والمكافآت التى تتقرر على خزانية الدولــة .ويــنظم القــانون حــالات الاستثناء منها والجهات التى تتولى تطبيقها .

المــادة (١٢٣) يحدد القانون القواعد والإجراءات الخاصة بمنح الالتزامات المتعلقة باستغلال موارد الثروة الطبيعية والمرافق العامة، كما يبين أحوال التصرف بالمجان فى العقارات المملوكة للدولة والنزول عن أموالها المنقولة والقواعــد والإجــراءات المنظمة لذلك .

المـادة (١٢٤) لكل عضو من أعضاء مجلس الشعب أن يوجه الى رئيس مجلــس الوزراء أو احد نوابه أو أحد الوزراء أو نوابهم أسئلة فى أى موضوع يــدخل فـــى اختصاصاتهم .

وعلى رئيس مجلس الوزراء أو نوابه أو الوزراء أو من ينيبونه الإجابـــة عـــن أسئلة الأعضاء .

ويجوز للعضو سحب السؤال فى أى وقت ولا يجوز تحويله فى نفــس الجلــسة الى استجواب .

المـادة (**١٢٥**) لكل عضو من أعضاء مجلس الشعب حق توجيه استجوابات الـــى رئيس مجلس الوزراء أو نوابه أو الوزراء أو نوابهم لمحاسبتهم فى الــشئون التـــى تدخل فى اختصاصاتهم .

وتجرى المناقشة فى الاستجواب بعد سبعة أيام على الأقل من تقديمـــه، الا فـــى حالات الاستعجال التى يراها المجلس وبموافقة الحكومة .

المادة (١٢٦) الوزراء مسئولون أمام مجلس الشعب عن السياسة العامة للدولـــة، وكل وزير مسئول عن أعمال وزارته .

ولمجلس الشعب أن يقرر سحب الثقة من أحد نواب رئيس مجلس الــوزراء أو أحد الوزراء أو نوابهم، ولا يجوز عرض طلب سحب الثقة الا بعد استجواب، وبناء على اقتراح عشر أعضاء المجلس .

ولا يجوز للمجلس أن يصدر قراره فى الطلب قبل ثلاثة أيام على الأقــل مـــن تقديمه. ويكون سحب الثقة بأغلبية أعضاء المجلس .

المادة (**١٢٧**) لمجلس الشعب أن يقرر بناء على طلب عشر أعــضائه مــسئولية رئيس مجلس الوزراء ، ويصدر القرار بأغلبية أعــضاء المجلــس. ولا يجــوز أن

يصدر هذا القرار إلا بعد استجواب موجه إلى الحكومة، وبعد ثلاثة أيام على الأقــل من تقديم الطلب. وفي حالة تقرير المسئولية يعد المجلس تقريرا يرفعه إلى رئـــيس الجمهورية متضمنا عناصر الموضوع وما انتهى إليه من رأى فـــي هـــذا الـــشأن وأسبابه. ولرئيس الجمهورية أن يقبل استقالة الـــوزارة أو أن يـــرد التقريـــر إلـــى المجلس خلال عشرة أيام، فإذا عاد المجلس إلى إقراره بأغلبية ثلثي أعـــضائه قبـــل رئيس الجمهورية استقالة الوزارة. وإذا رفض المجلس اقتراحـــاً بمـــسئولية رئـــيس مجلس الوزراء، فلا يجوز طلب سحب الثقة في موضوع سبق للمجلـــس أن فـــصل فيه في ذات دور الانعقاد .

المادة (١٢٨) اذا قرر المجلس سحب الثقة من أحد نواب رئيس مجلس الوزراء أو الوزراء أو نوابهم وجب عليه اعتزال منصبه .

ويقدم رئيس مجلس الوزراء استقالته الى رئيس الجمهورية اذا تقررت مسئوليته أمام مجلس الشعب .

المادة (١٢٩) يجوز لعشرين عضوا على الأقل من أعضاء مجلس الشعب طـــرح موضوع عام للمناقشة لاستيضاح سياسة الوزارة بشأنه .

المادة (١٣٠) لأعضاء مجلس الشعب إبداء رغبات فى موضوعات عامـــة الـــى رئيس مجلس الوزراء أو أحد نوابه أو أحد الوزراء .

المـادة (١٣١) لمجلس الشعب أن يكون لجنة خاصة أو يكلف لجنـــة مـــن لجانـــه بفحص نشاط احدى المصالح الإدارية أو المؤسسات العامة، أو أى جهاز تنفيذى أو ادارى، أو أى مشروع من المشروعات العامة، وذلك من أجـــل تقـــصى الحقـــائق، وابلاغ المجلس بحقيقة الأوضاع الماليـــة أو الاداريـــة أو الاقتـــصادية، أو اجـــراء تحقيقات فى أى موضوع يتعلق بعمل من الأعمال السابقة .

وللجنة فى سبيل القيام بمهمتها أن تجمع ما تراه من أدلة، وأن تطلب سماع مـــن

ترى سماع أقواله، وعلى جميع الجهات التنفيذية والإدارية أن تستجيب الى طلبهــا، وأن تضع تحت تصرفها لهذا الغرض ما تطلبه من وثائق أو مستندات أو غير ذلك .

المادة (١٣٢) يلقى رئيس الجمهورية عند افتتاح دور الانعقاد العادى لمجلس الــشعب بيانا يتضمن السياسة العامة للدولة، وله الحق فى إلقــاء أى بيانــات أخــرى أمــام المجلس .

ولمجلس الشعب مناقشة بيان رئيس الجمهورية .

المادة (**١٣٣**) يقدم رئيس مجلس الوزراء برنامج الوزارة خلال ستين يومــا مــن تاريخ تأليفها إلى مجلس الشعب، أو في أول اجتماع له إذا كان غائبا. وإذا لم يوافق المجلس على هذا البرنامج بأغلبية أعضائه قبل رئيس الجمهورية استقالة الــوزارة. وإذا لم يوافق المجلس على برنامج الوزارة الجديدة، كان لرئيس الجمهورية أن يحل المجلس أو يقبل استقالة الوزارة. ويجوز لرئيس مجلس الوزراء والوزراء ولغيرهم من أعضاء الحكومة إلقاء بيان أمام مجلس الشعب أو إحدى لجانه عــن موضــوع داخل في اختصاصه، ويناقش المجلس أو اللجنة هذا البيان ويبدى مــا يــراه مــن ملاحظات بشأنه .

المادة (**١٣٥**) يسمع رئيس مجلس الوزراء فى مجلس الشعب ولجانه كلما طلبــوا الكلام، ولهم أن يستعينوا بمن يرون من كبار الموظفين. ولا يكون للوزير صــوت معدود عند أخذ الرأى، الا اذا كان من الأعضاء .

المادة (**١٣٦**) لا يجوز لرئيس الجمهورية إصدار قرار بحل مجلــس الــشعب إلا عند الضرورة. وإذا حل المجلس في أمر فلا يجوز حل المجلس الجديد لذات الأمر . ويجب أن يشتمل القرار على دعوة الناخبين لإجراء انتخابات جديدة لمجلس الشعب في ميعاد لا يجاوز ستين يوما من تاريخ صدور قرار الحــل. ويجتمــع المجلــس الجديد خلال الأيام العشرة التالية لإتمام الانتخاب .

رابعاً : اختصاصـات مجلـس الشورى [1]

١) موضوعات كان دستور ١٩٧١ م يعطي لِمجلس الشورى الحق في دراستها واقتراح ما يراهُ بشأنها وهي :

- دعم الوحدة الوطنية.
- دعم السلام الاجتماعي .
- حماية المُــقوِّمات الأساسية للمُــجتمع وقيمه العليا .
- حماية الحقوق والحُــريَّــات والواجبات العامة .

٢) موضوعات يُــؤخذ فيها رأي المجلس وهي :

- مشروع الخطة العامة للتنمية الاجتماعية والاقتصادية.
- مـــا يُــحيلهُ عليـــهِ رئيس الجمهورية مِن مشروعـــات قوانين أو موضوعات تتصل بالسياسة العامة للدولة أو بسياستها في الشئون العربية أو الخارجية .
- يُــبلِّغ مجلس الشورى رأيهُ إلى رئيس الجمهورية ومجلس الشعب

٣) موضوعات يجب موافقة المجلس عليها :

- الاقتراحات الخاصة بتعديل مادة أو أكثر من مواد الدستور

---

[1] عن مجلة مجلس الدولة . السنة الثامنة والعشرون . بتصرف يتفق مع التعديلات الدستورية . صــ ٩٦ – ٩٨ . بحث عن المجالس النيابية للسيِّــد المُــستشار / مُحَمَّــد يُــسري زين العابدين . نائب رئيس مجلس الدولة .

- مشروعات القوانين المكملة للدستور [١] والتي نصت عليها المــواد ٥ و٦ و٤٨ و٦٢ و٧٦ و٨٥ و٨٧ و٨٨ و٨٩ و٩١ و١٦٠ و١٦٣ و١٦٧ و١٦٨ و١٧٠ و١٧١ و١٧٢ و١٧٣ و١٧٥ و١٧٦ و١٧٧ و١٧٨ و١٧٩ و١٨٣ و١٩٦ و١٩٧ و١٩٨ و٢٠٦ و٢٠٧ و٢٠٨ و٢٠٩ و٢١٠ و٢١١ من الدستور .
- معاهدات الصلح والتحالف وجميع المعاهدات التي يترتب عليها تعديل فــي أراضى الدولة أو التي تتعلق بحقوق السيادة .

---

(١) ويُــقصد بالقوانين المُــكمِّــلة للدستور " تلك التي نصَّ الدستور صراحة في مسألة بعينها على الإحالة إليها في شأن تنظيمها أو بيان حدودها وأوضاعها ، مع اتصالها بقاعدة كُــلِّــية نصَّ عليها الدستور .

ويُــعدُّ مِن أمثلة تلك القوانين في مِصر : القوانين المُــتعلِّــقة بالحقوق والحُــرِّيات العامة ، وتلك المُــنظمة للسُــلطات العامة ؛ القضائية والتشريعية والتنفيذية ، والتي يتصدرها جميعاً مِن حيث الأهمية القــوانين المُــتعلقة بممارســة الحقوق السياسية وما ورد فيها مِن تنظيم لحقوق الانتخاب والترشيح والأوضاع الخاصة بأطرافهــا مِــن النــاخبين والمُــرشحين ورجال الإدارة .

انظر كتاب : العملية الانتخابية في الدول الديمقراطية والمذاهب السياسية والاقتصادية والاجتماعيــة المُــعاصرة . د / مُصطفى محمود عفيفي صــ ٢١٠ ، ٢١١ .

خامساً النصوص الدستورية الخاصة بمجلس الشورى

تأملها كذلك جيداً أخي القارىء .

المادة (١٩٤) يختص مجلس الشورى بدراسة واقتراح ما يراه كفيلا بالحفاظ على دعم الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعي، وحماية المقومات الأساسية للمجتمع وقيمه العليا والحقوق والحريات والواجبات العامة. وتجب موافقة المجلس على ما يلي :

١ـــ الاقتراحات الخاصة بتعديل مادة أو أكثر من مواد الدستور، على أن تسرى على مناقشة التعديل والموافقة عليه بالمجلس الأحكام المنصوص عليها في المادة ١٨٩ .

٢ـــ مشروعات القوانين المكملة للدستور والتي نصت عليها المواد ٥ و٦ و٤٨ و٦٢ و٧٦ و٨٥ و٨٧ و٨٨ و٨٩ و٩١ و١٦٠ و١٦٣ و١٦٧ و١٦٨ و١٧٠ و١٧١ و١٧٢ و١٧٣ و١٧٥ و١٧٦ و١٧٧ و١٧٨ و١٧٩ و١٨٣ و١٩٦ و١٩٧ و١٩٨ و٢٠٦ و٢٠٧ و٢٠٨ و٢٠٩ و٢١٠ و٢١١ من الدستور .

٣ـــ معاهدات الصلح والتحالف وجميع المعاهدات التي يترتب عليها تعديل في أراضى الدولة أو التي تتعلق بحقوق السيادة .

وإذا قام خلاف بين مجلسي الشعب والشورى بالنسبة لهذه المواد، أحال رئيس مجلس الشعب الأمر إلى لجنة مشتركة تشكل من رئيسي مجلسي الشعب والشورى وبعضوية سبعة أعضاء من كل مجلس تختارهم لجنته العامة، وذلك لاقتراح نص للأحكام محل الخلاف. ويعرض النص الذي انتهت إليه اللجنة على كل من المجلسين، فإذا لم يوافق أي منهما على النص، عرض الأمر على المجلسين في اجتماع مشترك يرأسه رئيس مجلس الشعب في المكان الذي يحدده، وتحضره أغلبية أعضاء كل من المجلسين على الأقل.

وإذا لم تصل اللجنة إلى اتفاق على نص موحد، كان للمجلسين أن يوافقا في اجتماعهما المشترك على النص الذي وافق عليه أي منهما. ومع مراعاة ما يتطلبه الدستور من أغلبية خاصة ، يصدر القرار في كل من المجلسين وفى الاجتماع المشترك لهما بأغلبية الحاضرين. وفى جميع الأحوال يكون التصويت دون مناقشة .

المادة (١٩٥) يؤخذ رأى مجلس الشورى فيما يلي :

١ــ مشروع الخطة العامة للتنمية الاجتماعية والاقتصادية

٢ــ مشروعات القوانين التي يحيلها إليه رئيس الجمهورية .

٣ــ ما يحيله رئيس الجمهورية إلى المجلس من موضوعات تتصل بالسياسة العامة للدولة أو بسياستها في الشئون العربية أو الخارجية .

ويبلغ المجلس رأيه في هذه الأمور إلى رئيس الجمهورية ومجلس الشعب.

المادة (٢٠٤) لا يجوز لرئيس الجمهورية حل مجلس الشورى الا عند الضرورة، ويجب أن يشتمل قرار حل المجلس على دعوة الناخبين لإجراء انتخابات جديدة لمجلس الشورى فى ميعاد لا يجاوز ستين يوما من تاريخ صدور قرار الحل ٠

ويجتمع المجلس خلال الأيام العشرة التالية لإجراء الانتخابات .

المادة (٢٠٥) تسرى في شأن مجلس الشورى الأحكام الواردة بالدستور في المواد: (٦٢)، (٨٨ فقرة ثانية)، (٨٩)، (٩٠)، (٩١) ، (٩٣)، (٩٤)، (٩٥)، (٩٦)، (٩٧)، (٩٨)، (٩٩)، (١٠٠) ، (١٠١)، (١٠٢)، (١٠٤)، (١٠٥)، (١٠٦)، (١٠٧)، (١٢٩)، (١٣٠)، (١٣٤)، وذلك فيما لا يتعارض مع الأحكام الواردة في هذا الفصل، على أن يباشر الاختصاصات المقررة في المواد المذكورة مجلس الشورى ورئيسه ٠

دفـع ظــن خاطــىء

من الناس من يظن ظناً خاطئاً أن اختيار أعضاء المجالس الشعبية المحلية أقل أهمية مِن اختيار أعضاء مجلسي الشعب والشورى ، وأنه ليس عليه من لومٍ إن هو اختار غير مُستحق ، أو امتنع عن إعطاء صوته ، وهذا وهمٌ خاطىءٌ مُهلك ، ذلك أن للمجالس الشعبية المحلية اختصاصات هامة وخطيرة نتحدث عنها فيما يلى :-

أولا :- اختصاصات المجالس الشعبية المحلية للمحافظات .

ا) وفقا للمادة رقم ١٢ من قانون ٤٣ لسنة ١٩٧٩ م يختص المجلس الشعبى المحلى للمحافظة في حدود السياسة العامة للدولة بالرقابة على مختلف المرافق والأعمال التي تدخل في اختصاص المحافظة وفقا للمادة ٢ من هذا القانون ، ولضمان فاعلية هذا الدور الرقابي يستطيع المجلس الشعبى المحلى للمحافظة الحصول على أية بيانات تتعلق بنشاط الوحدات الإنتاجية والاقتصادية وغيرها العاملة في نطاق المحافظة ، كما يتولى الإشراف على تنفيذ الخطط الخاصة بالتنمية المحلية ومتابعتها .

٢) وبالإضافة إلى الاختصاص الشامل للمجالس الشعبية المحلية للمحافظات ، أورد القانون بعض الاختصاصات بشكل تفصيلى نصت عليها الفقرات من ١ - ١٣ من المادة ١٢ .

أ - **الاختصاصات التفصيلية** : ونجتزىء منها :

- إقرار مشروعات خطة التنمية الإقتصادية والاجتماعية ومشروع الموازنة السنوية للمحافظة ومتابعة تنفيذها ، والموافقة على مشروع الحساب الختامي
- الموافقة على المشروعات العامة بما يفي بمتطلبات الإسكان والتشييد والتعمير والموافقة على إنشاء المرافق التي تعود بالنفع العام على المحافظة

- اقتراح فرض الضرائب ذات الطابع المحلي ، وفرض الرســـوم ذات الطـــابع المحلي أوتعديلها أو تقصير أجل سريانها أو الإعفاء منهـــا أو إلغاءهـــا بعـــد موافقة مجلس الوزراء .
- اقتراح إنشاء مناطق حرة وشركات استثمار مشتركة ، والقيـــام بمـــشروعات مشتركة مع المحافظات الأخرى أو الأشخاص الاعتبارية بالمحافظة .

ب – اختصاصات إشرافية : تشتمل طبقـــاً للمـــادة ١٣ علـــى : التـــصديق أو الاعتراض على قرارات المجالس الشعبية الأدنى ، والإشراف والرقابة على أعمال هذه المجالس .

ج – اختصاصات استشارية : لها سلطة استشارية واسعة فيما يتعلـــق بـــشئون المحافظة طبقاً للمادة ١٨مِن القانون ٤٣ لسنة ١٩٧٩ م .

د– اختصاصات مالية : طبقاً للمواد (١٤ – ١٦) لها سلطة التصرف بالمجان في مالٍ مِن أموالها الثابتة أو المنقولة أو تأجيره بإيجار إسمي أو بأقـــل مِـــن أجـــر المثِل بقصد تحقيق غرض ذي نفع عام ، كما تملك الاقتراض للقيـــام بمـــشروعات إنتاجية أو استثمارية لازمة للمحافظة أو الوحدات المحلية في نطاقها .

كما تملك أن تقرر تقديم المعونة المالية والفنية والإدارية للجهات ذات الأغراض الاجتماعية والخيرية والعلمية في دائرة اختصاصها وكذا الجمعيات التعاونية .

ثانياً : اختصاصات المجالس الشعبية للمراكز .

يتولى المجلس الشعبي للمركز الإشراف والرقابة على أعمال المجالس الـــشعبية المحلية للمُدن والقرى الواقعة في نطاق المركز ، وكذا التصديق على قراراتها .

ويختص طبقا للمادة ٤١ بما يلى :-

نفس الاختصاصات التي أوردناها تحت بند اختـــصاصات تفـــصيلية للمجـــالس الشعبية للمحافظة ، وذلك في نطاق المركز ، فيما عدا اقتراح إنشاء مناطق حرة .

ثالثاً : اختصاصات المجالس الشعبية للمُدن .

نفس اختصاصات المجالس الشعبية للمراكز ، وذلك في نطاق المدينة .

وبالمثل اختصاصات المجالس الشعبية المحلية للأحياء ، وكذا للقرى .

وبالإضافة إلى ذلك تملك المجالس الشعبية المحلية الأعلى سلطة رقابيـــة علـــى المجالس الشعبية المحلية الأدنى **تتمثل في :**

١ – سُـــلطة الإشراف والرقابة على أعمالها .

٢ – سُـــلطة التصديق والاعتراض على قرارتها .

٣ – سُـــلطة الموافقة على اقتراحاتها في مجالات مُعينة

٤ – كما يملك المجلس الشعبي المحلي للمحافظة سلطة الحلول محل المجـــالس الشعبية المحلية الأخرى في نطاق المحافظة بالنسبة للمشروعات التي لا تتمكن هذه المجالس من القيام بها .

وبالإضافة إلى ذلك توجد رقابة للمجالس الشعبية المحلية على المجالس التنفيذية :

إذ لأعضاء المجلس الشعبي المحلي :

١ – الحق في تقديم الأسئلة وطلبات الإحاطـــة للمُحـــافظ ورؤســـاء المـــصالح والهيئات العامة بدائرة المحافظة(م : ١٩ ، ٢٠ ، ١٠٦) .

٢ – الحق في طرح موضوع عام يتصل بالمحافظة أو بغيرها مِـــن الوحـــدات المحلية في نطاقها للمناقشة العامة .

٣ – إمكانية تقديم الاقتراحات في المسائل الداخلة في اختصاص المجلس (م : ١٠٤ ، ١٠٥) .

٤ – للمجلس الشعبي للمحافظة – دون غيره – الحق في طلب التقارير المُدعمة بالإحصائيات ومعدلات الإنتاج والخدمات مِن المُحافظ المُخــتص (م ٢) ، وفــي حالة وجود مُخالفات فله اتخاذ ما يراه من توصــيات أو قــرارات لتــصحيح هــذه المخالفات ، بل وله أن يرفعها إلى المحافظ أو الوزير المختص بــالإدارة المحليــة لإعمال شئونه فيها .

بل وأكثر مِن ذلك فقد كان للمجلس الشعبي المحلي حق تقديم الاستجواب طبقا للقانون ٧٥ لسنة ١٩٧١ في مادته ١٥ ، وكذلك القانون ٥٢ لسنة ١٩٧٥ في المواد (٢١ ، ٢٢ ، ١٠٦) ثم ألغي بالقانون ٤٣ لسنة ١٩٧٩ ، ثــم أعيــد العمــل بــه بالقانون ٥٠ لسنة ١٩٨١ ، ثم ألغي أخيرا بالقانون ١٤٥ لسنة ١٩٨٨ .

بل إنه مِــن المنتظر أن تكون للمحليات في المستقبل سُــلطة أكبر .

مما سبق يتــبين ما للمجالس الشعبية من اختصاصات هامة ، ولو أُحسن اختيــار أعضاءها لسِرنا في طريق الإصلاح المنشود ، أمَّا إذا أخطأنا في ذلك فلن يتحقــق شيء .

وصدق الشاعر :

متى يبلغ البنيان يوماً تمامهُ إذا كنتَ تبنيهِ وغيركَ يهدمُ[١]

وأيُّ هدمٍ أعظم مِن سوء اختيار من تناط به الاختصاصات الهامــة التــي لــو روعي الله فيها لتحقق الصلاح للبلاد والعباد .

---

(١) البيت لصالح بن عبد القدوس . جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٣٢/٢ .

من أساليب تضليل الناخبين [1]

إن عملية تضليل الناخبين ليست مُجرد وسيلة مادية في تزوير الانتخابات ، بـــل هي سلوك وعادات معروفة في عملية الدعاية ، يُمارسها البعض بنجاح ويفشل فيها البعض الآخر ، ولكن المُحصلة في الحالتين هي " تشويش " أذهان الناخبين والتأثير عليهم للقيام بفعل مُعيَّن ، أو عدم القيام بفعل مُعيَّن ، لم يكونوا راغبـــين فيـــه لـــولا البيانات أو السلوكيات التي تشتت انتباههم وتدفعهم إلى وجهةٍ مُحددة ، يُريدها مَـــن يقوم بالتضليل .

وقد تأخذ هذهِ الممارسات عدة أشكال ، منِها :

أ) الادعاء بأن المُرشح هو الَّـــذي جلب الخدمات إلى الدائرة :

وبالتالي فلهُ فضلٌ على أهلها ويبقى أن يردُّوا لهُ ذلك بانتخابه ، وكـــذلك لكـــي تستمر خدماتهِ للدائرة كَكُل .

وقد يتم ذلك مِن خلال تحركات مُـــفاجئة وواسعة النطاق مِـــن جانـــب أجهـــزة الدولة ولفت الانتباه إلى انطلاق مشروعات كبيرة في الدائرة خـــصوصاً فـــي ذروة الحملة الانتخابية ، وربَّما التصويت ، بحيث يرى أهل الدائرة جميعاً الدليل المـــادي على نفوذ المُرشح ، أو نجاحهِ في تحريك عملية التنمية لِصالحهم .

وعلى سبيل المِثال قد ينجح مُرشح في معرفة تفاصيل خطة عمـــل الحكومـــة والأجهزة المحلية والمشروعات الَّـــتي ستنفذها في الدائرة ثم يُبادر بالحديث عنهـــا أمام الناخبين ، ويعلو صوتهُ مُطالبـــاً بإنجـــاز مـــشروعات لِـــصالح الـــدائرة (أو

---

(١) معظمها نقلاً عن جريدة آفاق عربية العدد : ٧٢٧ . الصفحة السادسة بتصرف ، وقد أشارت الجريدة إلى أنهـــا نقلت ذلك عن كتاب جديد لـــ أ.د / على الصاوي ، علي موسى ، عجلان إبراهيم .

القطاعات الاجتماعية الَّــتي يُخاطبها ثم يُروج – ومعهُ فريقهُ المُعاون له – بــين الناس أنهُ يسعى مع السُــلطات المُــختصة لِتحقيق العدالة والإسراع بتلبية مطالــب الدائرة ثم يأتي الموعد المُــقرر – أصلاً – لِتنفيذ هذهِ الخــدمات ، فيــسارع هــذا المُرشح في موكب الاحتفال مع المسئولين ، وربَّما يبذل كُــل جهــدهِ لكــي يــدخل الدائرة في صحبة المسئولين أو يكون في استقبالهم على الأقــل ، ويُبــادر بتوجيــه الشكر والاحتفاء بالمسئولين نيابة عن الدائرة كَــكُــل .

وقد تظهر كتيبات ونشرات وخطب كثيرة تتحدث عن إنجــازات المُرشــحين ، وهي مملوءة بأقوال مُرسلة وادعاءات لا يملك الناخب بشأنها القدرة على التحقيــق والتدقيق ، فالإنجازات التي يتحدث عنها المُرشحون ناسبين إياها لأنفسهم تبدو فــي كثير مِن الأحيان عدواناً على جهود مؤسسات ومصالح ووزارات قامت بهِ وفــق خطة مدروسة مُــسبقة ، ولم يكن لمُــدَّعيها أي دور فيها[١] .

مع أن الرسول ﷺ قد قال : " المتشبع بما لم يُعط كلابس ثوبي زور " [٢] .
والمتشبع : هو الذي يدَّعي لنفسه فضيلة وليست فيه [٣] .

وعلى الجانب المُــقابل : قد يحزن بعض المرشحين المنافسين مِن خدمات مــا قبل الانتخابات ، بل ربَّــما يحاول إلغاءها أو على الأقل تعطيلها طالما أنــه يــرى أنها قد ترجح كفة القائم بها .

---

(١) جريدة الأهرام صــ ١ ، ٥ بتصرف . عن مقال لــ أ / أسامة سرايا ، السنة ١٣٠ ، العدد ٤٣٤٣٩ . ١١ مِن نوفمبر ٢٠٠٥م – ٩ مِن شوال ١٤٢٦ هــ .

(٢) البخاري كتاب النكاح ١٦ / ٢٣٩ ، وبلفظ : (**المتشبع بما لا يُــعط كلابس ثوبي زور**) رواه (حم ق د) عن أسماء بنت أبي بكر (م) عن عائشة ، وصححه صاحب جوامع الكَــلِــم .

(٣) انظر جوامع الكلم ص ٣٣٧ .

ب) التضليل عن طريق استغلال السلطة :

وهو أسلوب للتضليل لا يقدر عليهِ إلاَّ صاحب الـسُـلطة أو شـاغل المنـصب الَّـذي يستطيع اتخاذ القرار فعلا ، وقد يكون المُرشح هو نفسهُ صاحب السُـلطة ، أو قد يكون لهُ نفوذ أو حظوة كبيرة لدى المسئول الرسمي .

وتشير كلمة " استغلال " إلى سلوك سلبي واضح ، يتم فيـهِ توظيـف المـوارد العامة لأهداف خاصة ، وبالتالي فهو نوع مِن التضليل ، لأن المُستفيدين مِـن هـذا الاستغلال هم أهالي الدائرة .

فيقوم بعض المُرشحين الَّـذين يتولون مناصب قياديـة فـي الدولـة بمحاولـة استغلال وضعهم الوظيفي أو السياسي في تسخير إمكانات الدولة لِخدمة مـصالحهم الشخصية أثناء خوضهم غمار العملية الانتخابية ، ويتضح ذلك مِن خلال مُحاولـة تركيز تقديم الخدمات قبيل مرحلة الانتخابات مباشرة ، حيث يزعم بعـض هـؤلاء المُرشحين عندئذ بأنهُ مِن الَّـذين بذلوا مجهوداً كبيراً حتى استطاع أن يتحصل على تقديم مثِل هذهِ الخدمات ، وأنهُ هو الَّـذي وراء تنفيـذ هـذهِ الخـدمات (مثِـل : مشروعات الصرف الصحي في الدائرة أو إقامة مُجمَّعات مدارس جديدة أو إنـشاء مُستشفيات أو رصف الطرق داخل الدائرة .. وغيرها مِن الخدمات العامـة الَّـتي تهم ناخبي الدائرة) .

ومِن أمثلة الرشاوى الانتخابية الَّـتي يقوم بها " المُرشح الحكومي " ما يلي :

السماح لسكان مناطق عشوائية مُخالفة لقوانين البنـاء والإسـكان بـأن تـستقر وتحصل على المرافق العامة ، خصوصاً الكهرباء ، ففي هـذهِ الظـروف يُـصبح دخول عداد الكهرباء طوق النجاة لِسُكان العشوائيات ، لأنهُ يعني اعتراف الدولة بهم وإسباغ المشروعية على مساكنهم ، أو بالأحرى إسقاط " المُخالفات " الناجمة عـن البناء العشوائي ، ويُصبح " إيصال الكهرباء " قرينة على تصالحهم مـع الدولـة ،

ومدخلا للحصول على بقية الخدمات مثل : التليفونات والمياه والصرف الـصحي ، وكذلك توثيق المساكن لدى الشهر العقاري ، بكل ما يعنيهِ ذلـكَ مِـن طفـرة فـي المستوى المعيشي لهؤلاء الناس .

إلاَّ أن الحقيقة تبقى حقيقة ، وهي أن الدولة لم تكن لِتوافق على مدِّهم بالكهربـاء في الظروف العادية ، بل كانت ستقوم بتنفيذ القانون وإزالة المباني المُخالفة .

وقد يتخذ الأمر صورة صارخة عندما ينجح المِرشح " المسئول " فـي حمايـة مؤيديه ، لكنهُ يُطبق القانون في مواجهة أنصار خصومه (مثل عدم قبـول طلبـات اشتراك الكهرباء مِنهم) أو حتى يُبادر بتنفيذهِ حرفياً عليهم (مثل إزالة منشآت على الأراضي الزراعية في بعض أجزاء الدائرة ، والتغاضي عن مُخالفات في منـاطق أخرى تتميز بتأييد هذا المُرشح صاحب النفوذ) .

والحق أن الطامة الكبرى تحدث عندما يتزاوج المال والسُـلطة .
وصدق مَـن قال : إن تزاوج السلطة والمال ينتج عنه في النهاية سـقوط الـسلطة وهروب المال .

لذلك فإنه يجب ألاَّ تتورط الحكومة والأجهزة التنفيذية فـي سـباق الرشـاوى الانتخابية التي يُـقدمها المُرشحون لناخبيهم ؛ فتتوقف هدايا الـوزراء للمـوظفين ، وهدايا المُـحافظين للمُـزارعين ، ورشاوى المحليات للمـواطنين التـي تتـضمن التزام الصمت عن حالات الاعتداء على الأراضي الزراعيـة ، والـسكوت علـى مخالفات تراخيص المباني ، وإطلاق حملات التعيينات الوهمية للشباب بعقود مؤقتة ثم التخلص مِنهم بعد الانتخابات .

أو تعيين أقارب بعض الفئات قبيل الانتخابات ، و" الإشارة تغني عن العبارة " ، و" التلميح يُـغني عن التصريح " ، و " المؤمن كيِّـسٌ فطن " (١) .

---

(١) ليس بحديث ، بل هو موضوع . انظر مسند الشهاب للقضاعي ١ / ١٠٧ .

وإننا نتساءل : كيف يُمكن أن يكون النائب مُعبراً عن الشعب ومُــدافعاً عــن حقوقه في وجه السُــلطة التنفيذية إن كانت تلك السلطة نفسها قــد ســاعدتهُ لكــي يُــصبح عضواً في المجلس النيابي [١] .

وكما تشير دراسة كل من د. غانم وجاسم كرم حول السلوك الانتخابي في الكويت إلى أن أولوية عامل قدرة المرشح على تقديم الخدمات ، كعامل أساسي في انتخابه من قبل الجماهير يتيح للسلطة التنفيذية في العالم الثالث عموماً قدرة كبيرة على دعم نوع معين من المرشحين على حساب نوع آخر .

وفي ظل الاندماج الشديد بين الحزب الحاكم والسلطة التنفيذية بل ووضع إمكانات الدولة تحت وصاية الحزب الحاكم في الانتخابات نستطيع أن نتخيل الدور الحاسم الذي تستطيع أن تقوم به السلطة التنفيذية في دعم مرشحي الحزب الحاكم[٢].

ج) تضليل الناخبين عن طريق عنصر المال :

لا يستطيع أحد أن يُنكر الأهمية الكبيرة الَّــتي أصبح عنصر المـــال يحتلهـــا فـــي العملية الانتخابية -خصوصاً في الآونة الأخيرة - ، سواء مِن خلال استخدامهِ فـــي عملية الدعاية والإنفاق عليها بمبالغ كبيرة جداً ، أو محاولة استمالة النـــاخبين إلـــى المُرشح عن طريق إنفاق الأموال [٣] .

ومع قطع النظر عن الهدف مِن سلاح المال (إقبال بعض رجال الأعمال علـــى الترشيح ودخول البرلمان لإنهاء مصالحهم الشخصية ، أو بهدف الحــصول علـــى

(١) جريدة المصري اليوم. العدد ٥١٩ . الصفحة الثانية بتصرف يسير ، مقال لـــ أ / خالد صلاح . ١٤ . ١٢ مِن شوال ١٤٢٦ هــ .

(٢) الانتخابات البرلمانية في مصر ، درس انتخابات ١٩٨٧ ، ص ٤٨ .

(٣) **حتى جرى مثلاً ترجمته** : " الديمقراطية الأمريكية هي أفضل النظم التي يمكن شراؤها بالنقود " .

الحصانة البرلمانية ، أو مِن أجل الوجاهة الاجتماعية .. إلى غير ذلك) فإن قوانين الانتخابات تضع سقفاً للإنفاق على الدعاية ، خشية تأثير البذخ المـــالي علـــى إرادة الناخبين ، سيَّما في ظل الحالة الاقتصادية ومستوى الخدمات العامة .

والرشوة رشوة ، حتى إذا كان الإنفاق بهذهِ الصورة يعود بالنفع على الدائرة في ظل الظروف الاقتصادية الراهنة مِن خلال تأدية الخـــدمات العامـــة مِثـــل التبـــرع للمساجد والكنائس أو المدارس أو الجمعيات الأهلية .

إلاَّ أن أساليب الرشوة الانتخابية متعددة ، بعضها يـــستهدف الناخـــب مباشـــرة ومحاولة شراء صوتهِ عن طريق دفع مبلغ نقدي أو أشياء عينيـــة (تطـــورت مِـــن بعض الأغطية والأقمشة والأرز والسُـــكَّر إلى أجهزة محمول وتليفزيونات وأدوات مدرسية وياميش رمضان وأدوات منزلية ..) تتنوع حسب ثراء المُرشح ، وأسلوب مدير حملتهِ الانتخابية ، وكذلك حسب ظروف الدائرة ونوعية الناخبين فيها .

ولذلك نجد أن مِثل هذا المُرشح يستغل وضعهُ المادي وكذلك الوضع الاقتصادي لِناخبي الدائرة في محاولة شراء الناخبين بصورة أو بأخرى ، ممَّا يهدم مبدأ تكـــافؤ الفرص بينهُ وبين المُرشحين الآخرين ، ويحرم غيرهُ مِن المُرشحين ممَّن قد يكـــون أجدر منِهُ بتمثيل الدائرة داخل المجلس النيابي .

وكلنا يشاهد السلوك الجنوني في سفاهة الإنفاق على الدعاية الانتخابية بعيـــداً عـــن السقف المحدد لذلك والذي يتعزز بدرجات متفاوتة من الترغيب والترهيب يمارســـهُ بعض المُـــرشحين الَّـــذين يتصورون أن الحصانة البرلمانية مسألة حياة أو مـــوت بالنسبة لهم ، وليس مهماً تحت أي راية وباسم أي حزب وبأيّ وسيلة يحصلون على هذهِ الحصانة ! ، مع أن الأصل في العمل السياسي أن يكون تطوعياً ؛ لا أن يكون من أجل الحصول على امتيازات مادية أو للتمتع بالحصانة ولا لاكتساب أي منفعة.

ومما يؤكد نجاح المال – مع الأسف – في اكتساب عضوية المجالس النيابية أن اثنين وسبعين عضواً مِن أعضاء المجلس النيابي في إحدى الانتخابات كـــانوا مِـــن رجال الأعمال ، ومنهم مَـــن لم يكن يصلح علـــى الإطـــلاق لاكتـــساب عـــضوية المجلس النيابي ، لكن رأيناه ينفق عدة ملايين على حملتهِ الانتخابية رغم أن أقصى ما يحصل عليهِ لن يبلغ معشار ذلك ، فقل لي بربك مِن أين سيأتي بما أنفقه !! .

إن مَـــن يفعل ذلك إنما يفعله لأنه يعلم أن عضوية المجلس النيابي حالياً تمـــنح العضو حصانة تيسر له العديد مِن الأمور غير المشروعة كما أنها تمنحـــه فرصـــة إنجاز المصالح الخاصة لنفسه أو لغيره بأجر أو بدون أجر ، وهـــو الأمـــر الـــذي يدفعه لإنفاق الملايين من الجنيهات على أمل تعويضها بما تتيحه عضوية المجلـــس من قدرات وإمكانات تدر على عضو المجلس أضعاف أضعاف ما أنفقه [١] .
والحق أن مَـــن يفعل ذلك لا يصلح أن يكون نائباً ؛ لأنهُ ينفق هذه الملايـــين وهـــو يعلم أنهُ سوف يُـــعوضها ، فبدلا مِن إقناع الناخبين بشخصه فإنه ينفق المال لشراء أصواتهم ، وهذا الشخص سُـــرعان ما يتنكر لمن اختـــاره ؛ لأنهـــم أخـــذوا ثمـــن أصواتهم ، وليس لهم بعد ذلك شيء عنده [٢] .

لذا يجب على كل أبناء الشعب الشرفاء الوطنيين الَّـــذين تشغلهم مصلحة الوطن أولا ، والحريصون على إقامة مُجتمع ديمقراطي صحيح ، سليم ومُعافى مِن السِّـــقم والأمراض الخبيثة ؛ التصدي لهذهِ الظاهرة الخطيرة ؛ حيث أنها تؤثر علـــى إرادة الشعب، فسوق النِخاسة الَّـــذي تباع فيهِ الأصوات وتشترى هو سوق غير شريف ؛ فالتاجر مُبتذلٌ وحقير ، والبائع أشد حقارة ، لأن مَن يبيع صوتهُ بجنيهات أو بهديـــة عينية لا يستحق مِن الأصل هذا الصوت ؛ لأنهُ خائن يزوِّر شهادتهُ بجنيهات ، كمـــا

(١) جريدة الوفد .عدد ٦ من ذي القعدة ١٤٢٦ هـــ . ٨ مِـــن ديسمبر ٢٠٠٥ م . مقال د / ثروت بدوي صـــ ٩ .
(٢) جريدة الدستور العدد الثامن والثلاثون – الإصدار الثاني ٧ من ديسمبر ٢٠٠٥م – ٥ من ذي القعدة ١٤٢٦هـــ . من حوار مع أ / عادل عيد ، بتصرف .

أن المجتمع يجب أن يُخرج المُشتري من قائمة الشرفاء ، وأن يتكاتف لإسقاطه[1] ؛ لأنه ملعون هو ومن أخذ منه كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ ؛ ففي الحديث " **لعن الله الراشي والمرتشي** " [2] ، **وقال** ﷺ (**لعنة الله على الراشي والمرتشي**) [3] ، **كما رُوي (الراشي والمرتشي في النار)** [4] .

بل امتد اللعن ليشمل الواسطة بين الراشي والمرتشي ؛ فقال ﷺ : **(لعن الله الراشي والمرتشي والرائش)**[5] .

والحق أن سيطرة المال على مُقدرات العملية الانتخابية وعلى كافة أطرافها هو آفة بالغة الخطورة والجسامة على سلامة التمثيل النيابي للأمَّة ، وتعبيرهِ عن إرادتها الصادقة الحقيقية ، ذلك أنهُ مِن الخارج عن نطاق الجدل ما للمال والسُلطة مِن تأثير واضح ومتزايد على توجيه دفة العملية الانتخابية ، بحيث لم يَعد ثمة مجال أو فرصة مُتاحة أمام ذوي المُثل والمبادئ المُحققة للصالح العام المُجردين مِن سطوة المال أو النفوذ والسلطان لمنافسة تلك القوة الغاشمة لرأس المال وسيطرتهِ على نتائج الانتخابات والوصول إلى مقاعد العضوية في المجلس النيابي ، أو لمجابهة تحديات مراكز السُلطة وعناصرها المُتحكمة في تسيير دفة العملية الانتخابية وقراراتها .

بل إن سُلطان المال وسيطرته أصبح هو الطريق المضمون لِمن لا يحظى بأصوات الناخبين إلى مقعد البرلمان ؛ ابتداءً بالحصول على ثقة الحزب المُسيطر

---

(١) جريدة أمة البحيرة ، عدد ١٧ ديسمبر ٢٠٠٥م ، ١٥ مِن ذي القعدة ١٤٢٦هـ .

(٢) ابن حِبان في صحيحه ح رقم ٥٠٧٧ ، وعبد الرزاق في مصنفه ح رقم ١٤٦٦٨ .

(٣) (حم د ت هـ) عن ابن عمر ، وحسنه صاحب جوامع الكَلِم .

(٤) مجمع الزوائد لابن الهيثميّ : كتاب الأحكام – باب في الرشا .

(٥) (حم طب بز) عن ثوبان ، وحسنه صاحب جوامع الكَلِم . والرائش : هو الواسطة بين الراشي والمرتشي . انظر جوامع الكلم ص ٣٠٣ .

بترشيحهِ عنهُ في إحدى الدوائر الانتخابية ، وانتهاءً بإعلان فوزهِ فيها بفعل سـيطرة هذا الحزب ومُساندتهِ له ، مُحققاً مِن خلال ذلك هدفه في أن يتمتع بالحصانة البرلمانية وما تتيحهُ للعضو مِن امتيازات في مواجهة مراكز السُلطة والنفوذ ، وتحقيق مصالحهِ الخاصة ، وتلك آفة مِن شأنها تجنيب العناصر الصالحة غير المؤيدة بسُلطان المال من الوصول إلى مقاعد المجلس النيابي ، مهما بلغت درجة كفاءتها وتميزها في مجال العمل التشريعي أو الرقابي أو الخدمي لأبناء الأمَّة . ولقد زاد مِن تفاقم تلك الآفة وتعاظم دورها المُتحكم في نتائج الانتخابات القصور والنقص الكبيرين في التشريعات الضابطة لعملية الإنفاق المالي الظاهر والباطن على الحملة الانتخابية للمُرشحين ، أو الدعم غير العادل أو غير المُحايد مِن مراكز السُلطة للبعض مِنهم دون البعض الآخر ، مِمَّا أفسد الاختيار الشعبي والجماهيري ، ووجَّه الإرادة الشعبية إلى غير مسارها الصحيح، ومِن ثم جاء التمثيل النيابي مُخيباً للآمال المعقودة عليه ، ومُخفقاً في تحقيق الأهداف المصلحية العامة مِن ورائه . طالما أن هناك ذممٌ تشترى فستظل الغلبة في المجلس النيابي للأكثر فساداً .

مِن أجل ذلك فقد تعيَّن لتلافي المخاطر المُحدقة بحُسن سير وسلامة نتائج العملية الانتخابية والناشئة عن سطوة المال وسيطرة السُلطة على مُقدرات العملية الانتخابية ؛ أن يتم وضع طائفة مِن القيود العملية المُتعلقة مِن ناحية بالإنفاق المالي على الانتخابات سواء مِن جانب المُرشح الفرد أو مِن جانب الحزب السياسي المُساند له ، ومِن ناحية أخرى بتقنين الخطوات التنفيذية لمنع وضبط كافة المُخالفات المُخلة بسلامة حُسن سير عملية الانتخاب والتزام رجال

السُــلطة العامة بتنفيذها تحت رقابة القضاء المُــحايد ، تحقيقاً للمبدأ العام المُــــسَلَّم به بشأن عمومية الخضوع للإشراف القضائي على الانتخابات ومشروعيتها [١] .

وقد اقترح البعض لمواجهة سلاح المال : أن يحصل مَن يُريد ترشــيح نفــسهِ للانتخابات بكل أشكالها على عدد لا بأس بهِ من التوقيعات لشخــصيات ذات ثقــل سياسي ولها تاريخ في مجالات عملهم كــشرط لــدخول الانتخابــات أولا والتقــدم للترشيح . وهذا يُعد بديلا علمياً لدفع مبلغ مالي قبل التقدم للترشيح .

وهذا الاقتراح موجود في دول متقدمة مثل فرنسا وكثير من الدول الأوربيــة ، وهو أسلوب معقول وعلمي ، وإذا طبقناه فسوف يكــون المُرشــح مرتكــزاً علــى أرضية لا بأس بها ، إلى جانب أنهُ سوف يعلم أن أي هفوة في ســلوكهِ أو تاريخــهِ ستجعل هؤلاء المُوَقعون يتوقفون عن تأييد ترشيحه .

وقد جرَّم المرسوم بقانون رقم ١٢٤ لسنة ٢٠١١ م بتعديل بعض أحكام القانون رقم ٧٣ لسنة ١٩٥٦ م بتنظيم مباشرة الحقوق السياسية على أن :

مادة ٤٨ : (يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن سنة ولا تجاوز خمس سنوات وبغرامــة لا تقل عن عشرة آلاف جنيه ولا تجاوز مائة ألف جنيه:

أولا................ :

ثانيا : كل مَــن أعطى آخر أو عرض أو التزم بأن يعطيه فائدة لنفــسه أو لغيــره كي يحمله على الامتناع عن إبداء الرأي أو إبدائه على وجه معين ، ولرئيس اللجنة العليا للانتخابات الحق فى إبطال الأصوات الانتخابية الناتجة عــن ارتكــاب هــذه الجريمة.

---

(١) المسئولية الجنائية عن الجرائم الانتخابية للناخبين والمُرشحين ورجال الإدارة . د / مُصطفى محمود عفيفي ص ٣٥٥ – ٣٥٧ . بتصرف يسير .

***ثالثاً** : كل مَـــن قبل أو طلب فائدة من هذا القبيل لنفسه أو لغيره.

....

ويعاقب المرشح المستفيد من الجرائم الـــواردة بـــالفقرات أولاً وثالثـــاً .... المشار إليها بنفس عقوبة الفاعل الأصلي إذا تبين علمه وموافقتـــه علـــى ارتكابهـــا وتحكم المحكمة فضلا عن ذلك بحرمانه من الترشيح للانتخابات النيابية لمدة خمس سنوات من تاريخ صدوره الحكم الجنائي نهائياً وباتاً .

ونحن نرى أن عدم إسقاط عقوبة الرشوة الانتخابية والبلطجة بالتقادم ، ســيؤدي إلى التقليل جداً من هذه الظاهرة ؛ بسبب الردع الذي سيستتبع التغليظ .

وختاماً نقول : ما أجمل اقتراح البعض بأن ينفق المرشح دعايته على ما يستمر نفعه للناس مستقبلاً ؛ كلوحات إعلانات ودعاية تؤجر فيما بعد ويُـــرَدّ ريعها علـــى أهل المنطقة أو أشجار تزرع ونحو ذلك ، وذلك بديلاً عن مطبوعات الدعاية التـــي تتكلف على مستوى الدولة مليارات وتضيع هدراً .

د) تضليل الناخبين عن طريق استثمار الأمية السياسية

إن انتشار الأمية السياسية بين الناخبين يجعلهم لا يشعرون بأهمية مشاركتهم في الحياة السياسية ، وما ينتج عن مُـــشاركتهم تلك مِن ازدهار وتقـــدم للديمقراطيـــة ، ولهذا ترتفع نسبة الناخبين الَّـــذين يعزفون عن المشاركة فـــي الحيـــاة الـــسياسية ، خاصة الانتخابات البرلمانية .

وغياب الوعي السياسي الناتج عن انتشار الأمية السياسية يجعل الناخبين عُرضة للتغرير مِن قِـــبل المُرشحين ؛ لأن الناحب في ذلك الوقت لا يعرف حقوقهُ السياسية – نتيجة للأمية السياسية – الَّـــتي كفلها لهُ الدستور ، مِمَّا يـــسهل معهـــا اســـتغلاله

واستمالتهِ ناحية مُرشح مُعيَّن عن طريق الشعارات البراقة أو الوعود الزائفة ، ممَّــا يؤدي إلى حدوث تزييف للإرادة الحقيقية للناخب عن طريــق التــدليس بالناخــب وإغرائهِ بوعود مُزيفة لا يتم تحقيقها .

لذلك يجب – للتغلب على النسبة الكبيرة مِن الأمية السياسية – أن يتم الاهتمـــام مِن كُــل الجهات المسئولة بنشر الوعي السياسي لدى المواطنين ، والعمــل علـــى حثهم على المشاركة في الحياة السياسية ، لأن عزوفهم عن المشاركة هــو الَّــــذي يُــتيح فرصة أكبر للتلاعب مِن قِــبل البعض وتزوير الإرادة الحقيقية للناخبين .

هـــ) تضليل المرشحين :

قد يكون التضليل موجهاً مِن مُرشح نحو مُرشح آخر .

وهو أصعب قليلا مِن تضليل الناخبين (بالطرق السابقة) ولكنهُ يحدث أحياناً .

والمقصود بعبارة تضليل المُرشحين هو القيام بأعمال تدفع الخصوم إلى تبديــد مواردهم المالية وطاقاتهم البشرية في اتجاه بعيد عن الناخبين الحقيقيــين ، أو يُبعــد الناخبين عنهم .

وفي الحالتين فإن الغرض مِن هذهِ الوسيلة هو تقليل حجم المنافــسة وإضـــعاف قدرات الخصوم ، وبالتالي حرمان الناخبين مِن اتساع مساحة الاختيـــار ، والتـــأثير على إرادتهم عِند التصويت . وقد تستخدم عِدة وسائل في هـــذا المجـــال ، مِنهـــا : الدعاية السلبية (أو الصفراء) ، وكذلك تضليل حملة الخصم .

كذلك وعلى سبيل المثال ، قد ينجح المُرشح في اختلاق ونـــشر دعايـــة بـــشأن الخصم مِن شأنها إضعاف ثقة الناخبين فيه ، كالقول بأن المُرشح (الخـــصم) قـــد أصيب بمرض مُرعب ومُستهجن مِثل الإيدز أو حتى يُعالج مِن حالة إدمان ، وربَّما إشاعة خبر وفاة المُرشح الخصم في الساعات الأخيرة مِن التصويت ، سيَّما إذا لـــم

يكن هذا المُرشح الخصم منتبهاً وغير قادر على الظهور بين الناخبين فـــي جميـــع اللجان الفرعية .

ألم يبلغ هذا ما رواه ابن عُـــمَر ﷺ قال : سمِعتُ رسول اللهِ ﷺ يقول : " **مَن قال في مؤمن ما ليس فيهِ أسكنهُ اللهُ ردغة الخبال حتى يخرج مِمَّـــا قال** " (١).

وعن ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول اللهِ ﷺ : (**ليس المؤمن بالطعَّـــان ولا اللعَّـــان ولا الفاحش ولا البذيء**) (٢) .

كما قال ﷺ (**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**)(٣) .

وعن سعيد بن زيد ﷺ عن النبي ﷺ قال (**إن من أربى الربا الاســـتطالة فـــي عرض المسلم بغير حق**) (٤) .

وقد نص المرسوم بقانون رقم ١٢٤ لسنة ٢٠١١ م بتعديل بعض أحكام القانون رقم ٧٣ لسنة ١٩٥٦ م بتنظيم مباشرة الحقوق السياسية على أن :

---

(١) إسنادهُ لا بأس به، والحديث صحيح ، في سنده عمارة بن عزيه المدني ، لا بأس به ، وروايته عن أنس مُرسلة . انظر مساوئ الأخلاق ومذمومها ص ٨٥ . رواه أبو داود ، والطبرانيّ وزاد: "**وليس بخارج** " والحاكم بنحوه وقال : صحيح الإسناد وهو في الترغيب والترهيب ح رقم ٤٠٣٨ بلفظ : عن أبي الدرداء ﷺ عن النبيّ ﷺ قال : " **مَـــن ذكر امرءاً بشيء ليس فيه ليعيبه به حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاد ما قال فيه** " وقال : رواه الطبرانـــي بإسناد جيد ، ح ٤٠٣٩ وفي رواية له : " **أيما رجُـــل أشاع على رجُـــل مسلم بكلمة وهو منها برىء يشينه بها في الدنيا كان حقاً على الله أن يذيبه بها في النار حتى يأتي بنفاد ما قال** " .

(٢) رواهُ الترمذيُّ وقال : حديث حَـــسَن غريب . ورواه الحاكم والطبراني في الأوسط ح ١٨١٤ ، وفي الكبيـــر ح ١٠٤٨٣ ، وأحمد ح ٣٩٤٨ بلفظ : " **إن المؤمن ليس** ...... "

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي . وانظر الترغيب والترهيب ح رقم ٤٢٥٣ .

(٤) رواه أبو داود وهو حديث صحيح . بل إنه قد نُـــهِـــي عن لعن الأشياء ؛ فقال ﷺ " ... **مَـــن لَـــعن شيئاً لـــيس له بأهل رجعت اللعنة عليه** " رواه أبو داود في ســـننه ح ٤٩٠٨ ، ورواه الترمـــذي ح ١٩٧٨ ، وقـــال : حـــديث حَـــسَـــن غريب ، وهو عند الطبراني ح ١٢٧٥٧ بلفظ : " .... **وقعت عليه اللعنة** " .

مادة ٤٨ : (يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن سنة ولا تجــاوز خمــس ســنوات وبغرامة لا تقل عن عشرة آلاف جنيه ولا تجاوز مائة ألف جنيه :

....

*رابعا : كل مَــن نشر أو أذاع أقوالاً أو أخباراً كاذبة عن موضوع الانتخــاب أو الاستفتاء أو عن سلوك أحد المرشحين أو عن أخلاقه مع علمــه بــذلك بقــصد التأثير فى نتيجة الانتخاب أو الاستفتاء . فإذا أذيعت تلك الأقوال أو الأخبــار فــى وقت لا يستطيع فيه الناخبون أن يتبينوا الحقيقة ضوعفت الغرامة .

ويعاقب المرشح المستفيد من الجرائم الــواردة بــالفقرات .... ورابعــا .... المشار إليها بنفس عقوبة الفاعل الأصلي إذا تبين علمه وموافقتــه علــى ارتكابهــا وتحكم المحكمة فضلا عن ذلك بحرمانه من الترشيح للانتخابات النيابية لمدة خمس سنوات من تاريخ صدوره الحكم الجنائي نهائيا وباتا.

انضمام المُستقلين للحزب الحاكم

يصف البعض – بصدق – هذا التحول بأنهُ " فضيحة أخلاقية قبــل أن يكــون جريمة سياسية " ، وأضاف أن " هناك ما يشبه العقد الاجتمــاعي بــين المُــــرشح والناخب يلتزم المرشح من خلاله بعدم تغيير صـــفته أو انتمائـــه لكنهـــا التزامـــات وأخلاقيات يفتقدها بعض النواب الآن " .

وقال : إن تغيير المرشح لصفته وانتمائه الحزبي بعد نجاحـــه فـــي الانتخابـــات يعكس أن هؤلاء المرشحين يفتقدون الحد الأدنى من الوعي السياسي ، مشيرا إلـــى أن هذا التحول السياسي ليس مجرما دستوريا رغم كونه جريمة سياسية وأخلاقية[1] لأنه تغرير من المرشح بالناخبين ، على الرغم مـــن أن حقيقة الواقع أن الناخب ما منح المرشح صوته إلا باشتراطه ضمناً عدم التغرير به ، **وقد قال** ﷺ (إذا بايعـــتَ فقل لا خلابة) [2] .

ويرى البعض أنه في هذا الموضع بالذات نريد أن نميز بين أمـــرين: **أحـــدهما** سياسي **والآخر** قانوني ، بالنسبة للقانوني ؛ لا يوجد في القوانين المصرية ما يمنـــع مِن انضمام أي مُرشح مُـــنتخب مُـــستقل إلى حزب آخر بعد نجاحه .

أمَّـــا مِن الناحية السياسية فإن العبرة في ذلك يعود إلى كيفية تقديم المُرشح نفسهُ للمواطنين ، هنا نرى احتمالين مُـــختلفين . فهنـــاك نائـــب يقـــول " أنـــا حزبـــي ، وسأرشح نفسي مُـــستقلا لأن الحزب لم يخترني " ، وآخر يكتب لافتات علـــى أنـــهُ مُرشح حزبي مُـــستقل ، أو على مبادئ حزب مُـــعين .. إذن الناخـــب فـــي هـــذهِ الحالة يعلم أن هذا المُرشح لهُ صلة بحزبه ، وأنهُ يعمل على تنفيذ برامج الحـــزب ، وخاصة أنهُ قد يكون قيادي حزبي معروف ، وعندما يفوز هذا المُرشح ويُعلن عـــن

---

(١) جريدة صوت الأمة . العدد ٢٦٠ . من كلام د / يحيى الجمل .

(٢)(خ) عن ابن عمرو ، وصححه صاحب جوامع الكَـــلِـــم .

رغبتهِ في العودة إلى حزبهِ فلا توجد مشكلة ، ولا يوجد ثمـة مـانع يحـول دون عودته إلى حزبه[١] .

بينما يرى البعض وهو ما نؤيده أنهُ نزولاً على المبادئ الدستورية القائمـة لا يجوز للفائز في الحملة الانتخابية أن يُـغير الصفة التي انتخب على أساسها سـواء أكان التغيير مِن مُـستقل إلى حِزبيّ ، أو مِن حزب إلى آخر ، لأن هـذهِ المخالفـة الدستورية تجعل عضوية النائب المُـنتخب محل طعن ، فإذا جاء التغييـر بـشكل جماعيّ فإنهُ يُـعرِّض المجلس النيابيّ للطعن بعدم صحته ، مِـمَّـا يترتـب عليـهِ عدم استقرار الحياة السياسية ؛ ذلك لأن تغيير المُـستقلين لهويتهم بعد فوزهم هـو تحوير لإرادة الناخبين التي أعطت للمُـستقلين ثقتها وصرف هذهِ الإرادة إلى غيـر وجهتها الحقيقية ، وهو ما يُـعَـدُّ تزويراً لها يُـماثل إبدال الأصـوات الـصحيحة بغيرها أو إسقاطها كلية [٢] .

ونحن إذا بحثنا نجد أن القانون الأمريكي يجيز للمواطنين عزل نائبهم إذا غيـر صفته من خلال تقدم نسبة معينة من الناخبين بطلب إلى القضاء لعزل نـائبهم بعـد استفتاء مواطني الدائرة [٣] .

قلت : وهذا الأمر ليس فيه حجر على حرية ؛ إذ يمكنه أن يطابق رأي الحـزب كأنه به دون أن يدخل في فلكه وتبعيته .

فإن أصرّ على الإنضمام للحزب الحاكم ، تعين العودة إلى الناخبين ليجددوا مـا منحوه له مِـن عضوية بموجب عقد الإنتخاب السابق .

وفي تركيا يمنعون مَن يُرشح نفسهُ مُـستقلا مِن النظر في أمر دخولهِ الحـزب مِن عدمهِ قبل خمس سنوات .

---

(١) جريدة المساء الأسبوعية . الصفحة الثانية بتصرف يسير . عن د / علي الدين هلال ــ العدد ١٧٧٢٨ . السنة الخمسون . ١٠مِن شوال ١٤٢٦ هـ - ١٢ مِن نوفمبر ٢٠٠٥ م .

(٢) الأهرام ٩ مِن ديسمبر ٢٠٠٥ م .

(٣) جريدة صوت الأمة . العدد ٢٦٠ .

ترشيــح الوزراء أنفسهم فــي البرلــان

كان دستور ١٩٧١ م ينص في المادة (١٣٤) منه على أنه :

" يجوز لرئيس مجلس الوزراء ونوابه والوزراء ونوابهم أن يكونوا أعضاء فى مجلس الشعب ، كما يجوز لغير الأعضاء منهم حضور جلسات المجلس ولجانه "

وإننا نتعجب بالفعل من النص في الدستور على جــواز ذلــك ، فلمــاذا يــنص الدستور على أمر جائز .. وما أكثر الأمور الجائزة ، فهل كل أمر جــائز يُــنص عليه !!! ؟ .

ثم إننا نتساءل : لماذا يرشح الوزير نفسهُ في البرلمان ؟ .. هــل يــستطيع أن يقوم بمهام الوزارة وبمهام النيابة معاً ؟.. وهل ينجح أبناء دائرتهِ في مقابلتهِ بسهولة لكي يقدموا لهُ مطالبهم وشكاواهم ؟ .. وهل الجمع بين منصب الــوزارة ومنــصب النيابة تعطيهِ وجاهة أكثر وقوة أكبر ؟ .. والأخطر من هذا كله : هل من العدل أن يرشح الوزير نفسهُ ويضع كل إمكانات الوزارة والتي – بيدها ذهب المُــعز وسيفه – تحت تصرفهِ في مقابل المرشحين الآخرين .. مع العلم بأن هناك أناس كثيــرون يلهثون خلف مُــرشح الحكومة (١).

مع أن الحق أنه يجب الفصل بين الدور المُــــفترض لكــل مِــن الــسُــلطتين التنفيذية والتشريعية ، وأن لا تتأسس حملة الدعاية لمُرشــحي الحــزب الحــاكم – ومنهم الوزراء – على أساس إنجازات الحكومة ؛ فالحكومة تعمل وتخطــط وتنفــذ لأن هذا هو واجبها الحتمي أمام الناس ، لكن أن يتم استخدام مشروعات الــصرف الصحي أو الإسكان التعاوني أو خدمات مياه الشرب كجزء مِن إنجــازات الحــزب

---

(١) جريدة الأخبار .صـــ ٥ ، عدد ٢ / ١٠ / ٢٠٠٥م .

الحاكم ، وتتم دعوة الجماهير لانتخاب نواب الحزب ، لأن الحكومــة تقــدم الحــد الأدنى مِن هذه الخدمات فإن ذلك يعني بوضوح أن التنفيذيين يختلطون بالتشريعيين، وأن النواب الَّــذين ينبغي عليهم مُراقبة الحكومة لصالح الشعب ســيكونون رقبــاء على الشعب لصالح الحكومة (١) .

والحق كذلك أنه لا يجوز أن يكون عضو المجلس النيابيّ شاغلاً لأي وظيفة في الجهاز الإداري للدولة أو إحدى الهيئات العامة بدون أي استثناءات ، وإن لم يكــن وزيراً ، فكيف يستجوب أو يناقش الوزيرَ الَّــذي يعمل تحت رئاسته ؟!. لا شك أن هذا الوضع يتنافى مع طبائع الأشياء .؛ فلذلك يجب النص على عدم جواز الجمــع بين عضوية المجلس النيابي وبين الوظيفة العامة في جميع الحالات (٢) .

---

(١) جريدة المصري اليوم . الصفحة الثانية ، مقال / خالد صلاح ، العدد ٥١٩ ١٢ مِن شوال ١٤٢٦ هـــ .

(٢) جريدة الأهرام . عن المستشار / سمير صادق ، عدد ٩ / ١٢ / ٢٠٠٥ م بتصرف .

حق إقالة النائب وحلّ المجلس النيابي

إن من الوسائل التي تكفل نزاهة النواب وتراقب أمانتهم في خدمة الشعب : حق إقالة النائب ، وحق حل المجلس النيابي .

فأما حق إقالة النائب فإنه من الوسائل المأخوذ بها في دساتير بعــض الــدول ، وتبدأ هذه الوسيلة بعريضة يتقدم بها عدد من الناخبين يتراوح من ٢٠ إلـــى ٢٥% من هيئة الناخبين يطلبون فيها إقالة النائب ، ويترتب عليها خلو الــدائرة الانتخابيـــة وإعادة الانتخاب فيها مِــن جديد ، ويجوز للنائب الذي أقيل أن يتقدم مِـــن جديـــد للانتخابات ، وتنظم الدساتير استعمال هذه الوسيلة ، وتكفل ســماع دفــاع النائـــب المطلوب إقالته ، فبعضها يحتم أن يعلن طلب الإقالة إليه أولاً ليكتب عليه دفاعـــه ، ولا يجوز تداول هذا الطلب أو جمع إمضاءات الناخبين وموافقتهم إلا إذا كان معـــه هذا الدفاع ، وبعضها يجيز للنائب أن ينشر دفاعه في الجريدة الرسمية .

وهذه الوسيلة تروق كثيراً للأمريكيين ويرون فيها تطبيقاً لمبادئ الإدارة الحسنة – المعروفة في إدارة الأعمال – في مجال الــسلطات العامـــة ؛ فــإدارة الأعمـــال الخاصة لا يمكن أن تؤدي إلى نتائج حسنة إلا إذا كان لصاحب العمــل أن يفــصل العامل غير الأمين أو غير الكفء ، ومن ثم فإن الأمـــة يجــب أن تراقــب كفــاءة رجالها المنتخبين وأمانتهم ، ويجب أن تُمَكَّن دائماً مِــن استبدالهم بمَــن هو أكفأ أو أكثر أمانة .

والحقيقة أن هذه الوسيلة تجدي كثيراً في البلاد التي يسيطر رأس المــال فيهـــا على كل شيء ، فإذا وجد الناخبون أن نائبهم قد انحرف وأصـــبح عمـــيلاً للقـــوى الضاغطة فإنهم يستطيعون إقالته واستبدال غيره به .

وقد انتشرت هذه الوسيلة حتى في الدساتير ذات النزعة الماركسية فأخـــذ بهـــا الدستور السوفيتي ، ودستور الجمهوريات الشعبية الصينية والدستور اليوغوســلافي

والدستور التشيكي .

وأما حق حل المجلس النيابي – أو الحل الشعبي – فهو معروف فـــي دســـاتير عدة دول كسويسرا ، وهو كحق إقالة النائب يبدأ بطلب يتقدم به نسبة معينـــة مـــن الناخبين يحددها الدستور ، فإذا تم ذلك عرض الأمر على الشعب كله ، فإذا وافـــق عليه حُـــلَّ المجلس النيابي .

ويلاحظ أن هذه الوسيلة إذا استعملت مع وجود الاســـتفتاء الـــشعبي والاقتـــراح الشعبي والاعتراض الشعبي فإنها تعبر عن عدم ثقة الشعب في نوابه المنتخبـــين ، فالخلاف في الرأي بين الشعب والبرلمان يمكن حلّـــه عن طريق الوسائل السابقة ، ولكن إذا ما لجأ الشعب إلى هذه الوسيلة بالذات كان هنالك ما هو أكثر مـــن مجـــرد خلاف في الرأي .

وإن مشروع دستور ١٩٧١ م الذي كان قد عُـــرِض على مجلس الـــشعب فـــي ٢٢ يوليو ١٩٧١م ، كان قد تضمن مبدأ هاماً ، كان هو المبدأ رقـــم ٥٦ ، وكـــان نصه : " على كل عضو مِـــن أعضاء مجلس الشعب والمجالس الشعبية المحلية أن يقدم حساباً للناخبين عن نشاطه ونشاط مجلسه .

وللناخب حق سحب الثقة من العضو في الأحوال وطبقاً للشروط والإجـــراءات التي يحددها القانون " .

وقد جرت مناقشات طويلة في المجلس حول هذا المبدأ ، وانتهى مجلس الشعب في نهايتها إلى حذف هذا المبدأ .

وهكذا صدر الدستور النهائي وقد خلا من " حق إقالة الناخب " (١) .

ظاهرتـــي القيـــد الجماعي والبلطجـــة

إن ظاهرة القيد الجماعي قبل الانتخابات أمر خطير يُـــهدد النظام الديمقراطيّ .

---

(١) المرجع السابق ص : ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١.

بل إنها من أسوأ مظاهر العبث في العملية الانتخابية وليس أدل على ذلك ممــا ثبت في السابق في أحكام محاكم مجلس الدولة بإلغاء القيد الجماعي في بعض دوائر المسئولين المرشحين(١).

وإن ما يحدث مِن جانب بعض أجهزة الأمن في بعض الدول بدءاً من التلاعــب والتغيير في جداول وكشوف الناخبين ، والتعديل والتغيير في مقار اللجان الانتخابية واعتقال مئات الناخبين ، قبل وأثناء عملية الانتخاب ، ثم الاستعانة بالبلطجية ســواء من جانب بعض المرشحين أو من جانب أجهزة الأمن نفسها ، فضلاً عــن حمايــة أجهزة الأمن وتسترها على أعمال البلطجة ، ثم مشاركة العديد من رجــال الأمــن ومباحث أمن الدولة في عمليات تجميع الأصوات في اللجان العامة ، وحــضورهم علنا تلك اللجان ، ومنع المرشحين ومندوبيهم من حضور عمليات فرز الأصــوات، يدمر القيم القانونية والديمقراطية والسياسية في وقت واحد(٢) .

وإن مثل هذا المجلس النيابي لن يكون مُــعبراً عن إرادة الشعب ولــن يكــون قادرا على التعبير عن الإرادة الشعبية وإنما سيُــعبر عن قوى البلطجية وعن إرادة المزورين الذين شاركوا بطريقة أو بأخرى في تزييف إرادة الشعب وفــي إعــلان نتائج مخالفة للحقيقة ومخالفة لإرادة الشعب(٣).

ولا أدق في وصف هؤلاء جميعاً من قول المتنبي في تحديد هوياتهم :

إنمــا أنفس الأنيس سبــاع　　　يتفـارسـن جهــرة واغتيــالاً

(١) جريدة الجمهورية . العدد الأسبوعي . ٢٤ من نوفمبر ٢٠٠٥ م – ٢٢ من شوال ١٤٢٦ هــ .

(٢) د / ثروت بدوي : جريدة الوفد . الصفحة التاسعة . العدد رقم ١١٣٧ .

(٣) جريدة الوفد . الصفحة التاسعة . العدد رقم ١١٣٧ .

من أطاق التماس شيء غلاباً واغتصاباً لم يلتمسه سؤالاً [1]

ولكن كيف يفعلون ذلك وقد رُوي (**لا يحل لرجُــل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يؤم قوماً إلا بإذنهم**) [2] .

وقال ﷺ (**ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ، وذكر منهم : إمــام قــوم وهــم لــه كارهون**)[3] .

فإذا كان هذا في الإمامة الصغرى ، فكيــف بالإمامــة الكبــرى ! والولايــات العامة؟ . والصلاة عبادة ميسورة الأداء يقدر عليها الصالح والماجن ، أما الرئاســة العظمى للأمة الإسلامية ، أو ما قاربها من مناصب حساسة ، فهــي عــبء ثقيــل وهائل ، وتولِّي التافهين لها بوسائل معوجة ، يعد بلاءاً ساحقاً ، بــل لعلَّــه الــسبب الرئيس أو الأوحد في طي ألوية الإسلام شرقاً وغرباً[4] .

وصدق مَــن قال : أيّ مستقبل يمكن أن ننتظرهُ مِن مجلس نيابي يجيء أعضاؤه بطرق غير سليمة في بعض الأحيان ، أو غير مشروعة أو قانونية في معظم الأحيان ؛ فنسبة الحضور المُــتدنية وبالذات مِن جانب الطبقة المُــتوسطة والمثقفين تجعل هذهِ الانتخابات غير سليمة مِن ناحية أنها لا تعبِّــر بصدق عن

---

(١) الطريق السوى إلى وحدة المسلمين ، د/ محمد المجذوب ص ١٧١ .

(٢) رواه أبو داود في سننه : باب ٤٣ ح رقم ٩١ ، ورواه البيهقيّ في السنن الكبرى ح ٥١٣٢ بلفــظ : " **لا يحــل لامرىء مسلم أن يؤم قوماً إلا بإذنهم** " .

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه . كتاب الصلاة (باب صفة الصلاة) (٥ / ٥٣) رقــم ٦٧٥٣ ، وقــال شــعيب الأرناؤط : حسن . ح رقم ١٧٥٧ ، ورواه الطبراني في المعجم الكبير ح رقم ١٢٢٧٥ .

وفي رواية : " **ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرا** (وهذا كناية عن عدم قبولها عند الله) : **رجل أمَّ قومــا وهم له كارهون ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، وأخوان متصارمان** " رواه ابن ماجه فــي إقامــة الــصلاة والسنة فيها (٩٧١) عن ابن عباس . ومعنى هذا: أن الإمام في الصلاة يجب أن يكون ممن يحبهم المأمومون ، وإذا أحسَّ بغير ذلك : يجب أن يتخلى عن هذه الإمامة ، وإلا ارتدت صلاته عليه ، أو بقيت معلقة لا تقبل عند الله .

(٤)(محمد الغزالي : مائة سؤال في الإسلام جــ ٢ ص١٤) ، نقله كتاب من معالم النظام الــسياسي فــي الدولــة الإسلامية ، دراسة تاريخية حضارية مقارنة ، للدكتور/ صابر محمد دياب ، ص ١٠٥ .

رأي الشارع ، وإذا ما طبَّــقنا ما يوجد في انتخابات النقابات والاتحادات والنوادي مِــن ضرورة حضور خمسين بالمائة على الأقل ممَّــن يحق لهم التصويت حتى لا تكون باطلة ويكون لها درجة مقبولة مِن المصداقية ، فإن الانتخابات التي لا يكتمل فيها النصاب تكون كلها غير سليمة .

ناهيك عن انعدام المشروعية الأخلاقية والقانونية لبعض أعضاء مِثل هذا المجلس الَّــذين تترَّسوا بالحصانة واكتسبوا العضوية بالترغيب والترهيب عن طريق شراء الأصوات والقيد الجماعي والبلطجة وغير ذلك من الأساليب غير المشروعة(١) .

وفي الحديث الصحيح : (**خيار أئمتكم: الذين تحبونهم ويحبونكم ، ويــصلون عليكم وتصلون عليهم** (أي يدعون لكم وتدعون لهم) ، **وشـــرار أئمـــتكم: الــذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنوهم ويلعنونكم**) (٢) ، فأساس الصلة بــين صـــاحب الولاية العامة ومن هم تحت ولايته : هو الثقة والمحبة المتبادلة بينهم . لا التباغض ولا التلاعن ، الملازم للولاية المبنية على القهر والجبروت .

(١) جريدة المصري اليوم صـــ ١٣ بتصرف . عن مقال د / طارق الغزالي حرب العدد ٥٥٢ . الـسبت ١٧ مِــن ديسمبر ٢٠٠٥ م .

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٨٥٥) عن عوف بن مالك، وأحمد في المسند (٢٣٩٨١).

الواجــب المطلــوب مــن رجال الأمــن

إن الحياد السلبي لرجال الأمن خطأ ، بل لا بد أن يكون الحياد إيجابياً والضرب بيد من حديد على مثيري الشغب والبلطجية ؛ لأن مهمة رجال الأمن هـــي تــأمين القضاة وتأمين الناخبين وتأمين سلامة العملية الانتخابية بالكامل(١) .

فيجب التحفظ على بعض الأشخاص الخطرين على الأمن قبل إجراء الانتخابات كإجراء وقائيّ كما يمكن عقد لقاء بين المرشحين جميعـــاً فـــي مديريـــة الأمـــن ، وإعلامهم أن هناك تدابير وإجراءات أمنية ستتخذ في حالة الإخلال بالأمن وأنها قد تصل إلى حد إلغاء الانتخابات وشطب المُرشحين (٢) .

لأن الذي يحدث : أنه عندما يفشل بعض المُـــرشحين فـــي الحـــصول علـــى أصوات الناخبين بالطرق المشروعة عبر صناديق الانتخابات ، فإنه لا يكون أمامهم سوى ترويع المؤيدين لمنافسيهم عن طريق الاستعانة بعدد مـــن المـــسجلين خطـــر والبلطجية الذين ما كانوا ليقدموا على تلك الجرائم لولا أنهم أخذوا الضوء الأخضر من بعض المرشحين (٣) .

وإن مِـــن الأخطاء الأمنية الفادحـــة أن يـــرى المـــواطن والعـــالم الخـــارجي (البلطجية) وهم يتحركون بحرية أمام أجهزة الأمن لأن ذلك يؤهل لظاهرة العنـــف والبلطجة ويثبتها في أذهان الجماهير ويسقط العملية الديمقراطية من جذورها ؛ لأن دور الأجهزة الأمنية هو توفير الأمن فـــي الـــشارع ســـواء للمـــواطن أو للجـــان الانتخاب(٤) .

---

(١) جريدة الوفد . الصفحة التاسعة . العدد رقم ١١٣٧ .
(٢) جريدة أخبار اليوم . ٨ من ذي القعدة ١٤٢٦ هــ – ١٠ من ديسمبر ٢٠٠٥ م . من كلام اللواء النبوي إسماعيل
(٣) جريدة أخبار اليوم ٨ من ذي القعدة ١٤٢٦هــ– ١٠ من ديسمبر٢٠٠٥ م
(٤) جريدة أخبار اليوم ٨ من ذي القعدة ١٤٢٦هــ– ١٠ من ديسمبر٢٠٠٥ م . من كلام اللواء رؤوف المناويّ

ونحن إذا تأملنا في الإسلام نجده لم يغفل هذه الظاهرة ؛ فقد نهى عن ترويــع المسلم ، وإن كان ذلك على سبيل المزاح ، فضلاً عن التهديد والضرب وغير ذلك

فقد قال ﷺ : (لا يحل لرجُــل أن يُروع مسلماً) (١).

وروى الطبراني مرفوعاً " **مَــن أخاف مؤمناً كان حقاً علــى الله أن لا يؤمنـــه مِن أفزاع يوم القيامة** " (٢).

وروى عبد الرزاق مرفوعاً : " **مَــن نظر إلى أخيه المسلم نظرة يخيفه بها أخافـــه الله يوم القيامة** " (٣) .

وقال ﷺ : (لا يشر أحدكم على أخيه بالسلاح ، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزغ في يده ، فيقع في حفرة من النار)(٤) ؛ ولهذا (**نهى ﷺ أن يُــتعاطى السيف مسلولاً**) (٥) **، كما قال ﷺ (مَــن أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه)** (٦) .

---

(١) رواه الطبراني في الكبير ورواته ثقات .انظر الترغيب والترهيب ح رقم ٤٢٤٣ . ورواه أبو داود ح رقم ٥٠٠٤ بلفظ " **لا يحل لمسلم أن يُروع مسلماً** " و (حم) عن رجال من الصحابة ، وحسنه صاحب جوامع الكَــلِــم . ورواه البزار بلفظ : " **لا يحل لمسلم أو مؤمن أن يُــروع مسلماً** " . انظر الترغيب والترهيب ح رقــم ٤٢٤٣ . وأصــل القصة أن أحد الصحابة نام ، فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه ففزع ، والحديث بلفظ " **لا تروعوا المسلم ، فإن روعة المسلم ظلم عظيم** " رواه البزار والطبراني وأبو الشيخ ابن حِبان في كتاب التوبيخ . انظر الترغيب والترهيب ح رقم ٤٢٤٥ .

(٢) رواه الطبراني ح رقم ٢٣٥٠ . وانظر الترغيب والترهيب ح رقم ٤٢٤٧

(٣) رواه عبد الرزاق في مصنفه ح رقم ٩١٨٧ ورواه أبو الشيخ بلفظ " **مَــن نظر إلى مسلم نظرة يخيفه فيها بغير حق أخافه الله يوم القيامة** ". وانظر الترغيب والترهيب ح رقم ٤٢٤٨

(٤) **الراوي:** أبو هريرة : الألباني في صحيح الجامع: ٧٧١٦ والحديث : صحيح

(٥)**(حم د ك ت) عن جابر ، وصححه صاحب جوامع الكَــلِــم** .

(٦) رواه مسلم ح رقم ٢٦١٦ . وانظر الترغيب والترهيب ح رقم ٤٢٥٠ ، ورواه الترمذي ح رقم ٢١٦٢ بلفــظ " **مَــن أشار على أخيه بحديدة لعنته الملائكة** " . وقال : حديث حسن صحيح غريب . ورواه الطبراني في الأوسط ح رقم ٤١٦٩ بلفظ "......... **فلا تزال الملائكة تلعنه حتى يضعها** ..." .

وقال ﷺ (**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**)[١] وفي رواية : (**قتال المسلم أخاه كفر وسبابه فسوق**) [٢] ، وقال ﷺ (أجيبوا الداعي ولا تردّوا الهدية **ولا تضربوا المسلمين**) [٣] .

وقال ﷺ (**المسلم مَن سَلِم المسلمون من لسانه ويده**) [٤] .

بل إن الإسلام لم يقصر الحماية على المسلمين فقط ، بل شمل بها جميع الناس ؛ وكيف لا وقد قال سُبحانه : **{ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ** وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ **وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً }** .

وقالﷺ : (**مَن آذى ذِمياً فأنا خصمه ، ومَن كنت خصمه خصمته يوم القيامة**) [٥] .

وقالﷺ (**ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة وأشار رسول الله ﷺ بأصبعه إلى صدره ألا من قتل معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله حرم الله عليه ريح الجنة وإن ريحها لتوجد من مسيرة سبعين خريفا**) [٦].

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي . وانظر الترغيب والترهيب ح رقم ٤٢٥٣ .

(٢) (ت) عن ابن مسعود (ن) عن سعد ، وصححه صاحب جوامع الكَلِم .

(٣) (حم في الأدب والشيرازي في الألقاب ، طب هب) عن ابن مسعود ، وصححه صاحب جوامع الكَلِم .

(٤) (م) عن جابر ، وصححه صاحب جوامع الكَلِم .

(٥) الراوي: عبدالله بن مسعود: السيوطي في الجامع الصغير: ٨٢٧٠ والحديث حسن

(٦) الراوي : المحدث :السخاوي -المصدر : الأجوبة المرضية - الصفحة أو الرقم ٢/٤٣٦ :خلاصة حكم المحدث :إسناده جيد.

وبلفظ : (**ألا مَن ظلم معاهدا ، أو انتقصه حقه ، أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس منه ، فأنا حجيجه يوم القيامة**) ، رواه آباء عدة من أبناء أصحاب النبي ، انظر صحيح الجامع٢٦٥٥ : وانظر :صحيح الترغيب٣٠٠٦ .

وقال ﷺ (**مَن قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها توجد مِن مسيرة أربعين عاما**) (١) .

وقال ﷺ : (**مَـــن قتل معاهدا في غير كنهه حرَّم الله عليه الجنة**) (٢) .

كما أننا نجد عدة نصوص في النهي عن الوسم :

ففي الحديث أنه ﷺ (**نهى عن الوَسم في الوجه والضرب**) (٣) ، بـــل إنـــه ﷺ قال (**لعن الله مَـــن يسم في الوجه**) (٤) .

بل أوضح ﷺ أن اللعن يلحق الواسم وإن لم يكن الموسوم آدمياً ؛ لأن التكـــريم للروح ؛ فعندما مرّ عليه حِـــمار قد وُسِـــم في وجهه **قـــال** ﷺ **(لعـــن الله مَـــــن وَسمه)** (٥) .

كما أنه ﷺ (**نهى عن التحريش بين البهائم**) (٦) ، و(**نهى أن يتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً**) (٧) ، **وقال (لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً)** (٨) .

---

(١) **الراوي** :عبدالله بن عمرو بن العاص المحدث **:**البخـــاري -المـــصدر **:**صـــحيح البخـــاري **-** الـــصفحة أو الرقم ٣١٦٦ **:** وبلفظ : (**ليوجد**) ، رواه الألباني فـــي صـــحيح ابـــن ماجـــه عـــن عبـــد الله بـــن عمـــرو بـــن العاص٢١٩٢ **:** وبلفظ : (**مَـــن قتل معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله ، فقد أخفر بذمة الله ، فلا يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفا**) ، رواه أحمد شاكر في عمدة التفـــسير عـــن ســـيدنا أبـــي هريـــرة ١/٨٣٨وأشار في المقدمة إلى صحته ، وأورده الألباني فى صحيح ابن ماجةبلفظ قريب ٢١٩٣ **:**

(٢)رواه المنذري في الترغيب والترهيب عن أبي بكرة نفيع بن الحارث٣/٢٧٩ **:** خلاصة حكم المحدث **:** إســـناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما، وبلفظ : (**مَـــن قتل معاهدا بغير حله ، حرم الله عليه الجنة أن يجد ريحهـــا**) رواه الذهبي في سير أعلام النبلاء عن أبي بكرة نفيع بن الحارث٦/٢٩٦ ، خلاصة حكم المحدث **:** إسناده صالح.

(٣)(ت حم م) عن جابر ، وصححه صاحب جوامع الكَـــلِـــم .

(٤)(م طب) عن ابن عباس ، وصححه صاحب جوامع الكَـــلِـــم .

(٥)(م د ت) عن جابر ، وصححه صاحب جوامع الكَـــلِـــم .

(٦)(د ت) عن ابن عباس ، وصححه صاحب جوامع الكَـــلِـــم .

(٧)(حم ت ن) عن ابن عباس ، وحسنه صاحب جوامع الكَـــلِـــم .

(٨)(م ن هــ) عن ابن عباس ، وصححه صاحب جوامع الكَـــلِـــم . والمعنى : لا تتخذوا حيواناً أو طيراً غرضـــاً لسهامكم إذا أردتم أن تتراموا .

كما " **نهى أن تصبر البهائم** "[١] أي أن تصير غرضاً في الرمي [٢] .

وقد نص المرسوم بقانون رقم ١٢٤ لسنة ٢٠١١ م بتعديل بعض أحكام القانون رقم ٧٣ لسنة ١٩٥٦ م بتنظيم مباشرة الحقوق السياسية على أن :

مادة ٤٨ : (يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن سنة ولا تجاوز خمس سنوات وبغرامة لا تقل عن عشرة آلاف جنيه ولا تجاوز مائة ألف جنيه:

* أولا : كل مَن استعمل القوة أو التهديد لمنع شخص عن إبداء الرأي في الانتخاب أو الاستفتاء أو لإكراهه على إبداء الرأي على وجه معين.

*.................................

ويعاقب المرشح المستفيد من الجرائم الواردة بالفقرات أولا و.............. المشار إليها بنفس عقوبة الفاعل الأصلي إذا تبين علمه وموافقته على ارتكابها وتحكم المحكمة فضلا عن ذلك بحرمانه من الترشيح للانتخابات النيابية لمدة خمس سنوات من تاريخ صدوره الحكم الجنائي نهائيا وباتا.

ونحن نرى أن عدم إسقاط عقوبة البلطجة بالتقادم ، سيؤدي إلى التقليل جداً من هذه الظاهرة ؛ بسبب الردع الذي سيستتبع التغليظ .

---

(١)(ق د ن هـ) عن أنس ، وصححه صاحب جوامع الكَلِم .

(٢) انظر جوامع الكلم ص ٣٥٧ .

الغلط والإكراه في الفقه القانوني

لقد تناول فقهاء القانون موضوع الغلط ؛ **فعَــــرَّفوا الغلط بأنه :** " وهم يقع في النفس فيحمل صاحبها على تصور غير الحقيقة " ، فيتعاقد برضا غيــر مــستنير أو برضا معيب ، ولكن لا بُــدَّ أن يكون ذلك الوهم هو الذي حمــل المتعاقــد علـــى العقد[١] ، سواء وقع فيه المتعاقد بنفسه أو علم به المتعاقد الآخــر وتركــه دون أن ينبهه إليه أو كان من المفروض فيه حتماً أن يعلم به أو كان هو الذي أوقعه فيه من باب الأَولى ، ويستوي في الحالة الأخيرة أن تكون الطرق الاحتيالية وسيلة التدليس صادرة من المتعاقد الآخر ذاته أو صادرة من نائب عنه أو مــن شــخص الغيــر بتحريض من المتعاقد أو نائبه .

وها هنا يجب التفريق بين التدليس والغش ؛ فالتدليس نوع من الغش يــصاحب تكوين العقد وهو استعمال الحيلة بقصد إيقاع المتعاقد في غلط يحمله على التعاقــد ، أما الغش فهو كل خديعة تقع بعد انعقاد العقد أثناء التنفيذ مثلاً ، كما قد يقع خــارج نطاق العقد لقصد الإضرار بصاحب الحق .

والملاحظ هنا سهولة إثبات التدليس ، وهو ما يُــسهل مطالبــة المــدلس عليــه بتعويض الضرر الناجم وفقاً لقواعد المسئولية التقصيرية ، بالإضافة إلـــى إبطـــال العقد .

(١) يجب أن تكون الطرق الاحتيالية هي التي دفعت العاقد إلى إبرام العقد ؛ بمعنى أن تكون من الجــسامة بحيــث لولاها لما أبرم الطرف الثاني العقد ، ويُــقدِّر ذلك قاضي الموضوع ، حسب ظروف التعاقد وأحوال المتعاقــدين ، ومبلغ أثر الوسائل الاحتيالية في نفس العاقد الذي وجهت إليه ، وما إذا كانت هي التي دفعت إلى إبرام العقد لــيحكم بإبطاله ، فالتقدير هنا شخصي ، ولا شك في اختلاف أثر الطرق الاحتيالية على نفس العاقد باختلاف جنسه وســنه وحظه في العلم والتجربة ، ولذا يقال تعبيراً عن هذا الشرط أن يكون دافعاً إلى التعاقد .
أما إذا لم يكن التدليس دافعاً إلى التعاقد ، فلا يكون له أثر على صحة العقد ، إنما يكون للعاقد الذي كان ضحيته أن يرجع بالتعويض فيسترد ما غرمه نتيجة له .

وحِــيل التدليس لا بُــدَّ وأن تشتمل على عنصرين :

العنصر المادي : طرق احتيالية : للتأثير علــى إرادة المتعاقــد ؛ بدفعــه إلــى الاعتقاد فيما ليس له وجود ، أو في جهل ما هو موجود ، ولا تكون هذه الحيل فــي العادة مجرد كذب أو سكوت عن ذكر الحقيقة ، بل وسائل أو طرق مادية يــستهدف بها تدعيم الكذب أو إخفاء الحقيقة .

أما الكذب : فإن الأصل فيه أنه وحده لا يكفي لتكوين عنصر الحيلة في التدليس إلا أن الكذب ولو كان مجرداً عن الطرق الاحتيالية يعتبر تدليساً إذا تناول واقعة لها أهميتها عند التعاقد ، بحيث ما كان الشخص يتعاقد لولا التأكيدات غيــر الــصحيحة التي صدرت له في شأنها .

أما الكتمان : ومعناه امتناع العاقد عمداً عن الإفضاء ببيان يهمّ المتعاقد الآخــر أن يعرفه ، فقد أثار خلافاً في الفقه الفرنسي ، ولكن القضاء عندهم يعتبره ولو لــم تصحبه حيل ، أو يقترن به كذب ، تدليساً يجعل العقد قابلاً للإبطــال فــي بعــض الظروف التي يقوم فيها بين طرفيه واجب بالإفضاء نظراً لعلاقات الثقة بينهما ــ

أما في الفقه المصري فإن الكتمان يعتبر تدليساً إذا توافرت الشروط الآتية :

١- أن يكون هذا الأمر خطيراً ، بحيث يؤثر في إرادة المتعاقد الــذي يجهلــه تأثيراً جوهرياً .
٢- أن يعرفه المتعاقد الآخر ويعرف خطره .
٣- أن يتعمد كتمه عن المتعاقد الأول .
٤- ألا يعرفه المتعاقد الأول أو يستطيع أن يعرفه عن طريق آخر .

وظاهر من كل ما تقدم أن كل إخفاء لواقعة لها أهميتها في التعاقد ، سواء كــان ذلك بطريق إيجابي وهو الكذب ، أو بطريق سلبي وهو الكتمان يعتبر تدليساً مفــسداً

للرضا إذا اكتملت فيه كافة العناصر المكونة للتدليس ، وعلى ذلــك لا نــرى فــي سكوت البائع عن إبلاغ المشترى ما ينقل العقار المبيع من حقوق عينية تدليساً بعيب الرضا لأن في مكنة المشترى تعرف حقيقة الأمر من طريق آخر .

العنصر المعنوي لحيل التدليس: نية التضليل ؛ بمعنـــى أن يقتــرن اســتعمال الحِــيَــل أو الكذب أو الكتمان بنية التضليل ، بأن يقصد المُــدلِّــس خديعة المتعاقد الآخر وتضليله .

كما قد تناول فقهاء القانون موضوع الإكراه ؛ فعَــرَّفوا الإكراه بأنه : (ضغط على الشخص يولد في نفسه رهبة تحمله على التعاقد) ، أو هو كما تقول محكمــة النقض " الإكراه المبطل للرضا لا يتحقق إلا بالتهديد المفزع في النفس أو المــال أو باستعمال وسائل ضغط أخرى لا قِــبَــل للمُــكرَه باحتمالها أو الــتخلص منهــا ، ويكون من نتائج خوف شديد يحمل المُــكرَه على الإقرار بقبول ما لم يكــن ليقبلــه اختياراً " .

وهذا الوصف للإكراه ينصرف إلى الإكراه المفسد للرضا ، وهو الــذي يعيــب الإرادة ، دون الإكراه المعدم للرضا، والذي يترتب عليه بطلان العقد بطلاناً مطلقاً، كما لو أمسك المُــكرِه بيد المُــكرَه والقلم فيها للتوقيع على العقد ؛ إذ في هذه الحالة لا يمكن القول بوجود الإرادة ، بعكس الحال في الإكراه المفسد للرضــا ، فــالإرادة موجودة وإن لم تكن مختارة .

والإكراه على نوعين : إكراه مادي ، وإكراه معنوي ، أمــا الإكــراه المــادي فيؤدي إلى انعدام الإرادة ؛ إذ لن تكون للمُــكرَه إرادة النية ؛ كأن يــضغط بــالقوة على رأس أحد إلى أعلى وأسفل كدلالة موافقة ، أو كمن يمسك عنوة بإبهــام أحــد الأشخاص ويطبع بصمته على ورقة ، أما الإكراه المعنــوي أو النفــسي ، فهــو لا يُــعدم الإرادة ، ولكن يُــفقد الاختيار ، وفيه يكون الشخص قد أراد لأنه أُجبر على

أن يريد ، كمن يشهر مسدسه في وجه شخص مهدداً إياه بالقتــل مــا لــم يرضــى فيرضى ، فإنه يكون قد رضي بأخف الضررين ، وهذا الإكراه هــو الــذي يعتبــر عيباً من عيوب الإرادة ، والذي يجعل العقد قابلاً للإبطال .

وإن كان البعض يجعل هذا النوع من الإكراه من قِــبَــل الإكراه المادي علــى أساس أن الشخص قد أشهر مسدسه وهو جسم مادي ، وهــذا وهــم خــاطئ ؛ لأن الإكراه هنا نفسي ومعنوي ، والعبرة بما يُحدِث الإكراه وليس بأداة الإكراه .

ويلاحظ أن الإكراه في ذاته لا يعيب الرضا ، وإنما يعيبه ما يولــده فــي نفــس المُــكــرَه مــن رهبة ، ومعنى الرهبة هو الخوف من وقوع خطر جــسيم علــى نفس المُــكــرَه أو على نفس شخص عزيز عليه – ممن تربطه به رابطة القرابــة أو النسب أو الصداقة – أو على جسم واحد منهما ، أو على ماله ، ولا يشترط لكي تكون الرهبة حقيقية أن يكون الخطر وشيك الوقوع ، فالمهم هو تصور المُــكـــــرَه أن هذا الخطر واقع لا محالة فوراً أو في وقت قريب .

هذا مع ملاحظة أن الرهبة عادة تكون وليدة إكراه إيجابي ، غير أنــه لا مــانع مِــن أن يكون الإكراه سلبياً ؛ كالتهديد بالامتناع عن عمل معين .

ويشترط في الرهبة حتى تفسد الرضا أن تكون قائمة على أســاس ، والرهبــة تكون قائمة على أساس إذا كانت ظروف الحال تصور للطــرف المُــكـــــرَه أن خطراً جسيماً محدقاً يهدده ، هو أو غيره إن لم يقبل التعاقد ، وعلى ذلــك فمجــرد التهديد العام دون بيان نوع الخطر الذي قد يصيب المكره قد لا يعتبر إكراهاً مفسداً للرضا ، إلا إذا كانت العلاقة السابقة بين المُــكرِه والمُكرَه من شأنها أن تكشف عن نوع الخطر .

كما يشترط ثانياً أن يكون الخطر جسيماً ، وجسامة الخطر هــذه يرجــع فــي تقديرها إلى حالة المُــكرَه النفسية ، أي أن المعيار فيها ليس موضوعياً بل ذاتيــاً ،

أي أنه يجب الاعتداد فقط في تقدير جسامة الخطر بظروف المتعاقد الشخصية مـــن حيث جنسه بأن كان ذكراً أو أنثى ، ومن حيث حالته الجسمانية بأن كان شاباً قويـــاً أو شيخاً هرماً ، ومن حيث حالته الاجتماعية بأن كان متعلماً أو أمياً ، ومن حيـــث الظروف الأخرى التي أحاطت به وقت أن وقع الإكراه كطرف الليل أو الوحدة .

ويشترط أخيراً أن يكون الخطر محدقاً ، أي وشيك الوقوع ؛ وذلك لأن الخطـــر الحالي هو الذي يولد عادة الرهبة بعكس التهديد بخطر مـــستقبل ، فقـــد لا يولـــدها لاحتمال تلافيه مع فسحة الوقت ، غير أن هذه القاعدة لا يؤخذ بها على إطلاقهـــا ؛ لأن العبرة في تقدير الخطر هو بما يولده من رهبة حالة لا بكونه حالاً أو مستقبلاً .

على أن الأصل في الإكراه المفسد للرضا أن يكون صادراً من المتعاقد الآخر ، فإن كان صادراً من أجنبي عن العقد فلا يفسد الرضا إلا إذا كان متـــصلاً بالعاقـــد الآخر بأن كان يعلم به أو كان من المفروض حتماً علمه به ، فإن لم يكن متصلاً به فلا يجوز للمُـــكرِه طلب إبطال العقد ، بل يقتصر حقه على الرجـــوع بـــالتعويض على مَـــن صدر منه الإكراه على أساس المسئولية التقصيرية ، وهـــذا هـــو نفـــس الحكم الذي أخذ به المشرع المصري فيما يتعلق بالتدليس .

الإشراف القضائي على العملية الانتخابية

لقد بدأت تظهر معزوفة جديدة ظاهرها الرحمة والحفاظ على العدالة ، وباطنهــا التزوير والاستبداد ؛ تهدف إلى سلب الإشراف القضائي على العمليــة الانتخابيــة ، على زعم أن هذا يُــنقص من هيبة القضاة وكرامتهم ، وأنه يُــعطلهم عن الوظيفــة الأساسية التي نيطت بهم ، والفصل في القضايا ، وثالثة الأثافي أنه قد يتيح تحــدّث القضاة عن العملية الانتخابية ومشاكلها أمام الرأي العام .

والحق أن حَسِني النية من هؤلاء لم يفصلوا بين : أن القاضي مُــواطن مِــــن حقه أن يُــدلي بدَلوه وآرائه في كافة القضايا التي يمر بهــا المجتمــع ، وتزويــر الانتخابات ، أو التدخل فيها ، أو محاولة وضع ضوابط لضمان حيدتها ليس أمــراً قضائياً ، وبالتالي فإن الحديث فيها للرأي العام هو مشاركة في القضايا العامة ، أما ما يجب أن يمتنع القاضي عن الحديث فيه فهو تفاصيل القضايا التي يحكم فيها .

ومشاركة القاضي في القضايا العامة وهموم المُــواطنين ليس عملا سياسياً .

وكما يقول المستشار معتز كامل مرسي نائب رئيس مجلــس الدولــة : " فــإن تجربة إشراف القضاة على الانتخابات البرلمانية تجربة رائدة ذات جــدوى وأمــر ضروري وحيوي ، وهى تحقق الكثير من الإيجابيات ، بل إنها جزء مــن رســالة القضاء التي طالب بها الدستور والقانون " (١).

بل يُــعلق المستشار يحيى الرفاعيّ تحقق النزاهة في الانتخابات علــى إســناد العملية الانتخابية بجميع مراحلها إلى الإشراف القضائي وإبعاد الأجهــزة التنفيذيــة عنها (٢).

---

(١) جريدة الدستور . العدد ٣٨٥ .

(٢) جريدة الوفد . الصفحة التاسعة . العدد رقم ١١٣٧

فيلزم أن تكون هناك لجنة : قضائية في تشكيلها ، محايدة ومستقلة عن جميـــع سلطات الدولة ، ومتفرغة لأداء مهامها في إدارة جميع شئون الانتخابات ، وأيا كان نوعها ، ولها الهيمنة الكاملة والسيطرة التامة على سير وإجراءات العملية الانتخابية سواء إعداداً أو تنظيما وإدارة وأداء بما في ذلك تسجيل وضبط الجداول الانتخابية ، وإعداد الدوائر ومراكز الاقتراع الانتخابية ، وكذلك صناديق الانتخـــاب ، وأخيـــرا الترتيب والاستعداد الزمني لتأمين الانتخاب وتحقيق سلامة شـــرعيته(١) . وإســـناد الإشراف على الانتخابات بكامل مراحلها إلى القضاة .

مع الأخذ في الاعتبار بما قيل من أنه لا يكفي وجود نصوص قانونية أو أحكـــام قضائية أو إشراف قضائي .. وإنما يتوقف الأمر على إرادة القـــائمين علـــى تنفيـــذ القانون ورغبتهم الصادقة في احترامه ؛ ذلك أن إقامة حكم القانون أمر يحتاج إلـــى استراتيجية تكميلية تهدف إلى تحول أساس القيم السياسية السائدة بين أفراد المجتمع لتكوين ثقافة متعاطفة ومؤيدة لسيادة القانون(٢) . كما يجب أن تقف جميـــع أجهـــزة الدولة على الحياد بين كافة المرشحين لتحقق مبدأ تكافؤ الفرص بينهم .

---

(١) من مقال المستشار عبد العاطي الطحاوي نائب رئيس هيئة قضايا الدولة . الأهرام ١٦ ديسمبر ٢٠٠٥ .

(٢) جريدة الجمهورية . العدد الأسبوعي . ٢٤ من نوفمبر ٢٠٠٥ م – ٢٢ من شوال ١٤٢٦ هـــ . مـــن كـــلام المستشار محمد فهيم درويش .

واجبات القضاة المشرفين على اللجان

إن بعض ما يجب على القاضي في هذا الخصوص : تنظيم الــدخول حــسب أسبقية الحضور ، وقد قال سيدنا علي ﷺ : " **مَــن سَــبَــق إلــى مكــانٍ فــي السوق فهو أحق به** ...." (١) ، إلا إذا وُجِــد سبب يقتضي تقديم المتأخر كمــرض أو هِــرمٍ ونحوهما ؛ وذلك تبعاً لتقديره هو ، وفي أضيق نطاق ، وأن يُــسرع دون إخلال بتصويت هؤلاء تقليلاً لمعاناتهم ، وأن يتلقي الناخبين بالبِــشر ويــساعدهم وييسر عليهم غاية ما أمكنه ، وأن يراقب كل شيء بنفسه ولا يَــكل ذلك إلى أمــين اللجنة ، وأن يُــقلل مِن الطعام قدر المستطاع لئلا يُــحتاج إلى الوضــوء كثيــراً ؛ مما قد يُعطل التصويت ، وقد يرخص له في الجمع بين الصلاتين سيما وأن الغالب كونه على سفر ، كما أن الواجب على القاضي أن يُــدرك أهمية كل صوت ، إذ قد يكون هذا الصوت هو سبب نجاح مرشح على حساب آخــر أو تعــديل دســتور أو تغييره كلية ، أو ترجيح في استفتاء على أمر ذا خطر .

---

(١) انظر سنن البيهقي الكبرى حديث رقم ١١٦١٦ .

نصائـــح ثمينة لِلمُرشَّــــح

أولا : لا تحزن مِن نقد أهل الباطل والحُسَّاد :

فإنَّك مأجور على صبرك ، ثم إن نقدهم يساوي قيمتك ، ثم إن الناس لا ترفس كلباً مَيِّــتاً ، والتافهين لا حُسَّاد لهم .

قال أحدهم :

إن العرانينَ تلقاها مُحَسَّدة ولا ترى لِلئام الناس حُسَّاداً (١)

وقال الشاعِر :

وشكوتُ مِن ظلم الوُشاة ولن تجد ذا سؤددٍ إلاَّ أصيب بِحُسَّـدِ
لا زلتَ يا سِبـط الكــرامِ مُحَسَّداً والتافه المسكين غير مُحَسَّدِ

ويقول آخر :

وإذا الفتى بلغ السماء بمجدهِ كانت كأعداد النجومِ عِداهُ
ورمـــوه عــن قوسٍ بِكُلِّ عظيمةٍ لا يبلغـون بمــا جَنـوه مداهُ (٢)

وقال أبو الأسود الدؤلي :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعــداءٌ لهُ وخُصومُ
كضرائر الحسناءِ قلن لِوجهها حَسَداً وبغضاً إنـه لذميـمُ (٣)
وترى اللبيب محسَّداً لم يجترم شتم الرجال وعِرضه مشتومُ
وكذاك مَن عظمت عليه نعمةٌ حُسَّادهُ سيفٌ عليــه صــرومُ
فاتــرك مجــاراة السفيــه فإنها ندمٌ وغِبٌّ بعد ذاك وخيـــمُ
وإذا جريت مع السفيه كما جرى فكلاكما في جريِهِ مذمومُ (٤)

---

(١) ورُوِيَ عَجُــز البيت بلفظ : **ولن ترى للئيم القوم حُــسَّـــادا** . انظر التراجم المهمة للأربعة الأئمة ص ٢٠ .

(٢) لا تحزن . د / عائض القرني صـــ ٧٨ .

(٣) لا تحزن ، مرجع سابق صـــ٧٧ بلفظ : **فالناس** أعداء له وخصومُ ، حسداً **ومقتاً** إنه لذميمُ .

(٤) التعاليم الجلية في شرح وإعراب شواهد أبيات الأزهرية للشيخ الدكتور / محمد خليل الخطيب ص ٩ ، ١٠ .

رُوي أن سيدنا موسى عليه السلام سأل ربَّه أن يَـكُـف ألسنة الناس عنه ، فقـال الله عزَّ وجلَّ : **(يا موسى ما اتخذت ذلك لِنفسي ، إني أخلقهـم وأرزقهـم ، وإنهـم يسُبونني ويشتمونني) !! .**

وفى الحديث القدسي : **(قال الله : كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي فقوله : لن يعيدني كما بدأني ، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته ، وأما شتمه إياي فقوله : اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد ، لم ألد ولم أولد ، ولم يكن لي كفؤاً أحد)** (١) .

وفى الحديث القدسي : **(يؤذيني ابن آدم يسب الدهر ، وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار)** (٢) .

وينسب إلى سيدنا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن زهر الربيع للجزائري قوله :

قـد قيل إن الإله ذو ولد — وقيل إن الرسـول قد كهنا

ما نجا اللهُ والرسولُ معاً — من لسان الورى ، فكيف أنا ؟ (٣)

ولله در البستيّ إذ يقول :

إذا ازدرى ساقطٌ كريمـاً — فلا يَطُولَن ضيق صدره

فأكثر الناس منذ كانوا — ما قـدروا الله حق قـدره

وللشيخ مُـحَـمَّـد خليل الخطيب :

لا تعجبوا من حاقـد أخلاقـه — سلفت فكـم عـاب النبيَّ لئـام

والناس مذ كانوا مكانة ربهم — جهلوا فكانت تعبـد الأصنام (٤)

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة ، ح : ٤٩٧٤ .

(٢) الراوي: أبو هريرة: الوادعي – المصدر: صحيح أسباب النزول – الصفحة أو الرقم: ٢٠٨ خلاصـة حكـم المحدث: [روي مرفوعاً وموقوفاً]

(٣) ديوان الإمام عليّ ، مرجع سابق ص ٤٢ .

(٤) التراجم المهمة للأربعة الأئمة ص ٢١ .

إنَّك لن تستطيع أن تعتقل ألسنة البشر عن فري عِرضِك ، ولكنـــك تـــستطيع أن تفعل الخير ، وتجتنب كلامهم ونقدهم [1] .

قال حاتم :

وكلمة حاسدٍ مِن غير جرمٍ ... سمعتُ فقلتُ مُرِّي فانفذيني

وعابوهــا علــيَّ ولـم تَعبني ... ولــم ينــدى لها أبداً جبينــي

وقال آخر :

ولقد أمُرُّ على السفيه يَسُبُّني ... فمضيتُ ثمَّة قلتُ لا يعنيني

وقال ثالث :

إذا نطق السفيه فلا تُجبهُ ... فخيرٌ مِن إجابتهِ السُكوتُ [2]

فإن كلَّمتــه فــرَّجت عنه ... وإن خلَّيتــهُ كمـــداً يموت [3]

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ :

يخاطبني السفيه بكل قبحٍ ... فأكره أن أكون له مجيبا

يزيد سفاهة فأزيد حلماً ... كعودٍ زاده الإحراق طيبا [4]

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ :

إذا سبَّني نذلٌ تزايدت رفعة ... وما العيب إلا أن أكون مسابه

ولو لم تكن نفسي عليَّ عزيزة ... لَمَكَّنتها من كل نذلٍ تحاربه [5]

---

(١) لا تحزن ، مرجع سابق صـــ ٧٨ .

(٢) المرجع السابق صـــ ٧٨ .

(٣) روي عن الإمام الشافعيّ رَحِمَهُ اللهُ انظر ديوان الإمام الشافعي ، مرجع سابق ص ٩ .

(٤) المرجع السابق ص ٨ . ورُوي هذين البيتين عن الإمام عليّ ﷺ بلفظ :

وذي سفهٍ يواجهني بجهلٍ ... وأكره أن أكون له مجيبا

يزيد سفاهة وأزيد حلماً ... كعودٍ زاده الإحراق طيبا

انظر ديوان الإمام عليّ ، مرجع سابق ص ٣٩ .

(٥) ديوان الإمام الشافعي ، مرجع سابق ص ٧ .

وقال أيضاً رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

قالوا سكتَّ وقد خوصمتَ قلتُ لهم ... إن الجواب لباب الشرِّ مفتاحُ
والصمت عن جاهل أو أحمق شرف ... وفيه أيضاً لصون العِرض إصلاح
أما ترى الأُسد تُخشى وهي صامتة ... والكلب يخسى لعمري وهو نبَّاح[1]

وروي عنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

أعرض عن الجاهل السفيهِ ... فكُـل مـا قـالَ فهـو فيهِ
ما ضرَّ نهــر الفــرات يوماً ... أن خاض بعض الكلاب فيهِ [2]

وكأن المتنبي وصف حاله بقوله :

وأكبر نفسي عن جزاء بغيبة ... وكل اغتياب جهد مَن لا له جهد

وقال الشاعر :

إذا مــا سفيــه نالــني منه نـائل ... من الذم – لم يحرج بموقفه صدري
أعود إلى نفسي فإن كان صادقاً ... عتبت على نفسي وأصلحت من أمري
وإلا فما ذنبي إلى الناس أن طغى ... هواها فما ترضى بخير ولا شرّ [3]

وقال الشيخ مُحَمَّد خليل الخطيب :

وإذا قريتَ أخا الشتائـم سكتةً ... خفَّفت مِن جمِّ الشتام قراكا
وترى المُنفَّس عنه إن جـاوبتهُ ... وإذا سكتَّ تـــزدهُ مِن إيذاكا
أفيستـوي مَن بالعبيرِ مُضمَّخٌ ... بمُريحِ مَن يستنشقون سُهاكا[4]

---

(1) المرجع السابق ص ٩. ويخسى : أي يُــرمى بالحصى .

(2) المرجع السابق ص ٧ .

(3) التراجم المهمة للأربعة الأئمة ص ٢١ .

(٤) وحي الحديث ص ٦٤ و (قراك) : ظهرك ، العبير : أخلاط الطِــيب ، السُهاك : الرائحة الكريهة .

وقد قيل : " شتم من لا يحتمل شتمك استدعاءٌ مِنك للشتم ، وشتم مـــن يحتمـــل شتمك لؤم" (١).

إن التافهين والمبخوسين يجدون تحدياً سافراً مِن النُبلاء واللامِعين والجهابذة .

قال البُحتري :

إذا محاسنيَ اللاتي أدل بها كانت عُيوبي فقل لي كيف أعتذرُ ؟!(٢)

ويقول أحد الأدباء : افعل ما هو صحيح ، ثم أدر ظهرك لِكُـــل نقدٍ سخيف (٣).

ويقول أحد الأدباء أيضاً : " يُمكِن أن تُحطِّم العِصيّ والحِجارة عِظامي ، لكـــن لن تستطيع الكلمات النيل مِنّي " (٤) .

وصدق الشاعر :

لا يَضر البحر أمسى زاخراً أن رمى فيه غلامٌ بحجر

ثانياً : كيف تواجه النقد الآثم .

الرُّقعاء السُّـــخفاءُ سبُّـــوا الخالق الرازق – جلَّ في عُلاه ، وشتموا الواحِد الأحد لا إله إلاَّ هو ، فماذا نتوقع ونحنُ أهل الحيف والخطأ ، إنك سوف تواجه فـــي حياتِـــكَ حرباً ضَروساً لا هوادة فيها : مِن النَّـــقد الآثم المُر ، ومِـــن التحطـــيم المـــدروس المُتعمَّد ، ومِن الإهانة المُتعمَّدة ، ما دام أنك تُعطي وتبني وتؤثر ، وتسطع وتلمع ، ولن يسكُـــت هؤلاء عنك حتى تتخذ نفقاً في الأرض أو سُلَّماً في السماء فتفر مِنهم ،

---

(١) السياسة ١ . صـــ٣٣ .

(٢) لا تحزن ، مرجع سابق صـــ ٧٨ .

(٣) المرجع السابق صـــ ٧٩ .

(٤) المرجع السابق صـــ ١١٥ .

أما وأنت بين أظهُرهم فانتظر منهُم ما يسوؤك ويُبكي عينــك ، ويُــدمي مُقلتيــك ، ويَقضٌّ مضجعكَ ، وقد قيل : إذا طعنك أحد من الخلف فهذا يعني أنك في المقدمة .

إن الجالِس على الأرض لا يَسقط ، والناس لا يَرفسون كلباً ميِّــــتاً ، لكنَّـــــهم يَغضبون عليك لأنكَ فُــقتهُم ، فأنت عِندهُم مُذنبٌ لا توبة لك ، حتى تترك مواهبــك ونِعم اللهِ عليك ، وتتخلع من كُــلِّ صِفات الحمد ، وتنسلخ مِن كُــلِّ معاني النُــبل ، وتبقى بليداً غبيَّــاً ، صِفراً مُحَطَّماً ، مكدوداً .. ، هذا ما يُريدونــهُ بالــضبط . إذن فاصمُد لِكَلامِ هؤلاء ونقدِهم وتشويههم وتحقيرهم ، وكُن كالصخرة الصامِتة المهيبــة تتكسر عليها حَبَّات البَرَد لتثبت وجودها وقدرتها على البقاء ، **إنك إن أصغيت** لِكلام هؤلاء وتفاعلتَ به حَــققتَ أمنيتهم الغالية في تعكير حياتِكَ وتكــدير عُمــركَ ، ألا فاصفح الصفح الجميل ، ألا فأعرض عنهُم ولا تكُ في ضَيَقٍ ممَّــا يمكــرون . إن نقدهُم السخيف ترجمة مُحترمة لك ، وبقدر وزنكَ يكون النقد الآثم المُفتعل .

إنك لن تستطيع أن تغلق أفواه هؤلاء ، ولن تستطيع أن تعتقل ألسِنتهم ، لكنَّــكَ تستطيع أن تدفن نقدهم وتَجَنّــيهم بتجافيك لهُم ، وإهمالــكَ لِــشأنِهم ، واطِّراحِــك لأقوالِهم : ﴿ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ ﴾ [1] ، واجعلهم وأقوالهم عندك **كما قيل** : كمثل بعوضةٍ وقعت على نخلة ، فقالت : أيتها النخلة استمسكي فإني عنكِ طائرة ، فقالت لها النخلة : والله ما شعرتُ بكِ وأنتِ واقعة عليَّ ، فكيف أشعر بكِ وأنــتِ طــائرة عني ؟! .

بل إنك تستطيع أن تصُب في أفواههم الخردل بزيادة فضائلك ، وتربية محاسِنك وتقويم اعوجاجك .

([1]) المرجع السابق صــ١٩ .

قال الشاعر:

اصبر على حسد الحسـو	**د فإن صبـــرك قاتلـه**
فالنــارتأكُــلُ بعضـها	**إن لم تجد ما تأكُلُه** (١)

إن كُنتَ تريدُ أن تكون مقبولاً عِند الجميع ، محبوباً لدى الكُــلّ ، ســليماً مِــن العُيوب عِند العالمِ ، فقد طلبتَ مُستحيلاً وأمَّلتَ أملاً بعيداً .

ثالثاً : اكسب الناس :

مِن سعادة العبد قدرتهِ على كسب الناس ، واستجلاب محبَّتهم وعطفهــم ، قــال إبراهيم عليه السلام ﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ قال عددٌ مِن المُفسرين : المُرادُ الثناء الحَسَن .

وقال سُبحانه وتعالى عن موسى عليه السلام ﴿ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي ﴾ قال بعضهم : ما رآكَ أحدٌ إلاَّ أحَبَّــك .

وفي الحديث الصحيح : **(أنتم شهداء اللهِ في الأرض)** (٢) .

وصحَّ : **(أنَّ جبريل يُنادي في أهل السماء : إن الله يُحبُّ فلانـــاً فأحِبُّـــوه ، فيُحِبُّهُ أهلُ السماء ، ثم يوضع لهُ القبول في الأرض)** (٣) .

---

(١) روي عن الإمام الشافعي رحمه الله بلفظ :

اصبر على مضض الحســود	**فـــإن صبرك قاتله**
فالنار تأكـــل نـــفـســـها	**إن لم تجد ما تأكله**

انظر ديوان الإمام الشافعي ، مرجع سابق هامش ص ٩ .

(٢) رواه البخاري ح رقم ١٣٠١ ، ورواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه انظر الترغيب والترهيب ح رقــم ٥٣٣٦ ، ورواه أحمد ح رقم ١٣٠٦٢ ، والبيهقي في السنن الكبرى ، والطبراني في الكبير والأوسط .

(٣) رواه البخاري ٣٠٣٧ ، ومسلم ٢٧٣٦ ، ومالك في الموطأ ١٧١٠ ، والطبراني في الأوســط ٥٠٠١ ، وأحمــد ٩٣٤١ ، وابن حبان ٣٦٤ .

ومِن أسباب الوُدِّ : بسطة الوجه ولين الكلام وسَعَة الخُــلُق . فألِن كَلِمتك ، إذ كما قيل : "**مَن لانت كَلِمتهُ وجبت محبته** " [١].

والمرء بأصغريه : قلبهِ ولِسانه ، فإذا كان طيِّب القلب ، عفيف اللسان ، حَسُن مَعشرهُ وأحَبَّهُ الناس ، أمَّا إن كان غليظ القلب ، فظ اللسان ، كرههُ الناس وانفــضوا مِن حولِه .

إن الكلمة اللّيّنة تفعل فِعلها في القلوب ، وإن منهج الحق الموروث عــن نبــي الحق هو إنزال الناس منازلهم مِن التبجيل والتكريم ، وإنها موهبة ربانية أن تُــسعد الناس ، وأن تسعد نفسكَ بحُــسن تعامُلــك ، ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ .

إن بإمكاننا أن نشمخ بأنوفنا على الناس ، وأن نعبس في وجوههم ، لكننا سوف نخسرهم ولا يخسروننا ، لأنهم سوف يجدون غيرنا مِمَّــن يتواضع لهم ، ويبتــسم لهم ، ويوطئ كنفهُ لهم .

إن مِن سعادتنا كسب الناس ؛ لأنهم أهل الثناء والدعاء والمحبــة والتعــاطف ، وهم شهداء اللهِ في الأرض ، ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [٢] .

وتأمل هذه المرويات :

(المؤمن يألف ولا خير في مَــن لا يألف ولا يؤلف) [٣] .

---

(١) روي من قول الإمام عليّ ﷺ . انظر ديوان الإمام عليّ ، مرجع سابق ص ٤٢ .

(٢) لا تحزن ، مرجع سابق صـــ ٣٦٧ .

(٣) رواه (حم) عن سهل بن سعد ، وصححه صاحب جوامع الكَــلِــم ، وبلفظ (**المؤمن آلف مــألوف ولا خيــر فيمن لا يألف ولا يؤلف**) رواهُ الحاكم مِن حديث أبي هريرة ﷺ .

(إن أحبَّكم إلى اللهِ عزَّ وجلَّ الَّذين يألفون ويُؤلفون ، وإن أبغضكم إلى اللهِ عزَّ وجلَّ المشاءُون بالنميمة المُــفرقون بين الإخوان) [١] .

(إن أقربكم مِني مجلساً أحاسنكم أخلاقاً الموطــؤون أكنافــاً الَّــذين يــألفون ويؤلفون) [٢] .

(إنكم لا تسَعون الناسَ بأموالكم ، ولكن ليَسَعهم مِنكم بَــسط وجــوه وحُــسن خــلُــق) [٣] .

وإنَّ مِن العوامل القوية كذلك في جلب أرواح الناس إليــك : **الرفــق** ، ولــذلك رُوي عنه ﷺ : **(ما كان الرفق في شيءٍ قط إلاَّ زانه ، ولا عزل عــن شـــيءٍ إلاَّ شانه)**[٤] .

وروي عنه ﷺ أيضاً : **(مَن يُحرم الرفق يُحرم الخيــر كُــــله)**[٥] ، لأن الله يُعطي على الرفق ما لا يُعطي على العُنف .

---

(١) رواهُ الطبراني في الأوسط والصغير مِن حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواهُ الطبراني مِن حديث جابر رضي الله عنه .

(٣) رواهُ الطبراني في مكارم الأخلاق مِن حديث أبي هُريرة رضي الله عنه مشار إليه فى كتاب الإسلام نسب صـــــ ١٧١ ، ١٧٢ ، ورواه السيوطي في الجامع الصغير عن أبي هريرة رضي الله عنه: ٢٥٤٥ والحديث: حسن .

وبلفظ : **(إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق)** رواه المنذري في الترغيب والترهيب ٣/٣٥٨ ، خلاصة حكم المحدث : روي من طرق أحدها حسن جيد ، فالحديث حَــسَــن لغيره

(٤) رواه أحمد ح رقم ٢٥٧٥٠ . وفي رواية : **(إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه . ولا ينزع مــن شـــيء إلا شانه)** . وفي رواية : بهذا الإسناد . وزاد في الحديث : ركبت عائشة بعيرا . فكانت فيه صعوبة . فجعلت تردده . فقال لها رسول الله ﷺ : **عليك بالرفق** . ثم ذكر بمثله : صحيح مسلم: ٢٥٩٤ .

وبلفظ : **(ما كان الرفق في شيء قط إلا زانه ، ولا كان الخرق في شيء قط إلا شانه وإن الله رفيق يحب الرفق)** ذكره الألباني في صحيح الترغيب عن أنس بن مالك٢٦٧٢.

(٥) رواه أبو داود ح ٤٨٠٩ صحيح أبي داود للألباني: ٤٨٠٩، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه ح رقــم٢٥٣٠٣ ، وفي مسلم بدون لفظ " **كله** " ح رقم٢٥٩١ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ، ح : ٦٦٠٦ .

قال أحد الحُكماء : الرفق يُخرج الحيَّة مِن جُحرها .

اللِّين في الخطاب ، البسمة الرائقة على المُحَيَّا ، الكلمة الطيبة عند اللقاء ، هــذه حُللٌ منسوجة يرتديها السُعداء، وهي صفات المؤمن ، **فقد رُوي (المؤمنُ كالنحلة : تأكُــلُ طيِّباً ، وتضعُ طيِّباً ، وإذا وقعت على عودٍ لم تكسرهُ)** [1] .

رابعاً : **أحسن إلى الناس :**

فإنك إن فعلتَ تمَّت سعادتك وعمَّت نِعمتك .

ذلك أنَّ مِن سعادة العبد المُسلم أن يكون لهُ عُمرٌ ثانٍ ، وهو الــذكر الحَــسَن ، وعجباً لِمن وجد الذكر الحسن رخيصاً ، ولم يشتَرِه بمالِه وجاهِه وسعيِه وعَمَلِه .

وفي قول إبراهيم عليه السلام ﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴾.

قيل المُراد : الثناء الحَسَن والدُعاء له .

وقد رُوِيَ: (**جُبلت القلوب على حُبِّ مَن أحسنَ إليهــا ، وبُغــضِ مَــن أســاء إليها**)[2] .

وقال الشاعِر :

أحسِن إلى الناسِ تستعبد قلوبهموا   فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

كذا قِيل : " **الإنسانُ أسير الإحسان** " .

---

[1] لا تحزن صــ ٣٠ ، وفي لفظ : " **مثل المؤمن مثل النحلة ، إن أكلت أكلت طيبا ، وإن وضعت وضعت طيبــا ، وإن وقعت على عود نخر لم تكسره ، ومثل المؤمن مثل سبيكة الذهب ، إن نفخت عليها احمرت ، وإن وزنت لــم تنقص** " الراوي: عبدالله بن عمرو بن العاص: صحيح الجامع للألباني : ٥٨٤٦ والحديث : حسن .

[2] رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ، وهو في مسند الشهاب .

والإحسان يكون لِلصديق والعدوّ ، ولِذا قال الإمامُ عليّ : – كرَّم اللهُ وجهه – : " **أحسن إلى المُسيء تَسُد** " .

كذا قيل : " **الإحسان يقطع اللسان** " ، وذلك لأنهُ يَجعل العَدُوّ يَشعُر بالخِزي فلا يُهاجمك .

فاصنع المعروف إلى الناسِ تُحمد ، فقد قيل : " **مَن زرع المعروف حـــصد الشكر** " .

كما أن صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، **وقد قيل** : " صاحِب المعـــروف لا يقع أبداً ، فإن وقعَ وُجدَ مُتَّـــكئاً " .

فأحسِن إلى الناس ، ولا تُكثر أعداءك ، فقد قِيل : " مَن كثـــر عـــدُوَّهُ فليتوقـــع الصرع " ، وقال الإمامُ عليّ – كرَّمَ اللهُ وجهه – :

وليس كثيراً ألف خلٍّ وصاحبٍ وإن عدواً واحداً لكثيرُ (١)

ولا تستهن أخي المُرشَّح بعدوّ ، فإن البعوضة تُدمي جبهة الأسد .

خامســـاً : لا تنتظر شُكراً مِـــن أحـــد .

خلق اللهُ العِــبادَ لِيذكروهُ ، ورزق اللهُ الخليقة لِيشكروه ، فعَبَدَ الكثيـــر غيـــرهُ ، وشكر الغالِب سواه ، لأنَّ طبيعة الجحود والنُكران والجفاء وكُــفران النِّـــعم غالبـــة على النفوس ، فلا تصدم إذا وجدت هؤلاء قد كفروا جميلك ، وأحرقوا إحـــسانك ، ونَسَوا معروفك ، بل رُبَّما ناصبوك العداء ، ورموك بمنجنيـــق الحِقـــد الـــدفين ، لا لِشيءٍ إلاَّ لأنَّكَ أحسنتَ إليهم ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ﴾

(١) ديوان الإمام عليّ ، مرجع سابق ص ٦٧ .

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

ومن الشقـاوة أن تحـبّ ومَن تحبّ يحبّ غيرك
أو أن تريد الخير للإنسان وهـو يريد ضيرك (١)

وقال أيضاً رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

فما كُلّ مَن تهواه يهواك قلبهُ ولا كُلّ مَن صافيته لك قد صفا (٢)

ألا فليهدأ الَّذين احترقت أوراق جميلهم عِنـد منكوسـي الفِطَـر ، ومُحطِّمـي الإرادات ، وليهنئوا بعوض المثوبة عِندَ مَن لا تنفدُ خزائنه .

إن هذا الخطاب الحار لا يدعوك لِترك الجميل ، وعدم الإحسان للغير ، وإنَّمـا يُوطِّـنُـك على انتظار الجحود ، والتنكُـر لِهذا الجميل والإحسان ، فلا تبتـئس بما كانوا يَصنعون .

اعمل الخير لوجه الله ، لأنك الفائز على كُـلّ حالٍ ، ثمَّ لا يَضرك غمطُ مَـن غمَطك ، ولا جحودُ مَن جَحَدَكَ ، واحمد الله لأنك المُحسنُ ، واليدُ العُليا خيـرٌ مِـن اليدِ السُفلى ﴿ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (٣) .

سادساً : لا تحزن مِن فعل الخَـلق معك وانظر إلى فِعلِهم مع الخالق

عِند أحمد في كتاب الزهد، أن الله يقول : **(عجباً لك يا ابن آدم ! خَلَقتك وتعبدُ غيري ، ورزقتك وتشكر سواي ، أتحَبَبُ إليك بالنعم وأنا غنيٌّ عنك ، وتتبغض إليَّ بالمعاصي وأنتَ فقيرٌ إليَّ ، خيري إليك نازلٌ ، وشرُّك إليَّ صاعِد) !!** .

---

(١) ديوان الإمام الشافعي ، مرجع سابق ص ١٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٦ .

(٣) لا تحزن صـ ٢٠ .

وفي الحديث : (**لا أحد أصبر على أذى يسمعهُ مِن الله عزَّ وجلّ : إنَّه يُــشرك به ويُــجعل له الولد ، ثم هو يُعافيهم ويرزقهم**) [1] .

وقد ذكروا في سيرة عيسى عليه السلام : أنهُ داوى ثلاثين مريضاً ، وأبــرأ عِميــان كثيرين ، ثمَّ انقلبوا ضدَّهُ أعداء [2] .

فاعفُ واصفح ، فإنك إن عفوت وصفحتَ نِلتَ عِزَّ الدُنيا وشرفَ الآخرة **(فَمَــنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ)** [3] .

قال الإمام الشافعي رحمه الله :

قيل لي قد أسى عليك فلان ... ومقام الفتى على الذلّ عار
قلت قد جاءني وأحدث عذراً ... دية الذنب عندنا الاعتذار [4]

وقال أيضاً رحمه الله :

اقبــل معاذير مَــن يأتيــك معتذرا ... إن برَّ عنــدك فيمــا قــال أو فجرا
لقد أطاعك مَن يرضيك ظاهرهُ ... وقد أجلّــك مَن يعصيك مستترا[5]

وقد قال رجُلٌ لأبي بكر رضي الله عنه: واللهِ لأسُبَّــنك سَبَّاً يدخل معك قبرك ! ، فقــال أبــو بكر : بل يَدخل معك قبرك أنت !! .

وقال رجُلٌ لِعَمرو بن العاص : لأتفرغن لِحربكَ ، فقال عَمرو : الآن وقعتَ في الشغل الشاغل [6] .

---

(1) رواه مسلم ح رقم ٢٨٠٣ ، وعند ابن حِــبَّــان ح ٦٤٢ بلفظ قريب .
(2) لا تحزن صــ ٨٧ .
(3) المرجع السابق صــ ١١٥ .
(4) ديوان الإمام الشافعي ، مرجع سابق ص ٢٠ .
(5) المرجع السابق ص ٢٠ .
(6) لا تحزن صــ ١١٥ .

ولذلك عندما كتب الإمام الشعرانيّ إلى شيخٍ لهُ بالمغرب يشكو إليه أذية الخلق ، كتب له الشيخ : " لا تشتغل بمن يُؤذيك قط ، واشتغل بالله يردهُ عنك ، وقد غلط في هذا الأمر خلق كثير ، واشتغلوا بمن آذاهم ، فطال الأذى مع الإثــم ، ولــو أنهــم رجعوا إلى الله لكفاهم أمرهم ، ولردَّهُم عنهم " (1) .

ويقول شكسبير : " لا توقدِ الفرن كثيراً لِعدُوِّك لئلا تحرق بهِ نفسك " .

وقال الشاعر :

كُن كالنخيل عن الأحقاد مُرتفعاً يُرمى بصخرٍ فيُلقي أطيب الثمر

ولقد سبق أن ذكرنا قولَ الإمامُ عليّ : – كرَّم اللهُ وجهــه – : " **أحــسن إلــى المُسيء تَسُد** " .

كذا قيل : " **الإحسان يقطع اللسان** " ، فهو يَجعل العدُوّ يَــشعُر بــالخزي فــلا يُهاجمك .

سابعاً : لا تُبالِ بإقبال الخلق وإدبارهم واعلم أن الناس عليك لا لك

فلا تعتمِد على الناس لأن أكثرهم غثاء كغثاء السيل ، ولأن لِقدراتهم حُدود ، وقد قال ﷺ (**الناس كإبل مائة ، لا تجدُ فيها راحِلة**) (2) .

كذلك قيل : " ما حكَ جلدك مِثل ظِفرك ، فتولَّ أنت جميع أمرك " .

وقيل : " مَن اتكل على زاد غيرهِ طال جوعه " .

---

(1) مذاقات في عالم التــصوف . د / حسن عباس زكي صـــ ١٣٢ .

(2) متفق عليه عن ابن عُمَر ﷺ ، ففي مسلم ١٩٢/٧، رقم ٦٠ . وبلفظ (**إنما الناس كإبل مائة لا يكاد تجد فيهــا راحلة**) رواه (حم ق ت هــ) عن ابن عمر ، وصححه صاحب جوامع الكَــلِــم . وهو مَــثل ضربه رســول الله ﷺ لبيان قلة مَــن يُــعتمد عليه في المهمات . انظر جوامع الكلم ص ١٢٥ .

فالعاقل الحصيف يجعل الناس عليه لا له ، فلا يبني موقفـــاً ، أو يتخـــذ قـــراراً يعتمدُ فيه على الناس ، إذ أن الناس لهم حدود في التضامن مع الغير ، ولهم مـــدىً يصلون إليه في البذل والتضحية لا يتجاوزونه .انظر إلى الحُسين بن عليّ – رضي اللهُ عنهُ وأرضاه – وهو ابن بنت الرسول ﷺ ، يُقتل فلا تنبسُ الأمَّة ببنتِ شفةٍ ، بل الَّذين قتلوهُ يُكبِّرونَ ويُهلِّـــلون على هذا الانتصار الضخم بذبحِه !! ، ﷺ .

يقول الشاعر :

جاءوا برأسك يا ابنَ بنتِ مُحَمَّدٍ　　　مُتزمِّلاً بدمائـــهِ تـزميلا

ويُكبّـِرونَ بـأن قُتِلـتَ وإنمـــا　　　قتلوا بك التكبير والتهليلا

كما تخلَّى بعض رفاق عبد الله بن الزبير عنهُ ، في مُواجهتهِ لِلحجَّاج بن يوسُف الثقفيّ ، فقال لهم : **أكلتم تمري وعَصيتم أمري** ، ثم قتلهُ الحجَّاج ، ومثَّـــل بجثته .

ويُساق الإمام أحمد بن حنبل إلى الحبس ، ويُجلد جلداً رهيباً ، ويُـــشرف علـــى الموت ، فلا يتحرك معهُ أحد ؛ لأنهُ كما قيل فإن : **الناس أتباع من غلب** ، كمـــا أن لهم حُدوداً يَصلُون إليها فحَسبُ .

فلا تعتمد على الناس ، ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ .

فالزم يديك بحبل الله مُعتصماً　　　فإنهُ الرُكنُ إن خانتك أركانُ [1]

وقد قال الإمام عليّ رضي الله عنه :

ولا خيـر في وِدِّ امـرىء متلوِّنٍ　　　إذا الريـح مـالت مال حيث تميلُ

جوادٌ إذا استغنيت عن أخذ مالهِ　　　وعند احتمال الفقر عنك بخيلُ

فما أكثر الإخوان حين تعدّهم　　　ولكنهـم في النائبـات قـليـلُ [2]

وهو القائل : " إنكم لتكثرون عند الطمع وتقلّـــون عند الفزع " .

---

(1) لا تحزن صـــ ١٥٩ بتصرف يسير .

(2) ديوان الإمام عليّ ، مرجع سابق ص٣٦ ، ٣٧ .

تاسعاً : لا تقلق مِن النصح البنَّاء الهادف ، بل رحِّب به ولا تغتر بالمدح .

يقول أندريه مورو : " إن كُــل ما يتفق مع رغباتنا الشخصية يبــدو حقيقيــاً ، وكُــلَّ ما هو غيرُ ذلك يُــثير غضبنا " .

والواجب أن نفرح بالنصائح والنقد البناء ، ولكن الغالــب أننــا نحــبُّ المــدحَ ونطربُ لهُ ، ولو كان باطلاً ، ونكره النقد والذمَّ ولو كان حقاً ، وهذا عيــبٌ كبيــرٌ وخطأ خطير .

﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴾ (١).

قال الماوردي : وللإعجاب أسباب : فمِن أقوى أسبابهُ كثرة مديح المُــتقربين ، وإطراء المُــتملِّقين ، الَّذين جعلوا النفاق عادة ومكسباً ، والتملُّــق خديعة وملعبــاً ، فإذا وجدوهُ مقبولاً في العقول الضعيفة ، أغروا أربابها باعتقاد كذبهم .

والحدود الَّتي يقف عندها المُــسلم ، ويخرج بها مِن تبعــة الملــق والمُبالغــة ، وينتفع بها ممدوحهُ فلا يُــزلَّهُ إلى العُجب والكبرياء ، قد بيَّنها النبي ﷺ .

فقد أثنى رجُــل على آخر عند رسول اللهِ ﷺ ، فقال لــهُ : (**ويحــك قطعــتَ عُــنق صاحِــبك**) – يقولهُ مِراراً – ثم قال : (**إن كان أحــدكم مادحــاً لا محالــة فليقل : أحسبُ كذا وكذا ، إن كان يرى أنهُ كذلك ، واللهُ حسيبهُ ولا يُزكي على اللهِ أحداً**)(٢).

---

(١) لا تحزن صـ ١٠٨ .

(٢) أخرجهُ البخاري ورواهُ كذلك بلفظ قريب الإمام مسلم ٢٩٩٩ ، ٣٠٠٠ ، وأحمد ،وابن ماجه ٣٧٤٤ ، والنــسائي في سننه ١٠٠٦٨ ، وابن حبان ٥٧٦٧ ، والبيهقي ، والطيالسي ، وابن أبي شيبة .

وقال عُمَر بن الخطاب ﷺ : **المدح ذبح** . وقال ابن المُــقفع : **قابــل المــدح كمادح نفسه** . وقال بعض الحُــكماء : مَن قبل أن يُمدح بما ليس فيه ، فقد أمكــن الساخر منه .

قال الشاعر :

إذا المرءُ لم يمدحهُ حُسنُ فِعالهِ فمادحهُ يهذي وإن كانَ مُفصحاً

وقيل فيما أنزلهُ اللهُ عزَّ وجلَّ من الكُــتب السالفة : عجب لِمَن قيل فيهِ الخيــر وليس فيهِ كيف يفرح ؟ وعجب لِمَن قيل فيهِ الشر وهو فيهِ كيف يغضب ؟ [١]

وقد قال أحد الصحابة : " لا يأخذنكم الزهو بنظر الناس إلــيكم ، ولا بحــديثهم عنكم وضعوا أعينكم على الَّذي هو أبر وأتقى وأخلصوا للهِ ربِّ العالمين " .

وصدق الإمام ابن عطاء اللهِ السكندري :

" الناس يمدحونك لما يظنونهُ فيك ، فكن أنت ذامَّــاً لنفسكَ لما تعلمهُ منِها ، فأجهــل الناس مَن تركَ يقين ما عندهُ لظن ما عند الناس " .

---

(١) لا تحزن صـــ١٧٤ ، ١٧٥

مراجـــع الجزء الأول

١- **أبجدية التصوف الإسلاميّ** لفضيلة الأستاذ الإمام السيد / محمد زكي إبراهيم . ط مطبوعات ورسائل العشيرة المُـحَـمَّـدية . الطبعة الخامسة .

٢- **إتحاف الأخيار بأصح العقائد والأذكــار** جمع وتأليف شاعر النبيّ ﷺ : الشيخ / مُـحَـمَّد خليل الخطيب . الطبعة الثانيــة ٢٠٠٣ م ، والطبعــة الحاديــة عشرة إبريل ٢٠٠٥ م .

٣- **إحياء علوم الدِّين** . حجة الإسلام الإمام أبي حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي . طـ دار الحديث . ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

٤- **إحياء علوم** الدين للإمام الغزالي . ط دار المعرفة بيروت .

٥- **الاختراق اليهودي للمُجتمعات الإسلامية** . د / فرج الله عبد الباري .

٦- **أدب الدنيا والدين** . أبي الحَسَن البصري الماوردي . ط دار إحيــاء الكتــب العربية .

٧- **الأدب المفرد** للبخاري ، ط دار البشائر الإسلامية بيروت .

٨- **أدلة الإثبات في الفقه الإسلامي** . د/ أحمد فراج حــسين . ط دار الجامعــة الجديدة للنشر . طـ ٢٠٠٤ م .

٩- **الأسباب المفيدة في اكتساب الأخلاق الحميدة .**

١٠- **الاستيعاب لابن عبد البر .**

١١- **أسرار العبد الصالح وموسى عليهما السلام** . ا . فوزي محمد أبو زيد .

١٢- **الإسلام نسَب** للإمام مُحَمَّد ماضي أبي العزائم .

١٣- **الإسلام نظام حياة** . عبد الحميد مصطفى الشيخ . ط ١٤٠١هـ -١٩٨١م .

١٤- **الإسلام والاستبداد السياسي** . الشيخ / مُحَمَّد الغزالى . طـ دار التــأليف . الطبعة الثالثة . ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

١٥- **إشراقات الإسراء** . ا . فوزي محمد أبو زيد .

١٦- **أصول الممارسة البرلمانية. المجلد الأول.** تأليف / سامي عبد الصادق – ط الهيئة المصرية العامة للكتاب طـ ١٩٨٢ م .

١٧- **أصول الوصول** للشيخ مُـحَـمَّـد زكي إبراهيم .

١٨- **أعلام الصوفية** د / جوده المهدي .
١٩- (**المحمديات**) لفضيلة الأستاذ الإمام الرائد / مُـحَـمَّـد زكي إبـراهيم . مطبوعات العشيرة المُـحَـمَّـدية .
٢٠- **أنبياء الله لــ** أ . أحمـد بهجـت - ط دار الـشروق - الطبعـة التاسـعة والعشرون ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
٢١- **الانتخابات البرلمانية في مصر** ، درس انتخابات ١٩٨٧ م ، طبعـة مركـز البحوث العربية دار سينا للنشر الطبعة الأولى ١٩٩٠م .
٢٢- **الأنوار في عِلم الأسرار ومقامات الأبرار.** الإمام أبي القاسم عمـاد الـدِّين عبد الرحمن بن عبد الله البكري الصقلي المالكي. الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
٢٣- **بدائع السلك في طبائع الملك** لــ ابن الأزرق .
٢٤- **البرهان المؤيد** للإمام الشيخ أحمد الرفاعيّ ط المكتبـة الأدبيـة بحلـب - سوريا .
٢٥- **بستان العارفين** للإمام النووي .
٢٦- **بشر بن الحارث الحافي** . تأليف الإمام الأكبر الشيخ / عبد الحليم محمود .
٢٧- **بغية الباحث من زوائد مسند الحارث** للهيثمي .
٢٨- **بوارق الحقائق** للشيخ الرواس .
٢٩- **تاريخ الخلفاء** للإمام السيوطي .
٣٠- **تاريخ بغداد** للخطيب البغدادي - ط ابن كثير .
٣١- **تاريخ دمشق** لابن عساكر . ط دار الفكر بيروت .
٣٢- **التراجم المهمة للأربعة الأئمة** للإمام الشيخ / مُحَمَّـد خليل الخطيب النيديّ . ط ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .
٣٣- **الترغيب والترهيب** للمنذري .
٣٤- **التعاليم الجلية في شرح وإعراب شواهد أبيات الأزهرية** للشيخ الـدكتور / محمد خليل الخطيب - ط المطبعة المحمودية التجارية بـالأزهر - الطبعـة الأولى ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م .

٣٥- **تفسير التستري** . الإمام/ سهل بن عبد الله التـستري . طـــ دار الكتـب العلمية . الطبعة الأولى . ١٤٢٣ هــ - ٢٠٠٢ م .

٣٦- **تفسير السراج المنير** للإمام مُحمد الخطيب .

٣٧- **تفسير القرطبي** . ط دار الكتاب المصري .

٣٨- **تفسير روح المعاني** للإمام الألوسي .

٣٩- **تلبيس إبليس** . للإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي . ط دار المنـار. الطبعة الثانية ١٤١٩ هــ - ١٩٩٩ م .

٤٠- **التنوير في إسقاط التدبير** . للشيخ الإمـام سـيدي أحمـد بـن عطـاء الله السكندريّ . ط المكتبة التوفيقية .

٤١- **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق** لـ أبي عليّ أحمد بن محمد بـن يعقـوب الرازي " مسكويه " المتوفى سنة ٤٢١ هــ ، تقديم الـشيخ / حـسن تمـيم القاضي الشرعي. الطبعة الثانية- منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت-لبنان

٤٢- **جامع العلوم والحِكَم في شرح خمسين حديثاً مِن جوامـع الكلِـم** . للإمـام الحافظ زين الدِّين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي الدمشقي . طــ دار المنار . الطبعة الأولى ١٤١٩ هــ - ١٩٩٩ م .

٤٣- **جامع بيان العلم وفضله** لابن عبد البر .

٤٤- **الجامِع لأحكام القرآن** لأبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد الأنـصاري القرطبـي . طــ دار الحديث . الطبعة الثانية ١٤١٦ هــ - ١٩٩٦ م .

٤٥- **جوامع الكلِـم من أحاديث سيد العرب والعجم** . صلاح الدين التجـاني ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ٢٠٠٠ م .

٤٦- **جوامع كلم الصوفية** للعارف بالله / مصطفى البكـري - ط مطـابع الـدار الهندسية . توزيع مكتبة الإيمان .

٤٧- **جواهر التصوف**. الإمام/يحيى بن معاذ الرازي. طــ١٤١٩هــ- ١٩٩٩ م.

٤٨- **الحاوى الكبير** للماوردى ، ط دار الفكر بيروت .

٤٩- **حُسن السلوك** الحافظ دولة المُلوك للموصلي .

٥٠- **الحق المُر** . الشيخ مُحَمَّد الغزالي . ط دار الريان .

٥١- **حِكاية الأمثال العربية** . مجدي كامل . ط دار سلمى . الطبعة الأولى .

٥٢- **حـــكمة الرجز أو (صورة المُـــجتمع)** للإمام الشيخ / مُـــحَـــمَّـــد خليـــل الخطيب . ط ١٣٥١ هـــ - ١٩٣٣ م .

٥٣- **الحكومة الإسلامية** لأبي الأعلى المودودي . ط المختار الإسلامي .

٥٤- **حلية الأولياء** لأبي نعيم ، ط دار الكتاب العربى ، بيروت .

٥٥- **حول معالم القرآن** . الإمام الشيخ / مُحَمَّد زكيّ الدِّين إبراهيم . مطبوعـــات ورسائل العشيرة المُحَمَّدية . الطبعة الثانية ١٤١٥ هـــ - ١٩٩٤ م .

٥٦- **حياة الصحابة** . العلامة الشيخ مُحَمَّد يوسُف الكنـــدهلوي . طـــ المكتـــب الثقافي . الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـــ - ١٩٩٩ م .

٥٧- **حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب** . الشيخ عماد الـــدِّين مُحّمَّـــد الأموي البكري الإسنوي . ط دار جوامع الكلم . طـــ ٢٠٠٢ م .

٥٨- **خطب الرسول** ﷺ . للإمام مُحَمَّد خليل الخطيب . طـــ دار الفضيلة . طـــ ١٩٨٣ م .

٥٩- **خلفاء الرسول** ﷺ. خالد مُحَمَّد خالد . ط دار ثابت .

٦٠- **الدستور المصري ورقابة دستورية القوانين** ، د / مصطفى أبو زيد فهمي. الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية .

٦١- **الدليل إلى الطريقة المُحَمَّدية** . الإمام الشيخ / مُحَمَّد زكيّ الدِّين إبـــراهيم . طـــ مطبعة الحضارة العربية . الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـــ - ١٩٨٥ م .

٦٢- **الدين والسياسة** . د / يوسف القرضاوي .

٦٣- **ديوان الإمام الشافعي** . ط دار المنار. الطبعة الأولى ١٤٢١ هـــ-٢٠٠٠ م

٦٤- **ديوان الإمام عليّ** . ط مكتبة فياض ودار المنار .

٦٥- **الديوانة** . في وقت ثبوت الفتح للذات المحمدية .

٦٦- **رسالة الأنوار في صحبة الأخيار وبعض مـــن آدابهم** . للإمام عبد الوهاب الشعراني .

٦٧- **الرسالة القشيرية** للإمام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيـــسابوري القشيري .

٦٨- **رسالة المُسترشدين** . الإمام / أبي عبد الله الحارث بــن أســد المُحاســبي البصري بتحقيق وتعليق الشيخ / عبد الفتاح أبو غدة . طـــ دار الــسلام . الطبعة العاشرة ١٤٢١ هــ - ٢٠٠٠ م .

٦٩- **الرعاية لحقوق الله** . الإمام / الحارث بن أســد المُحاســبي . ط المكتبــة التوفيقية . الطبعة الخامسة .

٧٠- **روضة الخطباء** . د / مصطفى محرم ، ط دار الفجر للتراث .

٧١- **رياض المُــتقين** الشيخ سليمان فرج .

٧٢- **زهور من بستان الحب** : إعداد الشيخ عبد الحميد كاشوري .

٧٣- **ساعة مع العارفين** لــ سيد الأعظمي الندوي – ط المقطم للنشر والتوزيع – الطبعة الأولى ١٤٢٥ هــ - ٢٠٠٥ م .

٧٤- **سمير الصالحين وأنيس المتقين** . أحمد سعد الشهاوي شــرف الــدِّين . ط المكتبة التوفيقية .

٧٥- **سنن ابن ماجه** . ط دار الفكر – بيروت .

٧٦- **سنن أبي داود** . ط دار إحياء الكتب العربية .

٧٧- **سنن أبي داود** . ط دار الكتاب العربي – بيروت .

٧٨- **سنن البيهقى الكبرى** . ط مكتبة دار الباز – مكة .

٧٩- **سنن الترمذى** ، ط دار إحياء التراث العربى ، بيروت .

٨٠- **سنن الترمذى** ، ط دار الكتاب العربى ، بيروت .

٨١- **السنن الكبرى للبيهقي** ط مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند .

٨٢- **السنن الكبرى** للنسائى . ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى .

٨٣- **سيرة عُمَر بن عبد العزيز** . لــ أبو الفرج عبد الرحمن بــن الجَــوزي . ط دار ابن خلدون .

٨٤- **شذرات الذهب لابن العماد** الشيخ العلامة شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحــي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي المعروف بابن العماد .

٨٥- **شرح السنة** للبغوى .

٨٦- **شرح القصيدة النونية** لابن القيِّــم .

٨٧- **شرح نهج البلاغة** / عبد الحميد بن هبة الله .

٨٨- **شعب الإيمان** للإمام البيهقي .
٨٩- **الصحوة الإسلامية وهمــوم الــوطن العربــي والإســلامي** . د/ يوسُــف القرضاوي . ط دار الصحوة .
٩٠- **صحيح ابن حبَّــان** ، ط مؤسسة الرسالة .
٩١- **صحيح البخاري** . ط دار ابن كثير – بيروت .
٩٢- **صحيح الترغيب والترهيب** للألباني .
٩٣- **صحيح مسلم** . ط دار الجيل – بيروت .
٩٤- **صحيح مُسلم بشرح النووي** ، ط دار إحياء التراث العربي .
٩٥- **صحيح مُسلم بشرح النووي** للإمام مُحيي الدِّين أبي زكريا يحيى بن شــرف النووي . ط مكتبة فياض .
٩٦- **صحيح وصايا الرسول** . سعد يوسُف أبو عزيز . ط المكتبة التوفيقية .
٩٧- **صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته** للألبانى .
٩٨- **الصمت وآداب اللسان** لابن أبى الدنيا .
٩٩- **طبقات الحنابلة** لأبي الحسين بن أبي يعلى .
١٠٠- **الطبقات الكبرى** لابن سعد . طبعة دار صادر – بيروت .
١٠١- **الطريق السوى إلى وحدة المسلمين** ، د/ محمــد المجــذوب ، طبعــة دار الشواف للنشر والتوزيع – الرياض المملكة العربيــة الــسعودية – الطبعــة الثانية .
١٠٢- **الطريق إلى الله أو كتاب الصدق** للعارف بالله أبو سعيد الخــراز ، تحقيــق وتقديم وتعليق الإمام الأكبر الشيخ د / عبد الحليم محمود . ط دار المعارف.
١٠٣- **عباد الرحمن** . للشيخ عبد السلام أبو الفضل .
١٠٤- **عصمة النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّــــم** لفــضيلة الأســتاذ الإمــام الــسيد / مُحَــمَّــد زكي إبراهيم .
١٠٥- **العقد الفريد** لابن عبد ربه .
١٠٦- **العقد النفيس في نظم جواهر التدريس** . الإمام الشيخ أحمد بــن إدريــس . طــ دار الصفوة . الطبعة الأولى ١٤١٨ هــ – ١٩٩٧ م .
١٠٧- **العقل وفضله** . الحافظ أبي بكر بن أبي الدنيا . ط مكتبة القرآن .

١٠٨-**العملية الانتخابية في الدول الديمقراطية والمذاهب السياسية والاقتــصادية والاجتماعية المُــعاصرة** . د / مُصطفى محمود عفيفي .
١٠٩- **غياث الأمم في التياث الظلم** . لــ إمام الحَرمين الجويني .
١١٠- **غيث المواهب العلية** .
١١١-**الفتاوى** للشيخ مُحَمَّد متولي الشعراوي . ط الفتح للإعلام العربي . الطبعــة الأولى ١٤٢٠ هــ - ١٩٩٩ م .
١١٢-**فتاوى معاصرة**. د/يوسُــف القرضــاوي . ط دار القلــم. الطبعــة الثالثــة ١٤٢٤هــ- ٢٠٠٣ م .
١١٣-**فتح الباري بشرح صحيح البخاري** . للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حَجَــر العسقلاني . طــ دار الحديث . الطبعة الأولى . ١٤١٩ هــ - ١٩٩٨ م .
١١٤-**فتح البارى بشرح صحيح البخاري** لابن حجر العسقلاني ، ط دار المعرفــة ، بيروت .
١١٥-**الفتح الرباني والفيض الرحماني** . الإمام الشيخ عبد القادر الجيلانــي . ط مكتبة الإيمان .
١١٦-**فتوح الغيب** . للقطب الرباني الشيخ مُحيي الدِّين عبد القادر الجيلاني . طــ المكتبة الأزهرية للتراث . الطبعة الأولى ١٤١٩ هــ - ١٩٩٩ م .
١١٧-**فقه الأولويات** . د/ يوسف القرضاوي . الناشر / مكتبة وهبــه . الطبعــة الرابعة ١٤٢١ هــ - ٢٠٠٠ م .
١١٨-**فقه الحركة في المجتمع** . د / جمال ماضي ، ط دار المدائن .
١١٩-**فقه السُــنة** للشيخ / السيد سابق . الجــزء الثــاني - طبعــة دار التــراث العربيّ.
١٢٠-**فيض القدير** للمناوي . ط دار المعرفة - بيروت .
١٢١-**قواعد الأحكام في مصالح الأنام** . الإمام المُحدِّث سلطان العلماء عِز الــدِّين عبد العزيز بن عبد السلام السُــلَّمي . دار البيان العربي . طــ ١٤٢١ هــ - ٢٠٠٢ م .
١٢٢-**قواعد التصوف** . الإمام الشيخ أحمد بن أحمد بن مُحَمَّد بن زرُّوق . طبعــة المكتبة الأزهرية للتراث . طــ ١٤١٩ هــ - ١٩٩٨ م .

١٢٣-**قوانين حكم الإشراق** للشيخ أبي المواهب الشاذلي .
١٢٤-**كشف الغطاء شرح ترتيب حِكَم سيدي أحمد بن عطـــاء الله الإســـكندري .** الإمام الشيخ / مُحَمَّد خليل الخَطيب .
١٢٥-**كنز العمال من سنن الأقوال والأفعال** للمتقي الهندي . ط مؤسسة الرسالة .
١٢٦-**كيف نتعامل مع التراث والتمذهب والاخــتلاف** . د / يوسُف القرضاوي . ط مكتبة وهبه . الطبعة الأولى . ١٤٢٢ هــ - ٢٠٠١ م .
١٢٧-**لا تحزن** . د / عائض القرني . ط مكتبة العُبيكان . الطبعة الثانية لجمهورية مصر العربية ١٤٢٥ هــ - ٢٠٠٤ م .
١٢٨- **اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة** للإمام السيوطي .
١٢٩- **لسان التعريف بحال الولي الشريف سيدي إبراهيم الدسوقي .**
١٣٠-**لطائف الإشارات** . للإمام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيــسابوري القشيري . طــ المكتبة التوفيقية .
١٣١- **لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العبَّــاس المُرسيّ وشيخه الشاذِليّ أبي الحَسَن** . تأليف الشيخ العارف تاج الدِّين أحمد بن مُحَمَّد بن عبد الكريم بــن عطاء الله السكندري . طــ دار الكتب العلمية . الطبعة الأولى .
١٣٢- **لطائف المنن والأخلاق** للإمام عبد الوهاب الشعراني .
١٣٣-**اللطائف في الحكم والمعلومات والطرائف** ، أحمد عبد الرحيم ، دار البيــان للترجمة والتوزيع - الطبعة الأولى ١٤٣١ هــ - ٢٠١٠ م .
١٣٤-**لقاءات ومُحاورات حول قضايا الإسلام والعصر** . د/ يوسُف القرضــاوي . مكتبة وهبه . الطبعة الأولى ١٤٢٢ هــ - ٢٠٠١ م .
١٣٥- **لوامع الأنوار** . محمد بن أحمد بن سالم السفاريني .
١٣٦-**ليس من قول النبي ﷺ** . د / محمد فؤاد شاكر .
١٣٧-**المجالسة وجواهر العلم** لأبى بكر الدينورى .
١٣٨-**مجلة مجلس الدولة** . السنة الثامنة والعشرون . طــــ الهيئــة المِــصرية العامة للكتاب ط ١٩٩٤ م .
١٣٩-**مجمع الزوائد** للهيثمى ط دار الفكر .
١٤٠-**مجموع الفتاوى** لـــ ابن تيمية ط دار الوفاء ط ـــ ٣ .

١٤١-**المحدث الفاصل بين الراوي والواعي** للإمام الرامهرمزي .

١٤٢-**مُــحَــمَّــد** ﷺ الإنسان الكامل . تأليف الدكتور السيد محمد علوي المــالكي الحَـسَـني . خادم العلم الشريف بالبلد الحرام . ط : دار الغــد العربــيّ – الناشر / دار جوامع الكلم .

١٤٣-**مدارج السالكين شرح منازل السائرين** . للإمام ابن قيِّم الجوزيــة . طـــ المكتبة التوفيقية .

١٤٤-**مدارج السالكين شرح منازل السائرين** . للإمام ابن قيِّم الجوزيــة ، ط دار الكتاب العربى ، بيروت .

١٤٥-**مذاقات في عالم التصوف** . الوزير د / حَسَن عباس زكي . ط دار النهار. الطبعة الأولى ١٤١٩ هـــ – ١٩٩٩ م .

١٤٦-**مراقي الصالحين** . أ . فوزي مُـحَـمَّـد أبو زيد .

١٤٧-**المسئولية الجنائية عن الجرائم الانتخابية للناخبين والمُرشــحين ورجــال الإدارة** د / مُصطفى محمود عفيفي ، ط دار النهضة العربية .

١٤٨-**مساوئ الأخلاق ومذمومها** . أبو بكر مُحَمَّد بن جعفر بن ســهل الــسامري الخرائطي . ط مكتبة القرآن .

١٤٩-**المستدرك للحاكم** . ط دار الكتب العلمية بيروت .

١٥٠-**المُستطرف مِن كُــلِّ فن مُستظرف** . لــ شهاب الدِّين الأبشيهي .

١٥١-**مسند الشاميين** للطبراني .

١٥٢-**مسند الشهاب** للقضاعي .

١٥٣- مسند عبد الله بن المبارك .

١٥٤- مصنف عبد الرزاق . ط دار المكتب الإسلامي – بيروت .

١٥٥-**المعاني الرقيقة على الدرر الدقيقة** . للعارف بالله تعــالى الــشيخ صـــالح الجعفريّ . ط دار جوامع الكلم .

١٥٦-**المعجم الأوسط** للطبراني ، ط الحرمين القاهرة .

١٥٧-**المعجم الصغير** للطبرانيّ.

١٥٨-**المعجم الكبير للطبراني** ، ط مكتبة العلوم والحكم . الموصل .

١٥٩-**المعجم الوجيز** . طبعة مجمع اللغة العربية ١٤١٤ للهجرة – ١٩٩٣ م

١٦٠- **معيد النعم ومبيد النقم** للشيخ الإمام قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهــاب السُـبكي ، الناشر : طبعة مكتبة الخانجي بالقاهرة - الطبعة الثانيــة ١٤١٣ هــ - ١٩٩٣ م.

١٦١- **المفاخر العلية في المآثر الشاذلية .**

١٦٢- **المقاصد الحسنة** للسخاوى ، ط دار الكتاب العربى .

١٦٣- **ملحق مجلة القضاة عدد يونيه** - ديسمبر ٢٠٠٢ م / ربيــع أول - شـــوال ١٤٢٣ هــ .

١٦٤- **من معالم النظام السياسي في الدولة الإسلامية** ، دراسة تاريخية حــضارية مقارنة ، للدكتور/ صابر محمد دياب ، الناشر : مكتبة الزهــراء - الطبعــة الثانية ١٤١٢ هــ - ١٩٩١ م .

١٦٥- **مناهج الاجتهاد** للدكتور أحمد الشافعي .

١٦٦- **مناهل العرفان** للزرقاني .

١٦٧- **موازين الصادقين** / أ . فوزي محمد أبو زيد - ط دار الإيمـــان والحيـــاة . الطبعة الأولى ١٤٢٩ هــ - ٢٠٠٨ م .

١٦٨- **الموافقات في أصول الشريعة** . للإمام أبي إسحاق الشاطبي . مع تعليقــات الشيخ / عبد الله دراز . ط المكتبة التوفيقية .

١٦٩- **موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم** ﷺ الناشـــر / دار الوسيلة للنشر والتوزيع الطبعة الرابعـــة ١٤٢٦ هــــ - ٢٠٠٦ م جـــده - المملكة العربية السعودية .

١٧٠- **الموطأ** للإمام مالك ، ط إحياء التراث العربى .

١٧١- **نثر الدرّ وبسطه في بيان كون العلم نقطة** / للشيخ أحمد بن الـسيد محيـــي الدين بن السيد مصطفى الحسني الجزائـــري . الناشـــر : دار الحـــرمين . الطبعة الأولى ١٤٣٠ هــ - ٢٠٠٩ م .

١٧٢- **النظام الخاص لأهل الاختصاص** . لسيدي أحمد الرفاعيّ . ط دار الحُـسين الإسلامية .

١٧٣- **النظام القضائيّ** : إعداد المستشار حامد مُــحَــمَّــد محمود .

١٧٤-**نفحة القبول في سيرة شاعر الرسول ﷺ الشيخ الإمام مُــحَــمَّـــد خليــل الخطيب** ، لفضيلة الشيخ محمود مُــحَــمَّــد خليل الخطيب .
١٧٥-**نهج البلاغــة** . لــ الإمام عليّ بن أبي طالب . مع تعليق الإمام الشيخ مُحَمَّد عبده . ط دار الحديث . طــ ١٤٢٤ هــ .
١٧٦-**النية والإخلاص** - د / يوسُف القرضاوي . ط مكتبة وهبه.الطبعة الأولــى ١٤١٦هــ .
١٧٧-**والموعد الله** . خالد مُحَمَّد خالد . ط المقطم للنشر والتوزيع . طــــ ١٤١٥ هــ - ١٩٩٤ م .
١٧٨-**وحي الحديث (الجامعة الفاخرة لأدب الدنيا والآخرة)** نظم وشرح شــاعر الرسول ﷺ الشيخ الإمام / مُحَمَّــد خليل الخطيب النيديّ . ط ١٤٣٢ هــ - ٢٠١١ م .
١٧٩-**الورع** للإمام أحمد بن حنبل.
١٨٠- **الوقت في حياة المُــسلم** . د / يوسف القرضاوي .
١٨١- **الولاية** للشيخ محمد محمود عبد العليم .

١٨٢- (**موسوعة أطراف الحديث** محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، **وموســوعة طالب العلم الشرعي ، والمكتبة الألفية ، والمكتبة الشاملة ، ومكتبة التراث السياسي ، وحلية الأولياء** . لــ أبي نعيم ، **ومجموع الفتاوى** . لــ أحمــد بن عبد السلام بن تيمية) من اسطوانات كمبيوتر مدمجــة أو مــن مواقــع إلكترونية .
١٨٣-**المدخل إلى السنن الكبرى** للبيهقيّ . موقع جامع الحديث .

١٨٤-**جريدة الأخبار .**
١٨٥-**جريدة أخبار اليوم .**
١٨٦-**جريدة الأهرام .**

١٨٧- جريدة الجمهورية .

١٨٨- جريدة الدستور.

١٨٩- جريدة آفاق عربية .

١٩٠- جريدة صوت الأُمَّــة .

١٩١-جريدة المساء الأسبوعية .

١٩٢-جريدة الأهرام المسائي .

١٩٣- جريدة المصري اليوم .

١٩٤- جريدة الوفد .

١٩٥- جريدة أمة البحيرة .

١٩٦- جريدة أخبار البحيرة والأقاليم .

١٩٧- مجلة الرسالة .

١٩٨- مجلة المُــسلم .

١٩٩- مجلة التصوف الإسلامي .